

لَا تَأْتِي الْقُوفَةَ النَّارَ
الْعَتَبَةَ الْعَسْكَرِيَّةَ الْمُقَدَّسَةَ
مُرَكَّبَاتِ سَيِّدِنَا

وَقَائِعِ
الْمُؤْتَمِرِ الْعَالَمِيِّ
الدَّوْلِيِّ الْإِسْلَامِيِّ
الْعَتَبَةَ الْعَسْكَرِيَّةَ الْمُقَدَّسَةَ
سَعَاءَ حَاضِرَةِ الْفِكْرِ وَالْبَثَلِ

الجزء الثاني

إشراف ومراجعة

مركز تراث سيدنا



مركز تراث سامراء

الكتاب: العتبة العسكرية المقدسة في سامراء حاضرة الفكر والتراث (وقائع

المؤتمر العلمي الدولي الثالث) / ج ٢.

المؤلف: مجموعة باحثين.

الناشر: مركز تراث سامراء.

المطبعة: دجتال إيران - قم

الطبعة: الأولى.

سنة الطباعة: ١٤٤٦ / ٢٠٢٥ م.

رقم الإصدار: ٧٢.

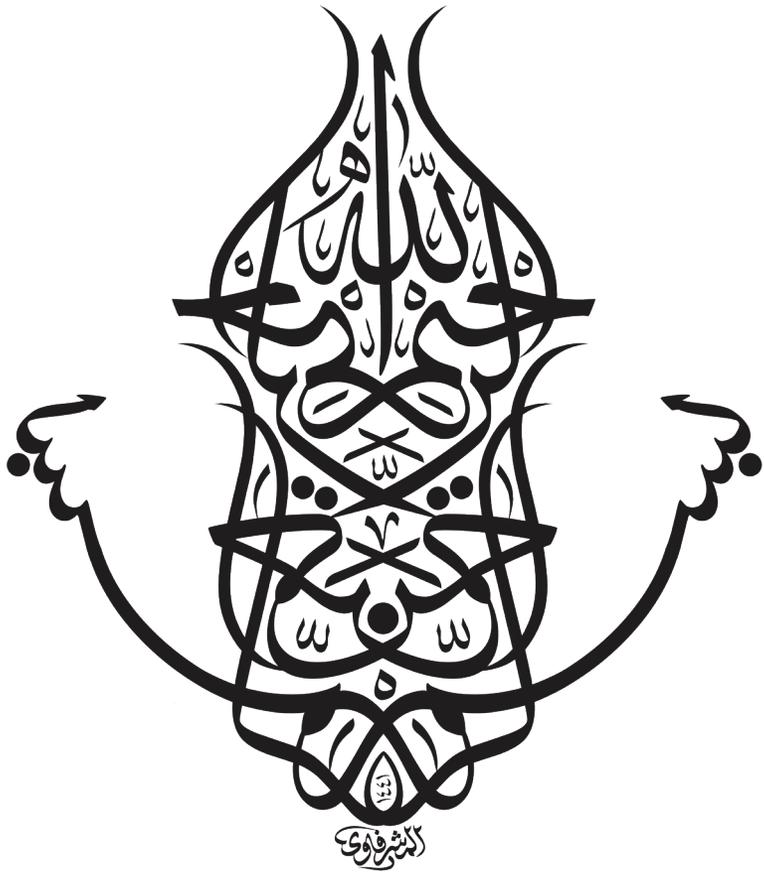
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٢٣١٦) لسنة ٢٠٢٥ م.

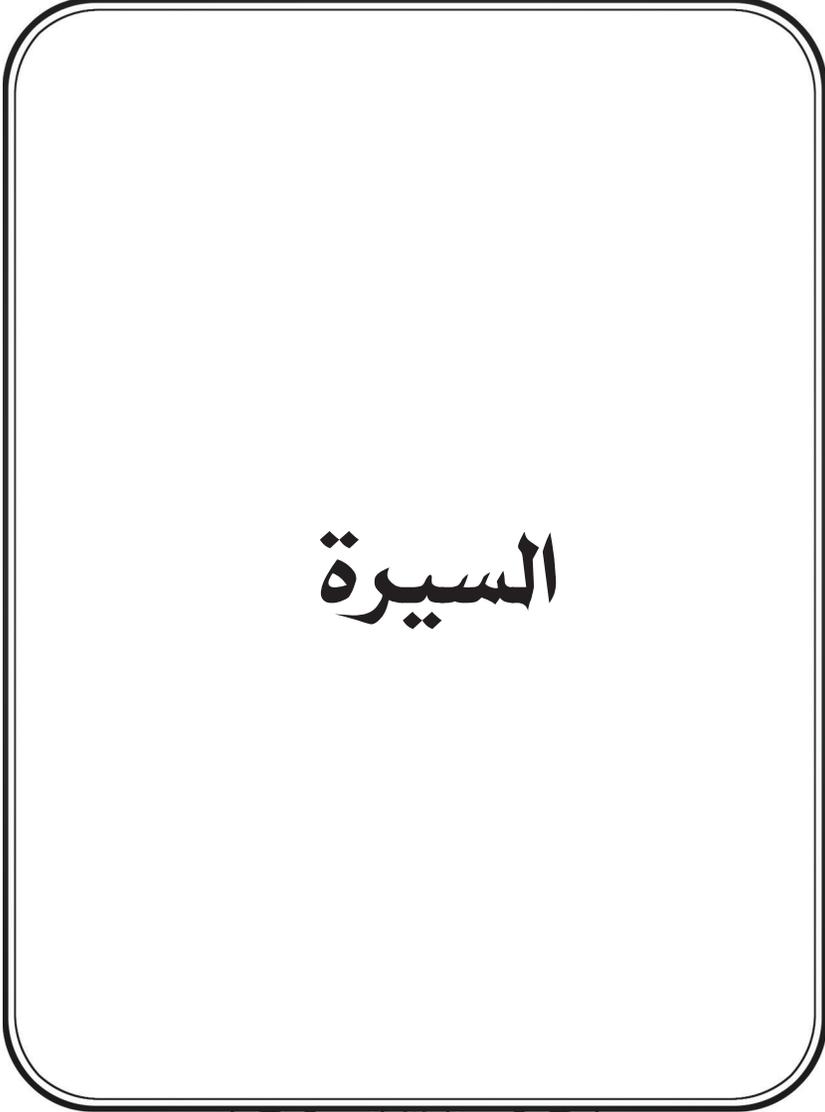
ISBN: 978-9922-745-79-4

جميع الحقوق محفوظة لمركز تراث سامراء.

البحوث المنشورة في وقائع المؤتمر تعبر عن آراء الباحثين ولا تعبر عن رأي مركز تراث سامراء.

وقائع المؤتمر العلمي الدولي الثالث الذي أقامه مركز تراث سامراء برعاية العتبة العسكرية المقدسة وبالتعاون مع جامعة الكوفة، كلية الفقه و(٢٤) جامعة عراقية.





السيرة





البحث الأول
دراسة في السيرة الأخلاقية
للإمام الهادي عليه السلام

صديقة الموسوي

جامعة فردوسي / كلية الآداب / مشهد



الملخص

تمثل الأخلاق أحد ركائز تهذيب الفرد وبناء المجتمع الذي تدعو له الفطرة الإنسانية السليمة، وأكد الإسلام على نبذ الأخلاق السيئة وأعطى حلولاً للتخلص منها، لأنها توجب العداوة والبغضاء والوقوع في الذنوب والعقاب، ودعا للتخلُّق بالأخلاق الحسنة حتى جعلها سبباً لتقوية الإيمان، ووسيلة للقرب الإلهي، وجعل لحسن الخلق كأجر الصائم القائم، والأنس وإشاعة المحبة والرحمة بين الأفراد، بل هي سبباً للفلاح الدنيوي والأخروي، ولم يكتف بالتأكيد النظري، بل قدّم أسوة أذهب الله تعالى عنهم الرجس وطهرهم، قاموا بتطبيق عملي للأخلاق في مختلف الظروف، تطبيق يستحيل على فرد عادي أن يأتي به، ومنهم الإمام علي الهادي عليه السلام، الذي تجلت الأخلاق العالية في سيرته وأقواله المباركة، وقد سعى هذا البحث للإجابة على السؤال التالي: كيف تجلّي التأكيد على أهمية التخلُّق بالصفات الحسنة والتخلص من الصفات الرذيلة في سيرة الإمام الهادي عليه السلام؟ وأجيب من خلال التركيز على أهمية الأخلاق في أقواله عليه السلام، وتأكيد عليه السلام على تبيين حقيقة الغنى والفقر وإرساء ثقافة القناعة، التريية على ثقافة شكر النعم، التحذير من الجدل والمراء، ومن الرضا عن النفس، الدعوة إلى التحلي بالأدب، التحذير من تحبيب مؤمل، التحذير من الحرص، ومن الحسد، ومن الهزل، التذكير بالموت. أما ما يخص تجلّي التخلُّق بالأخلاق الحسنة في سيرته المباركة عليه السلام بحثنا فيه: إحترامه ع لأمه، تكريمه عليه السلام لزوجته، تكريمه لولده، اهتمامه عليه السلام بأرحامه، كرم الإمام عليه السلام، شكره عليه السلام لمن دعا له والدعاء له، تكريمه عليه السلام للعالم، تسمينه للهدية واستجابته للدعوة، دعائه للموالين، وعفوه عن ظلمه. ويأتي

العتبة العسكرية المقدسة في سامراء حاضرة الفكر والتراث (وقائع المؤتمر العلمي الدولي الثالث) / ج ٢

هذا التأكيد للإمام الهادي عليه السلام على أهمية التخلق بالأخلاق الفضيحة والإبتعاد عن الأخلاق الرذيلة منصباً في تأكيد الإسلام على ذلك، كونه عليه السلام أحد أئمة الهدى عليهم السلام، وملدى أهمية الأخلاق على الصعيد الفردي والاجتماعي ودورها في الحصول على الحياة الطيبة في الدنيا والفوز الأبدي والقرب الإلهي.

الكلمات المفتاحية:

الأخلاق، الأخلاق الحسنة، الأسوة، السيرة، الأمام الهادي عليه السلام.

المقدمة:

التأسي والإقتداء أمر فطريٌّ يميل إليه الإنسان ويبحث عنه تلقائياً، فهو يميل إلى أن يكون أمامه نموذجاً حياً محبب إليه، يقتدي به، أسوة تجسّد المفاهيم بشكل عملي، ليتخذ المواقف ويتبنّى القرارات بالاستلهام من تلك الأسوة سواء من أقوالها والقواعد النظرية التي تؤمن بها أو من أفعالها وسلوكها وصب هذا الاستلهام في السلوك والواقع العملي.

فمنذ الصغر تجذ الطفل يقلّد أبويه تقليد محاكاة، ثم يتطور هذا التقليد إلى تأسي لشخصيات محببة لنفسه يتأثر بمعتقداتها وسلوكياتها .

والأسوة نظريّة وعملية، فالنظريّة هي: المبادئ والقيم التي يتعلّمها الإنسان ويتبنّاها كمعتقدات وقناعات، وقد تمثلت في القرآن الكريم الذي يمثل كتاب هداية ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾^(١) والعملية: هي التي تتجسّد فيها تلك المبادئ والقيم وتتحرك معها في كل موافقه، والأسوة العملية الحسنة تمثلت في رسول الله ﷺ حيث تجلّت في شخصه الكريم القيم الإنسانية بشكل عملي، بشهادة ربّانية ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾^(٢).

وبمقتضى اللطف الإلهي استمرت الهداية العملية مع الأئمة المعصومين عليهم السلام؛ فعن الإمام السّجاد عليه السلام: «نحن الصراط المستقيم»^(٣). فأهل البيت عليهم السلام أسوة عملية حسنة للعباد.

والإمام علي الهادي عليه السلام، الذي تجلّى الاهتمام بالأخلاق العالية في أقواله عليه السلام

(١) سورة إبراهيم، الآية ١.

(٢) سورة الأحزاب، الآية ٢١.

(٣) الريشهري، محمد المحمدي، ميزان الحكمة، ج ٢، ص ١٦٠٩.

ووصاياه وسيرته العملية المباركة، حيث سلَّط الضوء على ذلك في هذا البحث.

مفاهيم البحث:

الأخلاق: الخلق والخلق: السَّجِيَّة؛ الخُلُق، بِضَمِّ اللَّامِ وَسُكُونِهَا: وَهُوَ الدِّينُ والطَّبَعُ وَالسَّجِيَّةُ، وَالْجَمْعُ أَخْلَاقٌ، وَحَقِيقَتُهُ أَنَّهُ لِصُورَةِ الْإِنْسَانِ الْبَاطِنَةِ وَهِيَ نَفْسُهُ وَأَوْصَافُهَا وَمَعَانِيهَا الْمُخْتَصَّةُ بِهَا بِمَنْزِلَةِ الْخُلُقِ لِصُورَتِهِ الظَّاهِرَةِ وَأَوْصَافُهَا وَمَعَانِيهَا، وَلَهُمَا أَوْصَافٌ حَسَنَةٌ وَقَبِيحَةٌ، وَالشَّوَابُ وَالْعِقَابُ.

يَتَعَلَّقَانِ بِأَوْصَافِ الصُّورَةِ الْبَاطِنَةِ أَكْثَرَ مِمَّا يَتَعَلَّقَانِ بِأَوْصَافِ الصُّورَةِ الظَّاهِرَةِ، ^(١) وَلِهَذَا تَكَرَّرَتِ الْأَحَادِيثُ فِي مَدْحِ حُسْنِ الْخُلُقِ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ كَقَوْلِهِ ﷺ: «أَكْثَرُ مَا تَلِجُ بِهِ أُمَّتِي الْجَنَّةَ: تَقْوَى اللَّهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ». ^(٢)

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «ما يقدم المؤمن على الله عزَّ وجلَّ بعمل بعد الفرائض أحب إلى الله تعالى من أن يسع الناس بخلقه». ^(٣)

وذم سوء الخلق، فعن الرسول ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَسُوءَ الْخُلُقِ فَإِنَّ سُوءَ الْخُلُقِ فِي النَّارِ لِأَحَالَةٍ». ^(٤)

الأسوة: الأسوة: وهو - لغة - من الأسوة بمعنى القدوة، يقال: تأسيت به، أي: اقتديت.

والأسوة والإسوة: القدوة. ويقال: اتَّسَسَ بِهِ، أي: اقتد به وكُنْ مثله. فلان

(١) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، ج ١٠، ص ٨٦، ٨٧.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج ٧١، ص ٧٠، ص ٣٧٥.

(٣) المصدر نفسه، ج ٧١، ص ٧٠، ص ٣٧٥.

(٤) المصدر نفسه، ج ٧١، ص ٣٨٦.

يَأْتِسِي بِفُلَانٍ، أَي: يَرْضَى لِنَفْسِهِ مَا رَضِيهِ وَيَقْتَدِي بِهِ وَكَانَ فِي مِثْلِ حَالِهِ،^(١) فَالتَّأْسِي بِمَعْنَى الاقْتِدَاءِ.

وأكثر ما يكون الاقتداء في الصلاة، أمّا التأسي فيستعمل في غير ذلك، كالتأسي بالنبي ﷺ وآله عليهم السلام في أقوالهم وأفعالهم.^(٢)

الأسوة: تعني في الأصل الحالة التي يتلبسها الإنسان لدى أتباعه لآخر، وبتعبير آخر: هي التأسي والاقتداء.^(٣)

السيرة: كلمة السيرة مصدر من مادة كلمة (السير) وعلى وزن فعله وتدل على النوع، وتعني الطريقة والهئية وكيفية العمل، ك(جلست جلسة العبد).

(سَيْرَ السَّيْنِ وَالْيَأْءِ وَالرَّاءِ أَصْلٌ يُدُلُّ عَلَى مُضِيِّ وَجَرَيَانِ، وَالسَّيْرَةُ: الطَّرِيقَةُ فِي الشَّيْءِ وَالسَّنَّةُ، لِأَنَّهَا تَسِيرٌ وَتَجْرِي.)^(٤)

وقوله سبحانه: ﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى﴾، وهذه استعارة؛ لأن المراد بالسيرة هاهنا الطريقة والعادة. وأصل السيرة مضي الإنسان في تدبير بعض الأمور، يقال: سار فلان الأمير فينا سيرة جميلة.^(٥)

(١) ابن منظور، محمد ابن مكرم، لسان العرب، ج ١٤، ص ٣٥.

(2) ar.wikifeqh.ir

(٣) الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج ١٣، ص ١٩٨.

(٤) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج ٢، ص ١٢٠، ١٢١.

(٥) جعفر شرف الدين، الموسوعة القرآنية خصائص السور، ج ٥، ص ٢٥٩.

الإمام الهادي عليه السلام شخصيته وفضائله وظروف عصره

الإمام الهادي عليه السلام (٢١٢هـ - ٢٥٤هـ) هو علي بن محمد بن علي بن موسى عاشر أئمة الشيعة الإمامية، والمعروف بالنقي والهادي، أمه سمانة المغربية وقد امتدت إمامته ٣٤ عاماً منذ وفاة أبيه الجواد عليه السلام (سنة ٢٢٠ هجرية حتى رحيله سنة ٢٥٤ هجرية). قضى أكثر سنوات إمامته في مدينة سامراء، وكان ذلك بأمر من المتوكل العباسي.

سجّلت المصادر الروائية الكثير من الأحاديث المروية عنه في تفسير القرآن، والفقه، والأخلاق، زيادة على الزيارة الجامعة التي تحتوي مضامين عالية، وتلقي الأضواء على مكانة الإمام في الفكر الشيعي.

كانت علاقة الإمام الهادي عليه السلام بشيعته عبر وكلائه في نظام الوكالة. ومن أصحابه: عبد العظيم الحسني، وعثمان بن سعيد، وإبراهيم بن مهزيار.

يقع المرقد الطاهر للإمام الهادي المدفون مع ابنه الإمام العسكري عليه السلام في سامراء، ويُعرف بحرم العسكريين، وقد تعرض سنة ٢٠٠٦ و٢٠٠٧ م لعمليتين تخريبيتين قامت بهما مجموعات تكفيرية أدت إلى تدمير القبة والمنائر بالكامل، ثم تمّ بناء المرقد من جديد.^(١)

لعل من الضروري وقبل الحديث عن شخصية الإمام الهادي عليه السلام التطرّق إلى مقام الإمامة؛ إذ تُعد الإمامة من المسائل، التي شغلت اهتمام المفكرين المسلمين، وتشترك جميع المذاهب بالإجماع على أنّ إقامة الحدود والأحكام الإسلامية وإقرار الأمن ونشر العدالة والدفاع عن الكيان الإسلامي والمسلمين من أهم وظائف الإمامة ومسؤوليات الإمام، وقد انفردت الشيعة في إضافة أمور أخرى، وهي: بيان المعارف والأحكام الإسلامية، والضمان الفكرية والمعنوية في الأصول والفروع الإسلامية،

(1) ar.wikishia.net.

وقد ذكر الشيعة الإمامية للإمامة أهدافاً وأدواراً ومحاور، ميزت التشيع من المذاهب الإسلامية الأخرى. فإن كانت هذه المذاهب ترى الإمامة واجباً فقهيّاً، فإنّها تُعدّ عند الشيعة من أصول الدين، بل ترى ذلك من أهم محاور الإمامة وفلسفتها. ومن البديهي أنّ هذا لن يتحقق إلا إذا كان الإمام يتمتع بعلم كامل بالمعارف والأحكام الإسلامية، وأن يكون معصوماً بالعصمة العلمية والعملية. ومن جهة أخرى فإنّ العصمة والعلم الكامل بالشريعة من الصفات النفسية والباطنية التي لا يمكن لسائر الناس أن يتعرفوا عليها بالطرق المتاحة. ومن هنا كان تعيين الإمام منحصرّاً بالنصّ الشرعي، المتفرع على النصب الإلهي.^(١)

وعليه فإنّ أهم محاور الإمامة في الفكر الشيعي هي العلم الكامل بالأحكام والمعارف الإسلامية، والعصمة العلمية والعملية، والتنصيب الإلهي، والنصّ الشرعي. يضاف إلى ذلك أفضلية الإمام على سائر الخلق. وقد ارتضاها بعض المتكلمين من غير الشيعة بعد تقييدها بحدّ شرط الكمال أو اللزوم.^(٢)

ولد الإمام الهادي عليه السلام حسب رواية كلّ من الكليني والشيخ المفيد وابن الأثير بصُريا وهي قرية أسسها الإمام الكاظم عليه السلام على ثلاثة أميال من المدينة، في ١٥ ذي الحجة سنة ٢١٢ هـ. وقد بشر النبي ﷺ به الإمام الحسين عليه السلام عندما دخل عليه ذات مرة بقوله ﷺ: «... مرحبا بك يا أبا عبد الله، يا زين السموات والأرضين... وإن الله تعالى ركب في صلبه [أي الجواد عليه السلام] نطفة طيبة مباركة زكية».^(٣)

يكنى بأبي الحسن الثالث، وأبي الحسن الأخير تمييزاً له عن الإمام الكاظم عليه السلام

(١) الكلبيكاني، علي الرباني، الإمامة في الفكر الشيعي، نصوص معاصرة، تموز ٢٠١٥
https://nosos.net

(٢) الكلبيكاني، علي الرباني، الإمامة في الفكر الشيعي، نصوص معاصرة، تموز ٢٠١٥
https://nosos.net

(٣) الصدوق، محمد بن علي، عيون أخبار الرضا، ج ١، ص ٦٢.

المكنى بأبي الحسن الأول وعن الإمام الرضا عليه السلام المكنى بأبي الحسن الثاني، ويلقب هو وابنه الحسن عليه السلام بالعسكريين، لفرض السلطة العباسية الإقامة الجبرية عليهما في سامراء التي كانت يومها معسكراً للجند^(١)، وقد عاصر من ملوك بني العباس: الواثق، ثم المتوكل، ثم المنتصر، ثم المستعين^(٢). ومن ألقابه عليه السلام التي تعبر عن خلقه الكريم وسيرته الزكية: الهادي، والمتوكل، والناصح، والمتقي، والمرضى، والفقير، والأمين، والطيب^(٣)، وأشهرها الهادي. صفته: أسمر اللون. نقش خاتمه: «الله ربي وهو عصمتي من خلقه»^(٤). وقد كان كآبائه الطاهرين مورد احترام الناس لما له من الهيبة، النابعة من العزة الإلهية^(٥)، والتي عجز عن الحصول عليها الملوك والجبابة، وكان للإمام الهادي مكانة خاصة في قلوب الناس، إذ كانوا ينتظرون خروجه

(١) الجوزي، يوسف بن قزواغلي، تذكرة الخواص من الأمة بذكر خصائص الأئمة، ج ٢، ص ٤٩٢.

(٢) المالكي، علي بن محمد، الفصول المهمة في معرفة الأئمة، ج ٢، ص ١٠٦٤.

(٣) الإربلي، أسعد بن إبراهيم، الأربعون حديثاً في الفضائل والمناقب، ج ٤، ص ٤٣٢.

(٤) وتذكر مصادر أخرى نقوشاً أخرى لخاتمه عليه السلام، ولعل المواليين كانوا يأخذون منها للتبرك، والشواهد التاريخية تذكر طلب المحيين شيئاً من الأئمة للتبرك، كقصة الريان ابن الصلت الذي اراد أن يطلب من الإمام الرضا عليه السلام قميصاً وشيئاً من الدراهم ليصوغها خواتيم لبناته، ثم نسي ذكر ذلك للإمام فلما هم بالخروج قال له الإمام الرضا عليه السلام: أمّا تحب أن أدفع إليك قميصاً من ثياب جسدي تكفن فيه إذا فني أجلك؟ أو ما تحب أن أدفع إليك دراهم تصوغ بها لبناتك خواتيم؟ ينظر: الصدوق، عيون أخبار الرضا، ج ١، ص ٢٢٩، وقصة أبو هاشم الجعفري الذي اراد أن يطلب من الإمام العسكري مقداراً من الفضة فسي ذلك وعندما هم بالخروج قدم له الإمام خاتمه وقال: أَرَدْتُ فِضَّةً فَأَعْطَيْتَكَ خَاتِمًا رَبَّحْتَ الْفِصَّ وَالْكَرَاءَ هُنَاكَ اللَّهُ يَا أَبَا هَاشِمٍ فَقُلْتُ يَا سَيِّدِي أَشْهَدُ أَنَّكَ وَلِيُّ اللَّهِ وَإِمَامِي الَّذِي أَدِينُ اللَّهُ بِطَاعَتِهِ، ينظر: الكليني، محمد يعقوب، الكافي، ج ١، ص ٥١٢.

(٥) قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾. سورة المنافقون، الآية: ٨.

ليتشفروا برؤيته^(١). وعن الحضرمي: «رأيت الناس مجتمعين وهم يقولون: قد قدم ابن الرضا عليه السلام من المدينة، فرأيته قد عبر من الجسر على شهريّ تحته كبير، يسير عليه المسير رفيقا؛ والناس بين يديه وخلفه». (٢) قام عليه السلام في مدة وجوده بسامراء رغم كونه تحت مراقبة شديدة، بتوعية الناس وتقوية عقائدهم وإزاحة الشبهات عنهم في شتى المعارف: في التوحيد وما له سبحانه من صفات جلال وجمال، (٣) وما طرأت من الشبهات من مفكري عصره، وعلى قسم النبوة، وما يخص المسائل الوظيفية العملية. وفي مسألة الإمامة وبيان مقامها في الزيارة الجامعة، التي تميزت بمحتواها ما جعل لها مكانة خاصة. (٤)

يشارك الإمام الهادي عليه السلام مع بقية أئمة العصمة عليهم السلام في فضائل منها (٥):-

١. النص على عصمته وطهارته عليه السلام: عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: دخلت على رسول الله ص في بيت أم سلمة، وقد نزلت هذه الآية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾. فقلت: يا رسول الله وكم الأئمة بعدك؟ قال: أنت يا علي، ثم ابنك، ... وبعد محمد [الجواد] علي [الهادي] عليه السلام ابنه... (٦)

(١) عن علي بن يونس الذي قدم لسامراء ليرى الإمام يقول: إني سألت عنه فقيل لي: هو مع المتوكل في الحلة، فأودعت ما كان معي وصرت إلى الحلة طمعا أني أراهم فلم أصل إليه، ورأيت الناس جلوساً يترقبونه، ينظر: الصالح، عبد الله نجف آبادي وآخرون، موسوعة الإمام الهادي، ج ١، ص ٤٤٣.

(٢) المسعودي، علي بن الحسين، إثبات الوصية، ص ٢٣٧.

(٣) ينظر: الكوراني، علي، الإمام الهادي، ص ٢٣٢.

(٤) ينظر: السند، محمد، الزيارة الجامعة، ص ١٠٥.

(٥) للمزيد من الفضائل التي اشترك بها الإمام الهادي عليه السلام مع بقية الأئمة المعصومين عليهم السلام ينظر: الصالح، عبد الله نجف آبادي وآخرون، موسوعة الإمام الهادي، ج ١، ص ١٠٧.

(٦) الخزاز، محمد، كفاية الأثر، ص ١٥٦.

٢. النصّ عليه وأن اسمه عليه السلام مكتوب بالنور على ساق العرش:

عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «لما عرج بي إلى السماء، نظرت إلى ساق العرش فإذا مكتوب بالنور: «لا إله إلا الله، محمد رسول الله أيّده بعليّ ونصرته بعليّ ورأيت أحد عشر اسماً مكتوباً بالنور على ساق العرش بعد عليّ، منهم الحسن ... وعليّ الهادي»؛ قلت: إلهي من هؤلاء الذين أكرمتهم وقرنت أسمائهم باسمك؟ فنوديت: «يا محمد، هم الأوصياء بعدك والأئمة، فطوبى لمحبيهم، والويل لمبغضهم»^(١).

٣. النص على إمامته عليه السلام عند الله تعالى في لوح السيدة فاطمة عليها السلام: عن جابر: «دخلت على مولاتي فاطمة عليها السلام، فإذا بيديها صحيفة بيضاء من درّة، فقلت لها: يا سيّدة النساء، ما هذه الصحيفة التي أراها معك؟ فقالت: «فيها أسماء الأئمة من ولدي ... أبو الحسن عليّ بن محمد بن الأمين»^(٢).

٤. الدعاء بحقه عليه السلام لقضاء الحوائج المهمّة:

روي عن الصادق عليه السلام: إنّه من قلّ عليه رزقه أو ضاقت عليه معيشته، أو كانت له حاجة مهمّة من أمر دنياه وآخرته، فليكتب في رقعة بيضاء ويطحها في الماء الجاري عند طلوع الشمس، وتكون الأسماء في سطر واحد: «بسم الله الرحمن الرحيم، الملك الحق المبين، من العبد الذليل، إلى المولى الجليل، سلام على محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين وعلي ومحمد وجعفر وموسى وعلي ومحمد وعلي والحسن والقائم سيدنا ومولانا صلوات الله عليهم أجمعين ربّ مسني الضرّ والخوف، فاكشف ضرّي، وآمن خوفي، بحق محمد وآل محمد وأسألك بكل نبي ووصي وصديق وشهيد، أن تصلي على محمد وآل محمد، يا أرحم الراحمين.

(١) الخزاز، محمد، ص ١١٨.

(٢) الحديث طويل وقد اخذنا منه الشاهد المختص بالإمام الهادي عليه السلام ينظر: الصدوق، عيون أخبار الرضا، ج ٢، ص ٤٧.

اشفعوا لي يا ساداتي بالشأن الذي لكم عند الله، فإن لكم عند الله لشأنا من الشأن، فقد مسني الضر يا ساداتي والله أرحم الراحمين، فافعل بي يا رب كذا وكذا»^(١).

أما الفضائل والكرامات التي اختص بها^(٢) فمنها:

١. تلقيب الرسول ﷺ له بالسابر^(٣) والعالم:

عن عبد الله بن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ لعلي بن أبي طالب: «يا علي، أنا نذير أمّتي، وأنت هاديها، ... وعلي بن محمد [الهادي] عليه السلام سابرها، وعالمها...»^(٤).

٢. اختصاص ساعة من العصر له عليه السلام: اختصت من ساعتين بعد صلاة العصر إلى قبل اضمحلال الشمس للهادي عليه السلام^(٥).

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج ٩٩، ص ٢٣٦.

(٢) من أراد الاستزادة في الإطلاع على كراماته عليه السلام وفضائله كمعرفته بلغات شتى وعلمه بالمغيبات من الوقائع والأمر وبها في الأرحام ينظر: نجفي وآخرون، موسوعة الإمام الهادي، ج ١، ص ١٨٠، ١٩٤.

(٣) سبر: السبر: التجربة. وسبر الشيء سبرا: حزره وخبره. واسبر لي ما عنده، أي: اعلمه. والسبر: استخراج كنه الأمر. ينظر: ابن منظور، محمد، لسان العرب، ج ٤، ص ٣٤١.

(٤) الصالح، عبد الله نجف آبادي وآخرون، موسوعة الإمام الهادي، ج ١، ص ١٦٩.

(٥) وهذا دعاؤها: «يا من علا فعظم يا من تسلط فتجبر وتجب فتسلط يا من عز فاستكبر في عزه يا من مد الظل على خلقه يا من امتن بالمعروف على عباده يا عزيزا ذا انتقام يا مستقما بعزته من أهل الشرك أسألك بحق وليك علي بن محمد عليه السلام عليك وأقدمه بين يدي حوائجي ورغبي إليك أن تصلي على محمد وآل محمد وأن تعينني [على آخرتي وتختم لي بخبر حتى تتوفاني وأنت عني راض وتنفلني إلى رحمتك ورضوانك إنك ذو الفضل العظيم والمن القديم] به على قضاء حوائجي وتوفاني وفرائضي وبر إخواني وكمال طاعتك برحمتك يا أرحم الراحمين وأن تفعل بي كذا وكذا» ينظر: الكفعمي، إبراهيم، المصباح، ج ١، ص ١٤٤.

٣. إقرار المعاندين بعلمه عليه السلام: بعد شهادة الإمام الجواد عليه السلام وكتلت السلطات أمر الإمام الهادي لأحد المعروفين لعدائهم لأهل البيت عليهم السلام وهو الجنيدي، فكان يتولى تدريس الإمام، وعندما سُئل الجنيدي عن الإمام ما قال هذا الغلام الهاشمي، الذي تؤدّبه؟ قال- منكرًا للسائل-: «تقول الغلام ولا تقول الشيخ الهاشمي؟! أنشدك الله هل تعلم بالمدينة أعلم مني؟» فقال السائل: «لا!» فقال الجنيدي: «فإنّي والله! أذكر له الحزب من الأدب، أظنّ أنّي قد بلغت فيه، فيملي عليّ بابا فيه أستفيده منه، ويظنّ الناس أنّي أعلمه، وأنا والله أتعلّم منه». (١)

٤. استجابة دعائه عليه السلام:

أ- استجابة دعائه لشفاء مريض: عن هاشم بن زيد: «رأيت عليّ بن محمّد صاحب العسكر وقد أتى بأكمه فأبرأه». (٢)

ب. أراد المتوكل حفر قبر أبا عبد الله الحسين عليه السلام، فتألم الموالمون لكن الإمام الهادي طمأنهم، وأخبرهم بأنه عليه السلام لو سئل الله تعالى أن يهلكه لأستجاب لدعائه، ثم توجه إلى الله تعالى بالدعاء، فإذا بالمتوكل صاغر يستغفر الله تعالى لما بدر منه من الجرأة. (٣)

٥. إحياءه عليه السلام الموتى بإذن الله تعالى:

أهدي للمتوكل خمسون غلاماً من الخزر، فأمر أحد عماله بأن يهتم بهم، وذات يوم دخل عليه الإمام الهادي عليه السلام فقام الغلمان بتعظيمه وتقديم الاحترام له؛ فغضب المتوكل، وعندما خرج الإمام قال المتوكل لخدمته: «ويلك يا بلطون! ما هذا الذي فعل هؤلاء الغلمان؟» فقلت: «لا، والله ما أدري!» قال: سلهم. فسألتهم عمّا فعلوا؟

(١) المسعودي، علي بن الحسين، إثبات الوصية، ص ٢٣٠.

(٢) حسين، عبد الوهاب، عيون المعجزات، ص ٣١٣.

(٣) الخصبيني، الحسين بن حمدان، الهدايا الكبرى، ص ٢٢٣.

وعندما سأهم قالوا: «هذا رجل يأتينا كل سنة، فيعرض علينا الدين، ويقيم عندنا عشرة أيام، وهو وصي نبي المسلمين». فأمر المتوكل بلطون بقتلهم. وعندما ذهب بلطون إلى أبي الحسن عليه السلام فسأله الإمام عليه السلام: «يا بلطون، ما صنع القوم»؟

فقلت: يا بن رسول الله، ذبحوا والله عن آخرهم.

فقال لي: كلهم؟

فقلت: إي والله!

فقال عليه السلام: أتحب أن تراهم؟

قلت: نعم، يا بن رسول الله، فأوماً بيده أن ادخل الستر فدخلت، فإذا أنا بالقوم قعود وبين أيديهم فاكهة يأكلون.^(١)

السيرة الأخلاقية للإمام الهادي عليه السلام

أهمية الأخلاق

لعله لا يختلف اثنان وإن اختلفا في فلسفة وجود القيم والمبادئ الأخلاقية، ومصدر نشأتها في مدى أهمية الأخلاق، فعن أمير المؤمنين عليه السلام: «لو كنا لا نرجو جنة، ولا نخشى ناراً ولا ثواباً ولا عقاباً لكان ينبغي لنا أن نطلب مكارم الأخلاق، فإنها مما تدل على سبيل النجاح».^(٢) ويقول الفيلسوف الفرنسي ألبير كامو "رجل بلا أخلاق هو وحش تم إطلاقه على هذا العالم"^(٣). أمّا دورها في حياة الإنسان الفردية فعن الإمام الصادق عليه السلام: «لا تعيش أهنأ من حسن الخلق».^(٤) والحياة الاجتماعية، فعن أمير

(١) الطوسي، ابن حمزة، الثاقب في المناقب، صص ٥٢٩، ٥٣٠.

(٢) النوري، حسين، مستدرک الوسائل، ج ١١، ص ١٩٣.

(٣) جهاد، علي بن بكر، موسوعة نور الحكمة، ص ٢٩١.

(٤) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج ٧١، ص ٣٨٩.

العتبة العسكرية المقدسة في سامراء حاضرة الفكر والتراث (وقائع المؤتمر العلمي الدولي الثالث) / ج ٢

المؤمنين عليهم السلام: «مَنْ حَسَنَ خُلُقَهُ كَثُرَ مَحَبُّهُ وَأَنْسَتِ النَّفْسُ بِهِ»^(١)، كما إنَّ تحقق إنسانية الإنسان متعلقة بالأخلاق، ف«الإنسان كما له في هذه الدنيا صورة ملكية [ظاهرية] دنيوية... فإن له صورة وهيئة وشكلاً ملوكتياً غيبياً، وهذه الصورة تابعة لملكات النفس والخلقة الباطنية»^(٢).

كما تتجلى أهمية الأخلاق لكونها أحد أهداف البعثة، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله «بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ»^(٣)، بل وعدّها الإمام الصادق عليه السلام معياراً للانتماء لخط أهل البيت عليهم السلام، لقوله «ليس منّا من لم يحسن صحبة من صحبه ومرافقة من رافقه، ومخالحة من مالحه، ومخالقة من خالقه»^(٤).

وهنا سؤال يطرح نفسه: هل الأخلاق قابلة للتغيير؟ حقيقة الأمر إن مصير علم الأخلاق وكلّ الأبحاث الأخلاقية، يتوقف على الإجابة عن هذا السؤال، إذ لولا قابليتها للتغيير لأصبحت كلّ برامج الأنبياء التربويّة والكتب السماويّة، ووضع القوانين لا فائدة ولا معنى لها. فنفس وجود تلك البرامج التربويّة والتعاليم السماويّة، ووضع القوانين في المجتمعات البشريّة، هو خير دليل على قابليّة التغيير في الملكات والسلوكيات الأخلاقية لدى الإنسان، وهذه الحقيقة مقبولة لدى جميع العقلاء في العالم.^(٥)

(١) التميمي، عبد الواحد، تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم، ص ٢٥٥.

(٢) الخميني، السيد روح الله، الأربعون حديثاً، ص ٣٨.

(٣) المجلسي، محمد باقر بحار، الأنوار، ج ٦٧، ص ٣٧٢.

(٤) المصدر نفسه، ج ٧٤، ص ١٦١.

(٥) الشيرازي، ناصر مكارم، الأخلاق في القرآن، ج ١، ص ٢١.

الهدف الغائي للتخلق

هناك عدة غايات وأهداف للواجب الأخلاقي، فهي تختلف باختلاف المباني الفكرية للمدارس الفلسفية، ففي النفعية مثلاً أنّ السعادة مرتبطة بالمنفعة، أما مؤيدو العقد الاجتماعي للأخلاق والذين يرون أن الاجتماع هو الباعث للتخلق، أمّا كانط فيرى أنّ القيمة الأخلاقية توجد فقط عندما يفعل شخص عن إحساس بالواجب، كما يؤكد كانط على أهمية النية في العمل الأخلاقي^(١). أمّا جان جاك روسو فيرى أن الضمير هو معيار التخلق^(٢)، ولا شك أنه لا يمكن إنكار دور الشعور بالواجب والضمير^(٣) وحب النوع الإنساني والنية الصالحة والإحساس بالواجب في القيام بالعمل الأخلاقي؛ إلا أنه لا يمكن أن يكون كلّ ما ذكر ضمناً كافياً لصدور الفعل الأخلاقي؛ أمّا مناهج القيمة وفقاً للأخلاق الإلهية أو الإسلامية فهو أرفع من ذلك بكثير. ذلك أنّ الصفات القيّمة حسب الأخلاق الإلهية هي تلك التي تقرّب الإنسان إلى الله تعالى^(٤). فقد ورد عن رسول الله ﷺ: «جَعَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ صِلَةً بَيْنَهُ وَيَبِينِ عِبَادِهِ فَحَسَبَ أَحَدِكُمْ أَنْ يَتَمَسَّكَ بِخُلُقٍ مُتَّصِلٍ بِاللَّهِ»^(٥).

وبعبارة أخرى: أنّ الباري تعالى هو المعلم الأكبر للأخلاق، وهو مربّي النفوس، ومصدر لكلّ الفضائل، والقرب منه تعالى لا يتمّ إلا بالتّحلي بالأخلاق الإلهية، وإنّ

(١) مجتبي، مصباح فلسفة الأخلاق، ص ٦٨، ١٤٨.

(٢) المصدر نفسه، ص ٦٨، ١٤٨.

(٣) من الجدير بالذكر أنّ جان جاك روسو قام بإبداع أطفاله الخمسة في ملجأ الأيتام ولم يحل ضميره دون القيام بهذا العمل. ينظر: وليام جاردنر جنغ، عليه خانواده، الحرب على الأسرة، ص ٩٧.

(٤) المصباح، محمد تقي، (القرب الإلهي والقيمة الأخلاقية في الإسلام)، محاضرة بتاريخ: ٩/ جمادى الأولى/ ١٤٤٠ هـ.ق.

(٥) أبو فراس، ورام، تنبيه الخواطر، ج ٢، ص ١٢٢.

العتبة العسكرية المقدسة في سامراء حاضرة الفكر والتراث (وقائع المؤتمر العلمي الدولي الثالث) / ج ٢

نية القرب هي التي تساعد على التمسك بالأخلاق الحسنة حتى في أصعب الظروف. وإذا كان الهدف الأقصى والغاية العليا للأخلاق هي القرب من الله تعالى، إلا أنّ النظام الأخلاقي الإسلامي لم يغفل عن تحفيز الأفراد باختلاف مستويات وعيهم واهتماماتهم نحو السلوك الأخلاقي:

فهو يحفز على التخلق من خلال بيان الآثار الدنيوية؛ فمثلاً يبين آثار صلة الأرحام فعن أبي جعفر عليه السلام قال: «صلة الأرحام تزكي الأعمال وتدفع البلوى وتنمي الأموال وتنسى له في عمره»^(١) وتوسّع في رزقه وتحبب في أهل بيته فليثق الله وليصل رحمه». ^(٢) كما يحفز على التخلق من خلال بيان الآثار الأخروية له: فعن الإمام الصادق عليه السلام: «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِيُعْطِيَ الْعَبْدَ مِنَ الثَّوَابِ عَلَى حُسْنِ الْخُلُقِ كَمَا يُعْطَى الْمَجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ».^(٣)

(أ) أقواله عليه السلام ووصاياه

١. الغنى والفقر وإرساء ثقافة القناعة

عندما يُذكر مفهوم الغنى فإنه سرعان ما يتبادر إلى الأذهان الغنى المادي، ولاشك أنّ الإسلام في الوقت الذي يحث على السعي للحصول على الرزق الحلال، وإضفاء صبغة معنوية لطلب الحلال،^(٤) إلا أنّه يكشف لنا عن نوع آخر وأهم وهو غنى النفس؛ فعن رسول الله صلى الله عليه وآله: «خَيْرُ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ»^(٥)، فالذي يعيش بالقناعة

(١) تسبب طول العمر.

(٢) الفيض الكاشاني، الوافي، ج ٥، ص ٥٠٨.

(٣) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج ٢، ص ١٠١.

(٤) عن الإمام الصادق عليه السلام: «الكاد على عياله كالمجاهد في سبيل الله»، الفيض الكاشاني، الوافي، ج ١٧، ص ٩٧.

(٥) ينظر: الصدوق، محمد بن علي، الأمالي، ص ٧٥٦.

يستشعر في أعماقه طمأنينة الغنى الحقيقي، والطريق الصحيح للوصول إلى ذلك ليس بترك السعي، بل بتقليل الأماني التي لاحد لها، والتي تغيّر الإنسان وتبعده عن هدف خلقته الحقيقي،^(١) ويحصل على الشعور بالرضا بما قسم له الله تعالى والذي يكفيه رفع حاجاته المادية وما يسبب له هذا الرضا من الراحة،^(٢) وعز الإمتناع عن الطمع عمّا في أيدي الناس، وعن وذل السؤال،^(٣) فعن الإمام الهادي عليه السلام: «الغنى قلة تمنيك والرضا بما يكفيك».^(٤) في الجهة المقابلة فإنّ الروح التي تعيش حالة الفقر المعنوي لو ملكت الدنيا كلها فستبقى تعيش حالة الحرص والطمع،^(٥) كما بين الإمام الهادي عليه السلام: «الفقر شره النفس وشدة القنوط»^(٦)، فحالة الشره والولع المفرط في الدنيا تدفع الإنسان إلى التعلق بالمنافع الدنيوية؛ وإذا مسه الشر وسلبت عنه بعض النعم الموهوبة يئس من الخير وفقد الأمل^(٧)؛ لأنّه لا يرى الخير إلّا في الأسباب الظاهرية،^(٨) والنعم الدنيوية التي قد تزول وتغنى في أيّ آن،^(٩) ويغفل عن النعم المعنوية كنعمة العقل

(١) قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾، سورة فاطر، الآية ٥.

(٢) عن أمير المؤمنين عليه السلام: «إرض تسترح». الواسطي، علي الليثي، عيون الحكم والمواعظ، ج ١، ص ٧٨.

(٣) الإمام الصادق عليه السلام: «مَنْ رُزِقَ ثَلَاثًا نَالَ ثَلَاثًا وَهُوَ الْغِنَى الْأَكْبَرُ: الْقَنَاعَةُ بِمَا أُعْطِيَ، وَالْيَأْسُ مِمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ، وَتَرْكُ الْفُضُولِ» المحمدي، محمد الريشهري، منتخب ميزان الحكمة، ج ١، ص ٤٣٤.

(٤) العامل، محمد بن مكي، الدرّة الباهرة من الأصداف الطاهرة، ج ٢، ص ٩.

(٥) الشيرازي، ناصر مكارم، الأخلاق في القرآن، ج ٢، ص ٨٣، ٨٤.

(٦) العامل، محمد بن مكي، المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٢.

(٧) عن الإمام الصادق عليه السلام: «مَنْ تَعَلَّقَ قَلْبُهُ بِالْدُّنْيَا تَعَلَّقَ قَلْبُهُ، بِثَلَاثِ خِصَالٍ: هَمٌّ لَا يَفْنَى، وَآمَلٌ لَا يَدْرُكُ، وَرَجَاءٌ لَا يَنَالُ» لمزيد ينظر: الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج ٣، ص ٧٧٧.

(٨) الطباطبائي، السيد محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ج ١٣، ص ١٨٦.

(٩) عن رسول الله ﷺ «أغفل الناس من لم يتعظ بتغيّر الدنيا من حال إلى حال»: أبو القسم،

٢. التربية على ثقافة شكر النعم

يمثل الشكر الفضيلة المقابلة لرذيلة كفر النعمة، قال تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾^(١)، وحقيقته تقدير نعمة المنعم، والشكر القلبي يكون بمعرفة إن النعم من الله (جلّ وعلا) فعن الإمام الصادق عليه السلام: «مَنْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِنِعْمَةٍ فَعَرَفَهَا بِقَلْبِهِ، فَقَدْ آدَى شُكْرَهَا»^(٢) والخشوع والخشوع والمحبة والخشية، أمّا الشكر اللساني فيكون بالثناء والمدح والحمد، أمّا الشكر العملي فيكون بالطاعة واستعمال الجوارح في رضاه تعالى^(٣) ووضع النعم والمواهب الإلهية في المكان اللائق^(٤) والتي خلقها الله تعالى لأجله^(٥) والعزم على إيصال الخير والإحسان إلى كافة خلقه^(٦) ويمثل التوجه القلبي للنعمة الركن الأهم في الشكر، وقد دلت الدراسات للشكر على آثار إيجابية متعددة منها: الصحة النفسية، كما أنه يساعد على تعميق العلاقة بالله تعالى والشعور بالأمان والشعور بالسعادة والرضا، فقد توّصل شلدون وليوبومورسكي إلى أنّ الشكر من الطرق التي تجعل الإنسان يشعر بالسعادة بشكل أكبر، وقد توّصل الباحث ناصر اقباباوي ومساعديه إلى الدور الفعال للعلاقة مع الله تعالى ودور الشكر

باينده، نهج الفصاحة، ج ١، ص ٢٢٧.

(١) قال تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾.

(٢) سورة الإنسان، الآية: ٣.

(٣) الكليني، محمد يعقوب، الكافي، ج ٢، ص ٩٧.

(٤) الخميني، السيد روح الله، الأربعون حديثاً، ص ٣٧١.

(٥) عن أمير المؤمنين: (شكر كلّ نعمة الورع عمّا حرّم الله) ينظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج ٦٧، ص ٣٠٨.

(٦) الشيرازي، ناصر مكارم، الأخلاق في القرآن، ج ٣، ص ٥٨.

(٧) الخميني، السيد روح الله، شرح الأربعون حديثاً، ص ٣٧٢.

معرفياً وعاطفياً في إيجاد تلك العلاقة.^(١) وهذا ما بينه الإمام الهادي عليه السلام في قوله: «الشاعر أسعد بالشكر منه بالنعمة التي أوجبت الشكر، لأنَّ النعم متاع. والشكر نعم وعقبي». ^(٢) لما للشكر من دور في الشعور بالنعم والسرور والابتهاج بسبب التوجه للألطف الإلهية وما لهذا التوجه من آثار نفسية على الشخص الشاكر.

٣. التحذير من الجدل والمراء

العيش في جو تسوده المحبة من الأمور التي يميل لها الإنسان فطرياً، ويرى عالم النفس ماسلو أنَّ المحبة من الحاجات الأساسية للإنسان السوي، فالإنسان بحاجة إلى أن يُحِبَّ ويُحَبَّ،^(٣) وقد أشار المأثور من أهل البيت عليهم السلام على طلب ذلك، ممَّا يؤكد كون المحبة من الحاجات الحقيقية للإنسان، كما ورد في زيارة أمين الله: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ نَفْسِي... مُحِبَّةً لَصَفْوَةِ أَوْلِيَائِكَ، مُحَبَّوْبَةً فِي أَرْضِكَ وَسَمَائِكَ». ^(٤) وقد شجَّع الإسلام على كلِّ ما يزيد من علاقات المودة كالتبسم^(٥) وإفشاء السلام،^(٦) والرفق،^(٧) وفي المقابل أوصى بالابتعاد عن كلِّ ما يكدر صفو العلاقات الاجتماعية،

(١) ناصر اقبابايي وآخرون، صلة الامتنان لله تعالى بمبادئ الشخصية والحياة السعيدة والسلامة النفسية، مجله روان شناسي ودين ص ١١٤، ١١٧، ١٢٣.

(٢) الحراني، الحسن بن علي، تحف العقول، ص ٤٨٣.

(3) <https://ar.wikipedia.org>.

(٤) ابن طاووس، علي، الإقبال بالأعمال الحسنة فيما يعمل مرة بالسنة، ج ٢، ص ٢٧٣.

(٥) عن مولانا الزهراء عليها السلام: «إنَّ البشر في وجه المؤمن موجب لصاحبه الجنة وفي وجه المعاند المعادي وقاية لعذاب النار» ينظر: الزنجاني، إسماعيل، الموسوعة الكبرى عن فاطمة الزهراء، ج ٢٢، ص ٥٣٩.

(٦) عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «أفشوا السلام بينكم تحابوا»؛ باينده، أبو القسم، نهج الفصاحة، ج ١، ص ٢٢٧.

(٧) عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ أَهْلَ بَيْتٍ أَدْخَلَ عَلَيْهِمُ الرَّفْقَ، ينظر: المتقي الهندي، كنز العمال، ج ٣، ص ٤٥٤.

العتبة العسكرية المقدسة في سامراء حاضرة الفكر والتراث (وقائع المؤتمر العلمي الدولي الثالث) / ج ٢

كالغيبة،^(١) والجدال وهو: كل شكل من أشكال الشجار اللفظي والنزاع الكلامي،^(٢) والمرء الذي يكون بدافع من التعصب واللجاجة وإظهار التفوق والفضل على الطرف الآخر، وقد حذر الإمام الهادي من المرء؛ لما للمرء من دور في إضعاف التواصل وعلاقات المودة، التي حث الإسلام على إرسالها في المجتمع بقوله عليه السلام: «المرء يفسد الصداقة القديمة، ويحلّ العقدة الوثيقة، وأقل ما فيه أن تكون المغالبة، والمغالبة أمتن أسباب القطيعة». ^(٣)

٤. التحذير من الرضا عن النفس

حب الذات أمر طبيعي وذاتي في الإنسان، ولولاه لما قام الإنسان بجلب المنافع لنفسه ودرء الأخطار عنها،^(٤) وقد شجع الإسلام على مسألة تكريم النفس، فعن أمير المؤمنين: «إنّ النفس لجوهرة ثمينة من صانها رفعها ومن ابتذلها وضعها». ^(٥) وعن الإبتعاد عن كلّ ما يחדش كرامتها فعنه عليه السلام: «أكرم نفسك عن كلّ دنيّة وإن ساقتك إلى الرغائب فإنّك لن تعترض عمّا تبذل من نفسك عوضاً». ^(٦)

إلا أنّ حب النفس الممدوح والذي يعد حافزاً ليوصل الإنسان إلى سعادة الدنيا والآخرة إذا لم ينضبط بحدود العقل والشرع تحوّل إلى أنانية، تبيح للفرد أن يسعى

(١) لما للإسلام الحنيف من تأكيد على إشاعة أجواء المحبة، والابتعاد عن كلّ ما يسبب البغضاء والكراهية، ورد أنّه إذا ظن الشخص أنّ التحلل من الغيبة وإخبار المغتاب يوجب إيذائه فعلى الشخص ان يستغفر له ولا يصرّح للمغتاب بأنّه استغابه. انظر: النراقي، محمد مهدي، جامع السعادات، ج ٢، ص ٢٤٢.

(٢) الشيرازي، ناصر مكارم، الأخلاق في القرآن، ج ٣، ص ٢٤٥.

(٣) الحلواني، حسين بن محمد، نزهة الناظر وتنبية الخاطر، ص ١٣٩.

(٤) الصدر، السيد محمد باقر، فلسفتنا، ص ٥٦.

(٥) الآمدي، عبد الواحد التميمي، غرر الحكم ودرر الكلم، ص ٢٢٧.

(٦) المصدر نفسه، ص ١٤٤.

لإرضاء نفسه ورغباتها ولو على حساب التعدي على حقوق الآخرين، والرضا عن النفس والغفلة والتعامي عن عيوبها، فالأنانية تمثل مانعاً قوياً، يحول دون الاعتراف بالعيوب والسعي لإصلاحها، بل قد يصل الأمر تغاض لاشعوري عنها، أو التوهم بأنها كمالات وبذلك يعيش مثل هذا الإنسان، حالة الوهم في ثياب الواقع. و حقيقة الأمر أنّ الاعتراف بالخطأ فضيلة، يحتاج إلى عزم، وإرادة راسخة، وإلّا فإن الإنسان سيسعى لتغطية عيوبه.^(١) ويرضى لنفسه ما لا يرضاه للآخرين، ويقوم بتبرير أخطائه، بل ويضع الآخرين في دائرة الاتهام، وهذا ما يؤثر سلباً على علاقته بمن حوله، ومما لاشك فيه فإنّ لهذا الرضا عن الأنا وعدم السعي لإصلاحها دور سلبي للعلاقات الاجتماعية التي تمثل محكاً وحافزاً لتربية الذات وتهذيبها، وهذا الأمر قد بينه الإمام الهادي عليه السلام بقوله: «من رضى عن نفسه كثر الساخطون عليه»^(٢)

٥. الدعوة إلى التحلي بالأدب

حب الجمال والتجمل من الأمور التي فُطر الإنسان عليها، والتي أكّد الإسلام عليها، فعن الإمام الصادق عليه السلام: «إِنَّ اللَّهَ (تَعَالَى) يُحِبُّ الْجَمَالَ وَالتَّجْمِيلَ...»^(٣) وبما أن الإنسان كائن ذو بعدين مادي معنوي، فقد اهتم الإسلام بما يزين الروح من أخلاق حميدة تزيّن الإنسان^(٤)

(١) الشيرازي، ناصر مكارم، الأخلاق في القرآن، ج ١، ص ٢٨٣

(٢) الحلواني، حسين بن محمد، نزهة الناظر وتنبية الخاطر، ص ١٣٩.

(٣) تتمّة الحديث «... وَيَكْرَهُ الْبُؤْسَ وَالتَّبَاؤُسَ، فَإِنَّ اللَّهَ (عَزَّ وَجَلَّ) إِذَا أَنْعَمَ عَلَى عَبْدٍ نِعْمَةً أَحَبَّ أَنْ يَرَى عَلَيْهِ أَثَرَهَا. قِيلَ: وَكَيْفَ؟ ذَلِكَ قَالَ: يُنْظَفُ ثَوْبُهُ، وَيُطَيَّبُ رِيحُهُ، وَيُجَصِّصُ دَارُهُ، وَيَكُنْسُ أَفْنِيَّتَهُ، حَتَّى إِذَا السَّرَاجُ قَبَلَ مَغِيبَ الشَّمْسِ يَنْفِي الْفَقْرَ، وَيَزِيدُ فِي الرُّزْقِ»، ينظر: الطوسي، محمد بن الحسن، الأمالي، ص ٢٧٥.

(٤) عن الإمام الصادق عليه السلام: «اطلبوا العلم وتزينوا معه بالحلم والوقار». المزاندراني، صالح، شرح أصول الكافي، ج ٢، ص ٦٥.

وتجعله حلو المعاشرة.^(١) ولهذا أكد الإمام الهادي على ذلك بروايته لحديث أمير المؤمنين عليه السلام: «الآدَابُ حُلٌّ حَسَانٌ... وَكَفَى بِكَ أَدْبًا تَرُكُكَ مَا كَرِهْتَهُ مِنْ غَيْرِكَ».^(٢) وقد عد الإمام الصادق عليه السلام الأدب أفضل ما يمكن أن يورثه الآباء لأبنائهم: فعنه عليه السلام: «إِنَّ خَيْرَ مَا وَرَثَ الْآبَاءُ لِأَبْنَائِهِمُ الْأَدَبُ لَا الْمَالُ؛ فَإِنَّ الْمَالَ يَذْهَبُ وَالْأَدَبُ يَبْقَى».^(٣)

٦. التحذير من تخيب مؤمل

السعي لقضاء حوائج الناس من الأمور التي حث عليها الإسلام، فقد ورد في الحديث القدسي: «أن من عبادي من يتقرب إلي بالحسنة فاحكمه في الجنة، فقال موسى: يا رب، وما تلك الحسنة؟ قال: يمشي مع أخيه المؤمن في قضاء حاجته قضيت أم لم تقض». ^(٤) ودعا إلى المبادرة إليها قبل تصريح الطرف المقابل، فعن الإمام الصادق عليه السلام "السخاء ما كان ابتداء، فأما ما كان من مسألة فحياء وتذمم". ^(٥) وعد حوائج الناس من النعم الإلهية، فعن الإمام الحسين عليه السلام: «إن حوائج الناس إليكم من نعم الله عليكم، فلا تملوا النعم». ^(٦) وأكد الإمام النقي عليه السلام على عدم تخيب أمل طالب حاجة، والذي يكون طلبه عادة بإراقة ماء وجهه، لأنه يسبب المقت الإلهي،

(١) وَقَالَ عليه السلام: «خَالِطُوا النَّاسَ مُخَالَطَةً إِنْ مَثُمَ مَعَهَا... إِنْ عَشْتُمْ حُنُوءًا إِلَيْكُمْ». ابن أبي الحديد،

شرح نهج البلاغة، ج ١٨، ص ٧.

(٢) الطوسي، محمد بن الحسن، الأمالي، ص ١١٥.

(٣) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج ٨، ص ١٥٠.

(٤) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج ٧٤، ص ٣٣٠.

(٥) المصدر نفسه، ج ٧١، ص ٣٥٧.

(٦) المصدر نفسه، ج ٧٤، ص ٣١٨.

بروايته عليه السلام لحديث لرسول الله ﷺ "لا تخب راجيك فيمقتك الله ويعاديك".^{(١)(٢)} وقد تجلت الأخلاق الحسنة بأعلى صورها في سيرة رسول الله ﷺ فقد ورد: "لم يكن يسأل شيئاً إلا قال: نعم"، إلا إذا لم تكن المصلحة العامة تقتضي ذلك.

٧. التحذير من الحرص

إن الحرص المجبول عليه الإنسان من آثار حب الذات، وقد تمت الإشارة آنفاً إلى أن حب الذات إذا بقي في حدوده المشروعة لا يعد من الأمور المذمومة فحسب، بل يكون سبباً لسعي الإنسان لسعادة الدارين، لذا فإن الحرص بحد ذاته ليس من الرذائل، بل هو الوسيلة الوحيدة التي تدعو الإنسان إلى بلوغ سعادته وكمال وجوده، فالحرص يدفعه لفعل الخير والابتعاد عن الشر^(٣) قال تعالى ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾^(٤) بل إن هناك مع التشجيع على الإنفاق والعطاء مدح على الاقتصاد في الأمور المادية فقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام في وصف المتقين: «وقصداً في غنى»^(٥) وإنما تكون رذيلة مذمومة إذا أساء الإنسان في تديرها،^(٦)

كالحرص على جمع المال ولو على حساب امتهان النفس، فالحرص يحطم شخصية الإنسان ويسقطه في أنظار الناس^(٧)، والمفارقة تكمن في أن الحرص يتصور أن السعادة في جمع المال وتكديسه، لكنّه في الحقيقة يعيش فقدان الراحة ويجرم نفسه من

(١) الريشهري، محمد المحمدي، ميزان الحكمة، ج ٣، ص ٢١١٢.

(٢) المصدر نفسه، ج ٧٥، ص ١٧٣.

(٣) ينظر: الطباطبائي، السيد محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ج ٢٠، ص ١٤، ١٣.

(٤) سورة العاديات، الآية: ٨.

(٥) الحراني، الحسن بن شعبة، تحف العقول، ص ١٦٠.

(٦) الطباطبائي، السيد محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ج ٢٠، صص ١٣،

(٧) الشيرازي، ناصر مكارم، الأخلاق في القرآن، ج ٢، ص ٨٦.

الطمأنينة والهدوء ويعيش في العسر والشقاء والتعب الدائم، فعن الإمام الهادي عليه السلام: «ما استراح ذو الحرص». ^(١)، لأن الحرص يتسبب بشعوره الدائم بالفقر والحاجة، وأن يعيش عيشة الفقراء بالرغم من غناه الظاهري. ^(٢) في حين يعيش الراحة أهل القناعة والرضا بما قسمه الله تعالى، ^(٣) وقد فسّر بعض المفسرين الحياة الطيبة بهما. ^(٤)

٨. التحذير من الحسد

يُعدّ الحسد من الأمراض النفسية التي حذر الإسلام منها لما لها من آثار جسدية، فعن أمير المؤمنين «الْعَجَبُ لِعَفْلَةِ الْحَسَادِ عَنِ سَلَامَةِ الْأَجْسَادِ»، ^(٥) ونفسية وعقائدية تطال الحاسد ففي الحديث القدسي: «الحاسد ساخط لنعمي، صاد لقسمي الذي قسمت بين عبادي». ^(٦) والحسد تمنى زوال النعمة عن الآخرين سواء وصلت هذه النعمة إلى الحاسد أم لا. وعليه فإنّ مبتغى الحسود هو التخريب أو تمّني التخريب وزوال آثار النعم والمواهب الإلهية عن الآخرين سواء انتقلت إليه تلك النعمة أم لا ^(٧)، وللحسد أسباب منها: الرؤية السطحية، وقد ينشأ الحسد أحياناً من العداوة، أو التكبر، والشعور بالذلة، والحسد أحد الأمراض القلبية المهلكة، ويتولّد منه أيضاً أمراض قلبية كثيرة، كالكبر وفساد الأعمال وتعدّد كلّ واحدة منها من الموبقات. ^(٨) وتشكّل سبباً مستقلاً لهلاك الإنسان، بل إنّ الحسد يعرّض الحاسد لزوال إيمانه، فعن

(١) الحلواني، حسين بن محمد، نزهة الناظر وتنبية الخاطر، ص ١٤١.

(٢) الشيرازي، ناصر مكارم، الأخلاق في القرآن، ج ٢، ص ٨٦.

(٣) القناعة الممدوحة والفهم الصحيح للتوكل على الله تعالى لا يتنافى مع السعي للرزق الحلال.

(٤) الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج ٨، ص ٣١٧.

(٥) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١٩، ص ٤٩.

(٦) المازندراني، صالح، شرح أصول الكافي، ج ٩، ص ٣١٩.

(٧) الشيرازي، ناصر مكارم، الأخلاق في القرآن، ج ٢، ص ١١٨.

(٨) الخميني، السيد روح الله، الأربعون حديثاً، ص ١٢٩، ١٣٠.

أبي جعفر عليه السلام: «... وَإِنَّ الْحَسَدَ لَيَأْكُلُ الْإِيمَانَ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ»^(١) ونقصان الحسنات، فعن الإمام الهادي عليه السلام: «الْحَسَدُ مَاحِقٌ»^(٢) الْحَسَنَاتِ..، التي تمثل المعيار الحقيقي للإنسان في حياته الأبدية فعنه عليه السلام: «النَّاسُ فِي الدُّنْيَا بِالْأَمْوَالِ، وَفِي الْآخِرَةِ بِالْأَعْمَالِ»^(٣) وقد ورد في الكتب الأخلاقية طرق لعلاج الحسد.^(٤)

٩. التحذير من الهزل

بالرغم من تشجيع الإسلام على المزاح الإيجابي الذي لا يكون فيه مساس لكرامة أحد أو تعدد على الحدود الإلهية، ويكون هدف المزاح فيه الترويح عن نفوس الآخرين، بل عدّ المزاح من حسن الخلق، فقد سأل الإمام الصادق عليه السلام يونس الشيباني: «كيف مداعبة بعضكم بعضاً؟ فأجاب: «قليلًا»، قال: «فلا تفعلوا فإنّ المداعبة من حسن الخلق، وإنك لتدخل بها السرور على أخيك، ولقد كان النبي يداعب الرجل يريد به أن يسره»، إلا أنّ هناك نهي عن السخرية والإستخفاف بالآخرين، لكونها تنبع من قلة وعي الفرد وجهله، فعن الإمام الهادي عليه السلام «الهزل فُكَاهَةٌ السُّفَهَاءِ، وَصِنَاعَةُ الْجُهَّالِ»^(٥) حيث إنّ المتأمل يجد أن السخرية تقوم على أساس التكبر والتعالي، وقد حذر القرآن الكريم منهما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾^(٦).

(١) المازندراني، صالح، شرح أصول الكافي، ج ٩، ص ٣١٦.

(٢) المَحَقُّ: التَّقْصَانُ وَذَهَابُ الْبَرَكَةِ، ابن منظور، لسان العرب، ج ١٠، ص ٣٣٨.

(٣) الحلواني، حسين بن محمد، نزهة الناظر وتنبية الخاطر، ص ١٣٩.

(٤) ينظر: الخميني، السيد روح الله، الأربعون حديثاً، ص ١٣٨.

(٥) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج ٧٨، ص ٣٦٩.

(٦) سورة الحجرات، الآية: ١١.

١٠. التذكير بالموت

حب البقاء من الأمور التي فُطر الإنسان عليها، فالإنسان بفطرته يكره الزوال والفناء، فإذا آمن عقله بأن هذه الدنيا دار فناء ودار ممر، وأن الآخرة هي دار البقاء، وأيقن قلبه بذلك سوف لن يتعاطى مع الموت وكأنه فناء وسيقل تعلقه بالدنيا لأنها هي دار الفناء، والآخرة دار البقاء والبهجة والسرور، لأحبها بالفطرة، ولكن الإنسان في الغالب بسبب نقص الإيمان والغفلة من جهة وإزدياد تعلقه بالدنيا نتيجة لكثرة إنشاده إليها من جهة أخرى تجعله ينسى أنه يعيش دار ممر، وأن الحياة الباقية هي الآخرة،^(١) لذا قام القرآن الكريم والمعصومين ع بدور التذكرة بحقيقة الدنيا وزوالها، لأن في الغفلة عن ذلك آثار كثيرة منها: التسويل والغرور وقلة التزود للحياة الأبدية، عن الإمام الهادي عليه السلام: «اذكر مصرعك بين يدي أهلك، لا طيب يمنعك، ولا حبيب ينفعك»^(٢) وهذا التأكيد نابع لما لذكر الموت من الأثر التربوي العميق في كسر الشهوات وإنهاء الآمال الطويلة، ومحو آثار الغفلة عن مرآة القلب،^(٣) لذا ورد عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «ذِكْرُ الْمَوْتِ يُمِيتُ الشَّهَوَاتِ فِي النَّفْسِ وَيَقْطَعُ مَنَابِتَ الْغَفْلَةِ وَيُقَوِّي الْقَلْبَ بِمَوَاعِدِ اللَّهِ تَعَالَى وَيُرِقُّ الطَّبْعَ وَيَكْسِرُ أَعْلَامَ الْهَوَى وَيُطْفِئُ نَارَ الْحَرِصِ وَيُحَقِّرُ الدُّنْيَا.. وهو معنى ما قال النبي: «فِكْرُ سَاعَةٍ خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ سَنَةٍ».

ب) سيرته عليه السلام العملية المباركة

١. إكرامه ع لأمه

لا يخفى على أحد أهمية الروابط العائلية وآثارها الاجتماعية، وقد أكد الإسلام على

(١) ينظر: الخميني، روح الله الموسوي، الأربعون حديث، الحديث السادس (من أصبح وامسى والدنيا أو الآخرة أكبر همه)، فصل: في بيان سبب ازدياد حب الدنيا، ص ١٤٦.

(٢) الحلواني، حسين، نزهة الناظر وتنبيه الخاطر، ص ١٤١.

(٣) الشيرازي، ناصر مكارم، تفسير الأمثل، ج ١٩، ص ٢٢٨.

الروابط العائلية كون العائلة اللبنة الأساس لبناء مجتمع صالح؛ فعن رسول الله ﷺ: «ما بني بناء في الإسلام أحب إلى الله من التزويج»^(١) والأم كما لا يخفى الركن الركين للأسرة، إذ إنها تبذل طاقتها وتصرف سنين عمرها لإسعاد أفراد أسرتها وتربية أبنائها، وقد أكد الإسلام على مكانة الأم وحقها على الأبناء واحترامها، فعن الإمام السجاد: «أَمَّا حَقُّ أُمِّكَ فَإِنَّ تَعْلَمَ أَنَّهَا حَمَلَتْكَ حَيْثُ لَا يَحْتَمِلُ أَحَدٌ أَحَدًا، وَأَعْطَتْكَ مِنْ ثَمَرَةِ قَلْبِهَا مَا لَا يُعْطِي أَحَدٌ أَحَدًا، وَوَقَّتَكَ بِجَمِيعِ جَوَارِحِهَا وَلَمْ تُبَالِ أَنْ تَجُوعَ وَتُطْعَمَكَ وَتَعْطَشَ وَتَسْقِيَكَ ... وَتَهْجُرَ النَّوْمَ لِأَجْلِكَ وَوَقَّتَكَ الْحَرَ وَالْبُرْدَ لِتَكُونَ لَهَا فَإِنَّكَ لَا تُطِيقُ شُكْرَهَا إِلَّا بِعَوْنِ اللَّهِ وَتَوْفِيقِهِ»^(٢) وقد تجلى هذا الاهتمام بالسيرة العملية لأهل البيت عليهم السلام، فعن الإمام الهادي عليه السلام: «أُمِّي عَارِفَةٌ بِحَقِّي، وَهِيَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، لَا يَقْرُبُهَا شَيْطَانٌ مَارِدٌ، وَلَا يَنَالُهَا كَيْدُ جَبَّارٍ عَنِيدٍ، وَهِيَ مَكْلُوءَةٌ بِعَيْنِ اللَّهِ الَّتِي لَا تَنَامُ، وَلَا تَتَخَلَّفُ عَنْ أُمَّهَاتِ الصُّدِّيقِينَ وَالصَّالِحِينَ»^(٣) ويتجلى في هذا المدح لوالدته عليه السلام بالإضافة إلى البعد العاطفي والتكريم بيان للمكانة الإعتقادية التي وصلت لها رضوان الله عليها في معرفتها بإمامة ولدها عليه السلام، وشهادته عليه السلام بكونها من أهل الجنة، والذي يكشف عن إيمانها الثابت، وحصانتها من الشياطين، وكونها مشمولة بالعبادة الإلهية الخاصة^(٤).

٢. تكريمه عليه السلام لزوجته

للمرأة مكانة خاصة في الإسلام على العكس مما يروج له بأنه يظلمها أو يجعل هدف خلقتها لخدمة الرجل، فبالإضافة لكونها متساوية مع الرجل في الإنسانية،

(١) العامل، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، ج ١٤، ص ٣.

(٢) الصدوق، محمد بن علي، من لا يحضره الفقيه، ج ٢، ص ٦٢١.

(٣) الطبري، محمد بن جرير، دلائل الإمامة، ص ٤١٠.

(٤) مطهري، حميد رضا، زهراء، يوسفیان، دراسة في سيرة الإمام الهادي في الروابط العائلية، مجلة

تاريخ پژوهشی اسلام، العدد ٧١، ١٣٩٦ هـ ش، ص ١٠٦.

العتبة العسكرية المقدسة في سامراء حاضرة الفكر والتراث (وقائع المؤتمر العلمي الدولي الثالث) / ج ٢

قال تعالى: «أَنْتِي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى»،^(١) توجد فلها مكانة خاصة في الإسلام، فعن الإمام الصادق: «أكثر الخير في النساء»،^(٢) فالمرأة منبع الأُنس والحنان، والأم التي تربي الأبناء، فعن الإمام السجاد عليه السلام: «أما حقُّ الزَّوْجَةِ فَاَنْ تَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَهَا لَكَ سَكَنًا وَانْسًا، فَتَعْلَمَ أَنَّ ذَلِكَ نِعْمَةٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْكَ، فَتُكْرِمُهَا وَتُرْفِقُ بِهَا». (٣) الإمام الهادي عليه السلام بين هذا الاهتمام والتكريم للزوجة في قوله عليه السلام: «سليل مسلولة من الآفات والعاهات والأرجاس والأنجاس». (٤) وفي هذا القول الشريف درس تربوي في التركيز على الصفات الإيجابية لشريك الحياة، الذي يعد جزءاً من نظام أساليب التعامل الصحيحة للأزواج السعداء، كما إن هذا التركيز يمنح الزوجين الشعور بالرضا. (٥)

٣. تكريمه لأبنائه عليه السلام:

إن إبراز المحبة للأبناء من الأمور التي فُطِرَ الإنسان عليها، وشجع الإسلام عليها وعلى إبرازها فعن الرسول ص: «أكثروا من قبلة أولادكم، فإن لكم بكل قبلة درجة في الجنة ما بين كل درجة خمسمائة عام»،^(٦) لما لها من دور في تقوية العلاقة بين المربي والمتربي، وبالإضافة إلى إبراز المحبة أكد الرسول ص على أهمية التكريم: «أكرموا أولادكم وأحسنوا آدابهم يغفر لكم»^(٧) وقد تجلّى هذا التأكيد على تكريم الأولاد

(١) سورة آل عمران، الآية ١٩٥.

(٢) العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، ج ١٤، ص ١١.

(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج ٧٤، ص ٥.

(٤) المسعودي، علي بن الحسين، إثبات الوصية، ص ٢٤٠.

(٥) منيرة شريقي، دراسة في التفاؤل ودوره في تقوية بناء الأسرة، مجلة روان شناسي ودين،

العدد ٧٦، ١٣٩٦، ص ٧١.

(٦) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج ١٠٤، ص ٩٢.

(٧) المصدر نفسه، ج ١٠٤، ص ٩٤.

في السيرة العملية للإمام الهادي عليه السلام، حيث كان يكرم ولده السيد محمد مما جعل البعض يتصور أنه هو الإمام من بعده عليه السلام،^(١) ومن مظاهر تكريم الأبناء إعطائهم المسؤوليات، إذ أوكل إدارة أراضيه الزراعية تحت إشراف ولده السيد محمد.^(٢)

٤. اهتمامه عليه السلام بالأرحام وشؤونهم

الإنسان بفطرة حبه للكمال يسعى للقرب الإلهي لأنه تعالى الكمال المطلق، عن أمير المؤمنين عليه السلام: «ما عبدتك خوفاً من نارك، ولا طمعا في جنتك، لكن وجدتك أهلا للعبادة فعبدتك»،^(٣) إلا أن العبودية الحقيقية تتجلى في أن يعيش العبد الطاعة الحقيقية وأن يعبد الله من حيث يريد هو تعالى، لا من حيث هو يشتهي،^(٤) ومن الأمور التي أعارها الإسلام إهتماما بالغاً صلة الأرحام؛ وقد قرن تقوى من قطعها بتقوى الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾.^(٥) وسبب التأكيد على الرحم هو أن عملية إصلاح المجتمع وتقوية بنيته وصيانة مسيرة تكامله وعظمته في الحقل المادي والمعنوي، تفرض البدء بتقوية اللبنة الأساسية التي يتكون منها البناء الاجتماعي، وعند استحكام اللبنة وتقويتها سيتم إصلاح المجتمع تلقائياً. فالإسلام مارس هذه العملية على النحو الأكمل في بناء المجتمع الإسلامي القوي الشامخ، وأمر بإصلاح الوحدات الاجتماعية. وواضح أن المجتمع يزداد قوة وعظمة

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج ١، ص ٣٢٥، ٣٢٨.

(٢) العامري، ثامر عبد الحسن، المراقد والمزارات في العراق، ص ٣٥١.

(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج ٦٧، ص ١٨٦.

(٤) عن مولانا الصادق عليه السلام قال: أمر إبليس بالسجود لآدم، فقال: يارب وعزتك إن أعفيتني من السجود لآدم لا عبدتك عبادة ما عبدك أحد قط مثلها، قال الله جلّ جلاله: إنّي أحب أن اطاع من حيث أريد. ينظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج ١١، ص ١٤٥.

(٥) سورة النساء، الآية ١.

العتبة العسكرية المقدسة في سامراء حاضرة الفكر والتراث (وقائع المؤتمر العلمي الدولي الثالث) / ج ٢

كلما ازداد التماسك والتعاون والتكاتف في الوحدات الاجتماعية الصغيرة^(١). وإلى هذه الحقيقة يشير الحديث الشريف: «صلة الرحم تعمر الديار»^(٢)، وقد تجلت مسألة صلة الأرحام في السيرة النبوية وأهل بيته الأطهار إلى اسمى معانيها، حيث ذكرت كتب التاريخ أنّ الإمام الصادق أوصى ولده الكاظم عليه السلام وهو في آخر لحظات عمره الشريف بأن يعطي سبعين ديناراً، لأحد أرحامه حمل الخنجر عليه!^(٣) ومن المصاديق البارزة لصلة الأرحام الإنفاق المادي وأكد القرآن الكريم عليه، قال تعالى ﴿وَأْتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾^(٤)، وتجلّى تكريم الأرحام في سيرة الإمام المهدي عليه السلام، خصوصاً أنّ المتوكل كان يقوم بالتضييق الشديد على العلويين، فكان عليه السلام يقوم بصلة الأرحام ويغدق عليهم بالعطاء،^(٥) ومن الأوقات التي يحتاج فيها الفرد لمعونة أقاربه وقت المرض، ولاهتمامهم بأمره أثر نفسي، حيث يشعر بأنه مورد اهتمامهم، يذكر أحد أقارب الإمام المهدي وهو زيد بن علي بن الحسين بأنه مرض ذات يوم، وقد زاره الطبيب ليلاً ووصف له دواءً، وما أن خرج الطبيب من عنده، حتى جاءه خادم الإمام المهدي وأخبره أنّ الإمام يقول له: «مولاي يقول لك الطبيب استعمل لك دواء مدة عشرة أيام، نحن إنّما بعثنا لك هذا الدواء فخذ منه مرة واحدة تبرأ بإذن

(١) الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج ١، ص ١٤٤.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج ٤٧، ص ١٦٣.

(٣) روت سالمة أمة الإمام الصادق عليه السلام أوصى وهو في آخر لحظات عمره المبارك: «أعطوا الحسن بن علي سبعين ديناراً، وأعطوا فلانا كذا، وفلانا كذا. قلت: أتعطي رجلاً حمل عليك بالشفرة يريد أن يقتلك؟ قال: أتريدون ألا أكون من الذين قال عنهم الله عز وجل ﴿الَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾؟ نعم يا سالمة، إنّ الله خلق الجنة وطيب ريحها ولا يجد ريحها عاق ولا قاطع رحم». ينظر: التستري، نور الله، إحقاق الحق وإزهاق الباطل، ج ٢٨، ص ٤٧.

(٤) الروم، آية ٢٦.

(٥) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج ١، ص ٤٩٨.

الله تعالى من ساعتك». ثم قال زيد: «والله علمت أن قوله حق فأخذت ذلك الدواء من مرة واحدة فتعافيت من ساعتني... وعندما رأني الطبيب معافى من علتني ما كان السبب في عافيتني فحدثته عن دواء أبي الحسن... فمضى إلى أبي الحسن وأسلم على يده وقال: «يا سيدي هذا علم المسيح وليس يعلمه أحد الا من يكون مثله». (١) ولما للجلس من دور في التأثير على جلسائه حذر الإمام الهادي عليه السلام أبو هاشم الجعفري من مصاحبة شخص يقال له عبد الرحمن الذي كان يقول بتجسيم الله تعالى، (٢) لما من المجالسة مع أهل الفكر المنحرف من التأثير على الأفكار والعقائد، لذا فإنه يتوجب على من يريد الحفاظ على عقائده تجنب كتب ووسائل الإعلام التي تنشر الشبهات وتسبب تضليل الناس وخصوصاً الشباب وحرفهم عن عقائدهم.

٥. كرمه عليه السلام: لا ينظر الإسلام إلى المال نظرة سلبية، بل عبر القرآن عنه بالخير، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ ويرى المفسرون أن إطلاق الخير على المال في الآية يعود إلى أن المال في حد ذاته شيء حسن، ويستطيع أن يكون وسيلة لأنواع الخيرات. (١) فالمال وسيلة للخير وإدخال السرور على المؤمنين، وقضاء حوائجهم، وقد تجلي ذلك في سيرة الإمام الهادي عليه السلام فعن محمد بن زيد قال: «كنت عند علي بن محمد عليه السلام، إذ دخل عليه قوم يشكون الجوع، فضرب بيده إلى الأرض وكال لهم برّاً ودقيقاً. (٤) وكان عليه السلام السلام قد قضى للكثير من المحتاجين ديونهم ووهب لهم الكثير من المال (٥)، وقد سجل التاريخ له عليه السلام اهتمامه لغلماؤه وظهورهم بالمظهر اللائق، فعن يحيى بن هرثمة أنه دخل على الإمام الهادي فشهد عنده خياط يقوم بإعداد الثياب له عليه السلام ولغلماؤه،

(١) الخصيبي، الحسين بن حمدان، الهداية الكبرى، ص ٣١٤.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج ٢، ص ٣٧٤، ٣٧٥.

(١) الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في كتاب الله المنزل، ج ٢٠، ص ٣٩٧.

(٤) الصالح، عبد الله نجف آبادي وآخرون، موسوعة الإمام الهادي، ج ١، ص ٣٨٦.

(٥) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج ٦٩، ص ٣٢٦.

ولم ينحصر تكريم الإمام على الجانب المادي، بل إنه عليه اهتم بتثقيف غلمانه وهياً لهم معلماً ليقوم بتعليمهم كان اسمه أحمد بن هارون.^(١)

٦. شكره عليه السلام لمن دعا له ودعائه له: دعا أهل البيت عليهم السلام إلى شكر المخلوقين، وعدّوا ذلك مقدمة لشكر للخالق، فعن الإمام السجاد عليه السلام: «يقول الله تبارك وتعالى لعبد من عباده يوم القيامة: أشكرت فلاناً؟ فيقول: بل شكرتك يا رب، فيقول: لم تشكرني إذ لم تشكره. ثم قال عليه السلام: أشكركم الله أشكركم للناس»^(٢) وقد برز ذلك في سيرتهم العملية، ففي عهد الإمام الهادي عليه السلام كان رجل بإصفهان اسمه عبد الرحمن، وعندما سُئل: عن سبب قوله بإمامة عليّ النقيّ عليه السلام دون غيره من أهل الزمان؟ قال: «شاهدت ما أوجب ذلك عليّ» إذ كان متكلماً فطلب منه أهل اصفهان الذهاب للمتوكل للتظلم، وعندما كان على بابهِ شاهد الإمام الهادي عليه السلام الذي استدعاه المتوكل والناس عن يمينه وشماله، وعندما شاهد الطلعة البهية للإمام وقع حب الإمام في قلبه، وراح يدعو في نفسه للإمام بأن يحفظه الله تعالى من شر المتوكل، وعندما مرّ الإمام به رفع رأسه المبارك وقال له شاكرًا: «استجاب الله دعاءك، وطوّل عمرك، وكثّر مالك وولدك». فارتعد عبد الرحمن من هيبة الإمام وأغمي عليه، يقول عبد الرحمن: «فانصرفنا بعد ذلك إلى اصفهان، ففتح الله عليّ وجوها من المال، حتّى أنا اليوم أغلق بابي على ما قيمته ألف ألف درهم، سوى مالي خارج داري، ورزقت عشرة من الأولاد، وقد بلغت الآن من عمري ثيِّفاً وسبعين سنة، وأنا أقول بإمامة هذا الذي علم ما في قلبي، واستجاب الله دعاءه فيّ وليّ».^(٣)

(١) الصالح، عبد الله نجف آبادي وآخرون، موسوعة الإمام الهادي، ج ١، ص ٤١٦.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٣٨.

(٣) المصدر نفسه، ج ٥٠، ص ١٤١.

٧. تكريمه عليه السلام للعالم

كرم الإسلام العلم والعلماء، ورفع من شأنهم، قال تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾^(١)، وقد تجلّى هذا الاحترام في سيرة الإمام الهادي عليه السلام فقد أفحم أحد فقهاء الشيعة أحد المحتالين، حتى كشف أمره، فدخل على الإمام وفي صدر مجلسه كرسي عظيم منصوب، وبحضرته الكثير من العلويين، وبني هاشم، فما زال يرفعه حتى أجلسه في ذلك الكرسي^(٢).

٨. تثمينه عليه السلام للهدية وإجابته للدعوة

شجع الإسلام على كل ما يزيد من علاقات المودة وأواصر المحبة، كالتبسم وافشاء السلام، والهدية، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله: «تهادوا تحابوا، تهادوا فإنها تذهب بالضغائن»^(٣)، والتشجيع على قبول الهدية مهما كانت بسيطة، لما تحمله من معاني المودة، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله: «ولو أهدى إلي كراع لقبلت»^(٤)، يروي أبو هاشم الجعفري، أنه كان عند الإمام الهادي عليه السلام فجاء صبي من صبيانه فناوله وردة، فقبلها ووضعها على عينيه، ثم ناولنيها وقال: «يا أبا هاشم! من تناول وردة أو ريحانة، فقبلها ووضعها على عينيه، ثم صلى على محمد وآل محمد، كتب الله له الحسنات مثل رمل عالج»^(٥)، ومضى عنه من السيئات مثل ذلك»^(٦). كما إن كرم الطبع لا يقتصر على العطاء

(١) سورة المجادلة، الآية ١١.

(٢) الصالحى، عبد الله نجف آبادي وآخرون، موسوعة الإمام الهادي، ج ١، ص ٤٢١.

(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج ٧٥، ص ٤٤.

(٤) المصدر نفسه، ج ٧٧، ص ٥٤.

(٥) قيل إن عالج جبال قرب يمامة.

(٦) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ص ٦، ص ٥٢٥.

العتبة العسكرية المقدسة في سامراء حاضرة الفكر والتراث (وقائع المؤتمر العلمي الدولي الثالث) / ج ٢

والإطعام، بل في قبول الدعوة، فعن رسول الله ﷺ: «لو دعيت إلى كراع لأجبت»،^(١) وقد سجل التاريخ قبول الإمام الهادي ع للدعوة فعن الحسن بن محمد بن جمهور: «حدثني سعيد ... قال: اجتمعنا أيضاً في وليمة لبعض أهل سرّ من رأى، وأبو الحسن عليه السلام معنا».^(٢) وعن جعفر بن القاسم الهاشمي البصري، وكان معه عليه السلام بسامراء بعد أيام أقام أحد أولاد الخليفة وليمة، فدعانا فيها ودعا أبا الحسن ع معنا، فدخلنا، فلما رأوه أنصتوا إجلالاً له».^(٣) وكان الأئمة عليهم السلام يوظفون تلك اللقاءات لرفع حوائج المؤمنين، وإصلاح أمورهم، وإرشاد الحكام لما فيه صلاح المسلمين.^(٤)

٩. دعائه عليه السلام للموالين: لا تقتصر علاقة الإمام بالناس على الإرشاد والتعليم النظري، بل هي علاقة محبة نابغة من المحبة الإلهية، فعن الإمام الرضا عليه السلام: «الإمام الأنيس الرفيق والوالد الشفيق والأخ الشقيق»،^(٥) فظاهرة الأُنس والرفق والشفقة والإخاء في الإمام المفترض الطاعة لا تقاس إلى غيرها من الناس، لأنها لم تبين علي صرح الغرائز العاطفية البشرية الزائلة؛ بل حبه للعباد نابع من محبة الله عز وجل ورحمته لهم، ولا ترمي من ورائها الأغراض المادية، كما هي في غير فإن الأُنس والرفق بين الرفقة المتتائسين ناشيء عن أمر زائل يزول بزواله، وكذا الوالد في حب ولده المطبوع عليه والأخ للأخ عن الطبع الذي جعله الله في البشر الأمر الأهم هو الاستدلال به علي

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج ٧٧، ص ٥٤.

(٢) الصالحي، عبد الله نجف آبادي وآخرون، موسوعة الإمام الهادي، ج ١، ص ٣٨٦.

(٣) المصدر نفسه، ج ١، ص ٣٨٧.

(٤) تذكر كتب التاريخ أن الحسن الأفطس خرج مع النفس الزكية ولما قتل النفس الزكية محمد بن عبد الله اختفى الحسن الأفطس بن علي، فلما دخل الإمام الصادق عليه السلام العراق ولقى المنصور قال له: «يا أمير المؤمنين، تريد أن تسدي إلى رسول الله يد»؟ قال: «نعم يا أبا عبد الله»، قال: «تعفو عن ابنه الحسن بن علي بن علي». فعفا المنصور عنه. ينظر: الحسنسي، أحمد بن علي، عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، ص ٣٣٩، ٣٤٠.

(٥) الكليني، محمد بن يعقوب، أصول الكافي، ج ١، ص ١٠٠.

محبة الله الذاتية غير المعلولة عن العلل الزائفة، ولعل توصيف الإمام بهذه الخصال من دون ذكر أداة التشبيه إشارة إلى أنه توصيف حقيقي باق ببقاء الحقيقة الذاتية المطلقة. (١) والإمام المعصوم عليه السلام هو الشفيق في الدنيا والآخرة، فهو وصي نبي الرحمة. (٢) ومن مظاهر محبة الإمام وعطفه الدعاء للموالين، وقد ورد عن الإمام الهادي عليه السلام دعاء يقول عليه السلام فيه: «أَنْ تُصَلِّيَ عَلَيَّ مُحَمَّدٌ وَعَلَى مُحَمَّدٍ وَأَنْ تَجْعَلَ شِيعَتِي مِنَ الَّذِينَ حُمِّلُوا فَصَدَّقُوا وَاسْتَنْطَقُوا فَتَطْفُوا آمِنِينَ مَأْمُونِينَ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ لَهُمْ تَوْفِيقَ أَهْلِ الْهُدَى وَأَعْمَالَ أَهْلِ الْيَقِينِ وَمَنَاصِحَةَ أَهْلِ التَّوْبَةِ وَعَزْمَ أَهْلِ الصَّبْرِ وَتَقِيَّةَ أَهْلِ الْوَرَعِ وَكَيْفَانَ الصَّادِقِينَ حَتَّى يَخَافُوكَ اللَّهُمَّ مَخَافَةَ تَحْجِزُهُمْ عَنْ مَعَاصِيكَ وَحَتَّى يَعْمَلُوا بِطَاعَتِكَ لِيَنَالُوا كَرَامَتَكَ وَحَتَّى يُنَاصِحُوا لَكَ وَفِيكَ خَوْفًا مِنْكَ - وَحَتَّى يُجْلِصُوا لَكَ النَّصِيحَةَ فِي التَّوْبَةِ حُبًّا لَكَ فَتُوجِبَ لَهُمْ مَحَبَّتَكَ الَّتِي أَوْجَبْتَهَا لِلتَّوَّابِينَ وَحَتَّى يَتَوَكَّلُوا عَلَيْكَ فِي أُمُورِهِمْ كُلِّهَا حُسْنِ ظَنِّ بِكَ وَحَتَّى يُفَوِّضُوا إِلَيْكَ أُمُورَهُمْ ثِقَةً بِكَ اللَّهُمَّ لَا تُنَالُ طَاعَتَكَ إِلَّا بِتَوْفِيقِكَ وَلَا تُنَالُ دَرَجَةً مِنْ دَرَجَاتِ الْخَيْرِ إِلَّا بِكَ». (٣)

١٠. عفوهُ عن ظلمه

إنَّ صفة العفو عند المقدرة، وترك الإنتقام من أهم الفضائل الأخلاقية التي لا يصل الإنسان إلى مراتب الكمال بدونها. (٤) وللعفو آثار وفوائد جعلته مورد اهتمام علماء النفس والتربويين، والمعالجين النفسيين ومنها: حل الاختلافات، الصحة النفسية، والرضا عن الحياة، والسلامة العقلية والمعنوية، (٥) وقد شجّع الإسلام

(١) الغروي، محمد، الأمثال والحكم المستخرجة من كلمات الرضاع، ص ١٦٥.

(٢) قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾.

(٣) ابن طاووس، علي، مهج الدعوات ومنهج العبادات، ص ٦٢.

(٤) الشيرازي، ناصر مكارم، الأخلاق في القرآن.

(٥) منيرة شريفي، وآخرون، (دراسة في التفاؤل ودوره في تحكيم الأسرة)، مجلة روان شناسي

ودين، ١٣٩٦ هـ، العدد ٣٨، ص ٧١.

عليها فعن رسول الله ﷺ: «عليكم بالعفو، فإنّ العفو لا يزيد العبد إلا عزّاً، فتعافوا يعزّكم الله». (١) وقد وجد الباحثون أنّ للعفو علاقة وثيقة بالشعور بالمسؤولية، والإنسجام، والصدق والتواضع، والتقدير، والعلاقات الاجتماعية السليمة والأمل والتفاؤل. (٢) وقد تجلّت صفة العفو في سيرة الإمام الهادي مع بريجة العباسي الذي وشى به للمتوكل، إذ كتب بريجة العباسي إلى المتوكل: «إن كان لك في الحرمين حاجة فأخرج عليّ بن محمد منهما...»، فأرسل المتوكل يحيى بن هرثمة، وكتب معه إلى أبي الحسن عليه السلام... وبعد أن ساروا بالإمام الهادي عليه السلام وخرج عليه السلام متوجّها نحو العراق... فلما قطعوا مسافة من الطريق قال له بريجة: «قد علمت وقوفك على أنّي كنت السبب في حملك، وعليّ حلف بأيمان مغلظة، لئن شكوتني إلى أمير المؤمنين، أو إلى أحد من خاصته، وأبنائه لأجرنّ نخلك، ولأقتلنّ مواليك، ولأعورنّ عيون ضيعتك، ولأفعلنّ، ولأصنعنّ». فالتفت إليه أبو الحسن عليه السلام فقال له: إنّ أقرب عرضي إليك على البارحة، وما كنت لأعرضنك عليه ثم لأشكونك إلى غيره من خلقه. عندها فانكبّ عليه بريجة، وضرع إليه، وطلب منه العفو. فقال له الإمام عليه السلام: «قد عفوت عنك». (٣)

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج ٢، ص ١٠٨.

(٢) زادگان، علي عيسى، سايكلوجية العفو ومكانته في أدعية الصحيفة السجادية، مجلة معرفت، ١٣٩١ هـ.ش. العدد ١٧٤، ص ١٤.

(٣) الصالحی، عبد الله نجف آبادي وآخرون، موسوعة الإمام الهادي، ج ١، ص ٤٣٧.

النتائج:

أكد الإسلام على أهمية التخلق، والسعي للتخلص من الرذائل والتحلي بالفضائل، ورفع من الهدف الغائي للتخلق وجعله الوصول إلى القرب الإلهي، وقد تجلّى هذا التأكيد في أقوال وسيرة النبي ﷺ وآله الأطهار عليهم السلام العملية، ومن هؤلاء الأئمة الأطهار الإمام الهادي عليه السلام، الذي أكد عليه بأقواله وسيرته العملية المباركة على أهمية وضرة التحلي بالفضائل الأخلاقية والإبتعاد عن الرذائل الأخلاقية، فكانت وصاياه وسيرته تجلياً للأخلاق السامية ولعل هذا الاهتمام منه عليه السلام دليلاً واضحاً في أهمية السعي لتزكية النفوس وتربيتها، وماله من دور في الوصول للسعادة الحقيقية على الصعيد الفردي والاجتماعي والحياة الطيبة في الدنيا والفوز الأخروي الأبدي.

المصادر

القرآن الكريم

٤٦

١. ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ١٤١٤ هـ.
٢. جعفر شرف الدين، الموسوعة القرآنية، خصائص السور، عبد العزيز بن عثمان التويجري، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، بيروت، ١٤٢٠ هـ.
٣. الجوزي، يوسف بن قزواغلي، تذكرة الخواص من الأمة بذكر خصائص الأئمة، تحقيق حسين تقي زاده، المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام، قم، ١٤٢٦ هـ.ق.
٤. الحراني، الحسن بن علي، تحف العقول عن آل الرسول، تصحيح: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤٠٤ هـ.ق.
٥. الحلواني، حسين، نزهة الناظر وتنبية الخاطر، مدرسة الإمام المهدي، قم، ١٤٠٨ هـ.ق.
٦. الخميني، السيد روح الله، الأربعون حديثاً، مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني، طهران، ١٤٢٤ هـ.
٧. شريفى، منيرة، دراسة في التفاؤل ودوره في تقوية بناء الاسرة، مجلة روان شناسي ودين، العدد ٧٦، ١٣٩٦.
٨. الشيرازي، ناصر مكارم، الأخلاق في القرآن، اعداد جمع من الفضلاء، مدرسة الإمام علي ابن أبي طالب، قم، ١٤٢٨ هـ.ش.
٩. الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، مدرسة الإمام علي ابن أبي طالب، قم، ١٣٧٩ هـ.ق.
١٠. عبد الله صالحى نجف آبادي وآخرون، موسوعة الإمام الهادي، مؤسسة ولي

العصر، قم، ١٤٢٤ هـ.ق.

١١. الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، تحقيق علي أكبر غفاري، أحمد آخوندي،
دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٤٠٧ هـ.ق.

١٢. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، تحقيق جمع من المؤلفين، مؤسسة الوفاء،
بيروت، ١٤٠٣ هـ.ق.



البحث الثاني

قبسات نورانية من سيره نساء تشرفن
بالولادة المهدوية (السيدة حكيمة والسيدة

نرجس عليهما السلام مصداقاً)

أ. د. أمل سهيل عبد الحسيني

م. أزهار جبر هادي

جامعة الكوفة / كلية التربية



الملخص:

الحضارات الإنسانية جمعاء لم تكن ذكرية مئة بالمئة، ولا هي أنثوية مئة بالمئة، بل هي مشاركة ومساهمة ومثابرة وإخلاص من كلا الجنسين، ليس هذا فقط، بل كان لهن دور في انتصار كل الرسالات السماوية، فجل الرسالات اعتمدت على النساء ابتداءً من سيدنا إبراهيم عليه السلام وانتهاءً بسيدنا محمد صلى الله عليه وآله فهذا إبراهيم يترك هاجر وولده الوحيد في أرض ليس فيها كلء ولا ماء لتصبح بعد ذلك قصتها مناسك للجميع في كل عام وليبارك المولى عز وجل بأرض سكنتها هاجر ورضيعها الصغير، ثم ليأتي بعد ذلك دور أم موسى وأخته مريم عليهما السلام اللتان كانتا سبباً في إنقاذ موسى عليه السلام من موت محتم لتكتمل بعد ذلك الدور السيدة آسيا بنت مزاحم التي أكملت مشوار الإنقاذ، ثم مريم العذراء التي انفردت بمعجزة الحمل المبارك بسيدنا عيسى عليه السلام وقد تحملت ما تحملت من أجل رسالته، والقائمة تطول وتطول بنسوة كنّ مثلاً يحتذى به وعلى مر العصور، حتى جاء عصر النبي محمد صلى الله عليه وآله للتصدر قائمة المجاهدات في سبيل الله سيدتنا خديجة عليها السلام التي قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (ما قام الإسلام إلا بثلاث، أموال خديجة ومنعة أبي طالب عليه السلام وسيف علي عليه السلام. تلك السيدة العظيمة التي حملت بسيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام، التي قال عنها الإمام الحسن العسكري عليه السلام: (نحن حجج الله على الخلائق، وأمنا فاطمة حجة الله علينا، فما هو الدور الذي لعبته هذه العظيمة لتكون حجة الله على حجج الله على جلاله قدرهم، ثم لتأتي زينب عليها السلام، لتكتمل المشوار مشوار الجهاد والايثار في سبيل حجج الله على الخلق، وهكذا تستمر قائمة العطاء النسائية ليصل الدور إلى سيدتين عظيمتين قامتوا بأدوار عظيمة، إحداهما

حملت بحجة الله في أرضه السيدة نرجس عليها السلام، والأخرى السيدة حكيمة عليها السلام عمّة الأمام العسكري قابلة الإمام المهدي عليه السلام، والتي تشرفت بأن تكون أول وجه يقابل صاحب المرأة عندما أطل على هذه الدنيا، هاتان السيدتان كانت لهما قبسات نورانية خدمتا فيها الأمة الإسلامية في زمن الغيبة، نحاول في هذه الوقفة الإطلال على تلك المواقف، فانتظم البحث بثلاث مطالب، أطل الأول منهما على قبسات من حياة السيدة حكيمة عمّة الإمام العسكري عليه السلام، أمّا المطلب الثاني فقد أطل على قبسات من حياة السيدة نرجس أم الإمام المهدي عليه السلام، وأطل الثالث على دورهن في حفظ الأمانة الربانية.

الكلمات المفتاحية: السيدة حكيمية، السيدة الجدة، سيرة نساء، الولادة المهديوية.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين؛ واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين.

وبعد...

أن الإنسان في خضم ثورة المعلومات وكثرتها وزحمة الأحداث التي تمر به في الحياة لابد أن يحتاج بين الحين والآخر إلى إنعاش فكره وحركته بتذكر حياة أولئك العظماء الذين كان لهم دور بارز في حياة الأمة، ليتسنى له من جديد التفاعل وبقوة وحيوية مع كل ما في العالم من أمور ومصاعب، فإن تلك الشخصيات بتمسكها بمبادئها الحقة وجهادها الدؤوب، تمثل الدافع والمحرك النابض الذي منه يستمد الاستمرار والتواصل على طريق الحق.

وإن من ألقى نظرة فاحصة لكتب التاريخ، يجد أن كل مرحلة من مراحل التاريخ مرت لا تخلو من الوجود والحضور للمرأة الصالحة جنباً إلى جنب مع الرجل، آخذة مكانها الطبيعي الذي منه تنطلق لتؤدي دورها الرسالي، وبحسب ما لديها من قابليات واستعدادات مودعة فيها، لتصبح المكملة لدور الرجل في المجتمع، وهذا وإن دل على شيء، فإنه يدل على أهمية دورها المتميز في المجتمع وفي شتى ميادين الحياة، ولذا أحتلت مكانتها المرموقة في جميع الرسائل السماوية ومنها الرسالة المحمدية، ومن هؤلاء النساء اللاتي لعبن الدور المهم في عصرهن وأدركن الخطوة الكبيرة عن الله سبحانه وتعالى بإطاعتهن لإمام زمانهن، سيدتان عظيمتان من سيدات هذا البيت الكريم الذي طهره الله تطهيراً، عاصرتا الإمام العسكري عليه السلام، وكان لهما دور في حياته عليه السلام، رغم أن ما نقله التاريخ عنهما كان شحيحاً، لكنه يكفي ليصلنا عبق حياتهما المباركة. إنهما السيدة حكيمة والسيدة نرجس عليهما السلام. ومن هنا انبرى البحث لتوضيح القبسات النورانية لسيرة هاتان السيدتان العظيمتان، فالسيدة

حكيمه بنت الإمام الجواد عليه السلام، هذه المرأة التي كانت موضع سر الأئمة، وكانت أهلاً لتكون قابلة للإمام المهدي عليه السلام، لقد شرف الله هذه السيدة الطاهرة بأن تشهد الطلة الرشيدة والغرة الحميدة لوجه الامام عليه السلام. ثم السيدة نرجس عليها السلام التي تشرفت بزواجها من الإمام العسكري عليه السلام في تلك الظروف المرعبة وحملت ببقية الله في أرضه، وتعرضت للمراقبة والسجن في سجون الظلمة.

لذلك ارتأينا التركيز على هذه الزاوية لتسليط الضوء عليها عن طريق بحثنا الموسوم «قبسات نورانية من سيرة نساء شرفن بالولادة المهدوية» السيدة حكيمه والسيدة نرجس عليهما السلام مصداقاً»

ولقد قسمنا البحث إلى ثلاث مطالب، مسبقاً بمقدمة ومنتهي بخاتمة وقائمة للمصادر والمراجع، المطلب الأول تحدثنا فيه عن قبسات من سيرة السيدة حكيمه عليها السلام، وجاء المطلب الثاني لذكر قبسات من سيرة الشخصية الثانية في البحث ألا وهي السيدة نرجس عليها السلام، وكرس المطلب الثالث: دورهن في حفظ الأمانة الربانية، ثم الخاتمة وتضمنت أهم نتائج البحث.

أهداف البحث: يهدف هذا البحث إلى بيان دور شخصيتين عظيمتين في حفظ القضية المهدوية.

أهمية البحث: تكمن أهمية البحث في إبراز مدى أهمية نساء العصمة في العالم الإسلامي، والقضية المهدوية تحديداً.

منهج البحث: انتهجت في هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي والتي لا تخلو من أبداء وجهة نظر، وتتبعنا الروايات التي تفيد في حل بعض الإشكاليات في البحث.

صعوبة البحث: إنّ البحث في أي مجال من مجالات التاريخ يوجد له من المعلومات والمصادر ما قد يغنيه ويغطي معظم جوانبه إلا أننا في هذا البحث قد

وأجهنا صعوبة، ألا وهي ندرة المصادر التي تتكلم عن السيدة حكيمة والسيدة نرجس عليهما السلام، مدار البحث، فليس من السهولة الاطلاع على أخبارهن إلا من النزر اليسير والمتوفر من الأخبار هنا وهناك.

وقد تطلب البحث الرجوع إلى جملة من المصادر والمراجع منها: كمال الدين وتمام النعمة للصدوق، أعلام الوري، للطبرسي، وأعيان الشيعة، لمحسن الأمين، والفصول المهمة في معرفة الأئمة لابن الدباغ، وكذلك كتاب سيدة الاماء للمؤلف أحمد السلطان، فضلاً عن كتاب السيدة نرجس عليها السلام مدرسة الأجيال للمؤلف السيد مرتضى الشيرازي، وكتاب نرجس مستودعه السر الإلهي لهاشم حيدر... وغيرها من المصادر والمراجع.

هذا وآخر دعوانا الحمد لله رب العالمين.

المطلب الأول: قبسات نورانية من حياة السيدة حكيمة بنت الإمام الجواد عليه السلام.

لا شك أنّ هناك افتقاراً واضحاً في المكتبات العربية، والدراسات والمؤلفات الرصينة والجادة حول سيرة السيدة الجليلة حكيمة، والبحث في مختلف جوانب حياتها، ويدل على ذلك العدد المحدود من المصادر التاريخية أو كتب التراجم التي تحدثت عن تلك السيدة الجليلة، وكثيراً ما نمر على اسم سيدة عظيمة في الروايات التي تذكر ولادة الإمام الحجة عليه السلام، وأنها عمّة الإمام العسكري عليه السلام، والوحيدة التي علمت بحمل السيدة نرجس عليها السلام ليلة الولادة، لتساعدها على أمرها وتشهد ولادة نور آخر الزمان... فمن هي السيدة حكيمة؟

أسمها ونسبها:

هي حكيمة بنت الإمام الجواد بن علي بن موسى الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط بن علي بن أبي طالب عليه السلام»^(١).

في الحقيقة اختلف العلماء في اسمها، بين فاطمة، أمّامه، حلّية، وحكيمة، وإلى هذا أشار السيد حسن الصدر في كتابه تكملة أمل الآمل، إذ قال: «سميت عمّة أبيها حكيمة بنت أبي الحسن الكاظم موسى بن جعفر وهي التي حضرت ولادة القائم الحجة عليه السلام كما حضرت عمّتها حكيمة ولادة أبي جعفر محمد الجواد عليه السلام،... ثم قال: والظاهر أنّ حكيمة ليس اسماً أصلياً لها، بل هو لقب من ألقابها، واسمها فاطمة أو أمّامه، وكان السلف لا يخاطبون بالاسم، بل باللقب والكنية، لكن عند ذكر العقب وسرد الأولاد يذكرون الاسم الأصلي»^(٢). وفي آخر المطاف نجد صاحب التكملة يميل إلى أن اسمها (أمّامه) وليس (فاطمة)، وأنّ (حكيمة) لقبها. ولكن المشهور أنّ

(١) الرازي، فخر الدين، الشجرة المباركة في أنساب الطالبيه، ص ٩٢.

(٢) الصدر، حسن، تكملة أمل الآمل، ج ٦، ص ٣٤٩ - ٣٥١.

اسمها حكيمة (بالكاف)، ابنة الإمام محمد الجواد عليه السلام كما في كتب السير والتواريخ والأخبار، وما يجري على ألسنة العامة من تسميتها حليمة (باللام) تحريف^(١).

أمها: جارية اسمها سمانه المغربية^(٢).

ولادتها: لم تحدد لنا المصادر تاريخ ولادتها ومكانها، إلا أنها كانت من أعلام القرن الثالث الهجري، ويقال: إنها ولدت في المدينة^(٣).

أسرتها: تزوجت السيدة الفاضلة حكيمة عليها السلام من أبي الحسن علي المرعشي بن عبد الله بن أبي الحسن محمد الأكبر بن محمد حسن المحدث بن الحسين الأصغر بن الإمام زين العابدين السجاد عليه السلام فولدت له أبا عبد الله الحسين وحمة وزيد^(٤).

من أقوال العلماء فيها:

١. قال العلامة المجلسي رحمته الله: «ثم اعلم أن في القبة الشريفة قبراً منسوباً إلى النجبية الكريمة العالمة الفاضلة التقية الرضية، حكيمة بنت أبي جعفر الجواد عليه السلام، ولا أدري لم لم يتعرضوا لزيارتها مع ظهور فضلها وجلالتها»^(٥).

٢. قال السيد الأمين رحمته الله: «كانت من العابدات القانتات»^(٦).

٣. قال الشيخ باقر شريف القرشي رحمته الله: «وهي من العلويات العابدات التي

(١) الأمين، محسن، أعيان الشيعة، ج ٦، ٢١٧.

(٢) ينظر: نجف، محمد أمين، المعصومون الأربعة عشر، ص ٤٩٧.

(٣) ينظر: المصدر نفسه، ص ٥٠٠.

(٤) ينظر: المحلّاق، ذبيح الله، مآثر الكبراء في تاريخ سامراء، ج ٢، ص ٣٣٢؛ وينظر: السماوي، محمد بن طاهر بن حبيب، وشائج السراء في شأن سامراء، ص ٣٩٨.

(٥) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج ٩٩، ص ٧٩.

(٦) الأمين، محسن، أعيان الشيعة، ج ٦، ص ٢١٧.

تضارع جدتها سيّدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام في عفتها وطهارتها»^(١).

٤. قال الشيخ التستري رحمته الله: (حكيمه وخديجة جليلتان قائلتان بالحجة عليها السلام، وتولت الأولى ولادته) عليها السلام^(٢).

جلالة قدرها: سيّدة كريمة نجبية، عالمة فاضلة وهي التي حضرت ولادة مولانا صاحب العصر والزمان عليه السلام^(٣)، وكان الإمام الحسن العسكري عليه السلام يخاطبها ويثني عليها ويناديها يا بنت رسول الله صلى الله عليه وآله^(٤)، وكان أخاها الإمام علي الهادي عليه السلام يخاطبها بقوله "يا مباركة"^(٥). وكانت من الصالحات العابدات القانتات، ومن فواضل نساء عصرها محدثة وراوية، وكانت تمتاز عن سائر بنات الإمام الجواد عليه السلام^(٦) بالفضائل والمناقب الكثيرة، وخيرة ما يقال عنها: إنّها كانت مخصوصة بالأئمة عليهم السلام،

(١) العراقي، محمود الموسوي، حياة الإمام المهدي عليه السلام، ط ١، ص ٢٣.

(٢) التستري، محمد تقي، تواريخ أعلام الهداية النبي وآله عليهم السلام، مواليدهم - وفياتهم - مدفونهم - أمهاتهم - أزواجهم - أولادهم - مكارم أخلاقهم، ص ١٤٩.

(٣) الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن، اعلام الورى بأعلام الهدى، ص ١٨٤؛ الطبرسي، النجم الثاقب في أحوال الأمام الحجة الغائب، ج ١، ص ١٥٧؛ الأمين، محسن، أعيان الشيعة ج ٢، ص ٧٠.

(٤) الحمصي، مصطفى صبحي الخضر، حياة نساء من بني هاشم، ص ٢٦٤.

(٥) البحراني، هاشم، مدينة المعاجز، ج ٢، ص ٥٤٨.

(٦) اختلفت الأقوال في عدد بنات الإمام الجواد عليه السلام وأسمائهن، فقد ذكر الشيخ المفيد، والعلامة الحلي، أن عدد بناته اثنتين: فاطمة وأمّامة، وزاد ابن الثلج أم كلثوم، أمّا العلامة الطبرسي فذكر أنّ له من الأولاد...، ومن البنات: حكيمه، وخديجة، وأم كلثوم، ويقال: إنّ له غير ما ذكرناه: فاطمة وأمّامة، ولم يخلف غيرهم، أمّا الفخر الرازي، فقال: له من البنات خمساً: فاطمة، وبهجت، وبرية، وحكيمه، وخديجة، ولا عقب للبنات. للمزيد ينظر: الدرويش، جاسم ياسين، حسين، سليمة كاظم، الأعلام الباهرة في النساء العلويات الطاهرة، ص ٨٧.

وعاصرت أربعة منهم وهم (الإمام الجواد أبيها، والإمام علي الهادي أخيها، والإمام الحسن العسكري ابن أخيها وأبنة الإمام محمد المهدي عليه السلام، ولها أخبار كثيرة في تزويج الإمام الحسن العسكري بنرجس أم المهدي، وفي ولادة الإمام المهدي عليه السلام)^(١).

ومن ذلك يعرف جلاله قدرها ومقامها السامي ومكانتها الرفيعة، وهذا يدل على أنها كانت مستودع أسرار الإمامة، أضف إلى كونها المربية العظيمة التي أوكل إليها تعليم أميرة الروم تعاليم الدين الحنيف.

وفاتها ومدفنها:

توفيت السيدة حكيمة عليها السلام عام ٢٧٤هـ، ٨٨٧م، وفي رواية ثانية توفيت بعد عام ٢٨٢هـ بالمدينة، ودفنت بجوار مرقد الإمامين العسكريين عليهما السلام في سامراء المقدسة، وتروي بعض المصادر أن السيدة حكيمة عليها السلام توفيت في حياة ابن أخيها العسكري عليه السلام إذ طلبت منه أن يقدم الله موتها موتاً فكان لها ما طلبت^(٢). إلا أن كثيراً من الوقائع والدلائل تشير إلى أنها كانت حية بعد وفاة العسكري عليه السلام مما يضعف الأحاديث القائلة بموتها في حياته، وهي لم تتجاوز الستين من عمرها وليس أقل من أربعة وخمسين سنة^(٣). والله أعلم.

(١) ينظر: الحسون، محمد، مشكور، أم علي، أعلام النساء المؤمنات، ص ٣٤٦ - ٣٤٧؛ وينظر: الخطيب، ميثم مهدي، السيدة حكيمة ٣ سيدة المرحلة، ص ٢١.
(٢) منتخب الأثر، ح ٤، ص ٣٤٥، الإربلي، علي بن أبي الفتح، كشف الغمة، ص ٢٦٧-٢٩٠.
القسم الأول.

(٣) ينظر: المحمدواي، جواد جاسم، السيدة حكيمة بنت الإمام الجواد، ص ١١١.

المطلب الثاني: قبسات نورانية من حياة السيدة نرجس أم الأمام المهدي عليه السلام.

اسمها ونسبها:

نرجس بنت يوشع بن قيصر، إمبراطور الروم، وتنتمي من جهة الأم إلى شمعون، من حواري النبي عيسى عليه السلام^(١).

أسمائها:

تنوعت أسمائها وتعددت نظراً للظرف السياسي والأمني الدقيق الذي كانت تعيشه آنذاك، فكان من أسمائها: نرجس كما في أغلب الروايات^(٢)، مليكا بنت يشوعا بن قيصر الملك^(٣)، مريم بنت زيد العلوية^(٤)، خمط^(٥)، صقيل^(٦)، ريجانة^(٧)، حكيمة^(٨)، سوسن^(٩).

وقد جعل بعضهم هذا الاختلاف إشكالاً على أصل القضية المهدوية إذ يذكر

(١) ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج ٣، ص ٥٣٩؛ الصدوق، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، كمال الدين وتمام النعمة، ص ٤١٧.

(٢) ينظر: الطبرسي، أعلام الوري، ص ٤١٨؛ الأمين، محسن، أعيان الشيعة، ج ٦، ص ٢١٧؛ مرجع من العلماء الأعلام، نور الأبصار في مواليد الأئمة الأطهار، ص ٣٨٥؛ ابن الصباغ، علي بن محمد أحمد المالكي، الفصول المهمة في معرفة الأئمة، ج ٢، ١١٠٣.

(٣) التستري، محمد تقي، قاموس الرجال، ج ١٢، ص ٢٣٩.

(٤) المجلسي، بحار الأنوار، ج ٥١، ص ٢٨.

(٥) ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج ٤، ص ١٧٦.

(٦) الخصبي، الحسين بن حمدان، الهداية الكبرى، ص ٣٢٨؛ الشيخ الطوسي، محمد بن الحسن، الغيبة، ص ٢٧٢؛ الإربلي، علي بن أبي الفتح، كشف الغمة في معرفة الأئمة، ج ٣، ص ٢٧٥.

(٧) ابن الصباغ، الفصول المهمة، ج ٢، ص ١١٠٣. في الهامش رقم ٤.

(٨) الإربلي، كشف الغمة، ص ٢٧٥.

(٩) الذهبي، شمس الدين، تاريخ الإسلام، ج ٢٠، ص ١٦١.

أحد المخالفين هذا الاختلاف تحت باب اسماها "تناقضات في حياة مهدي الشيعة المنتظر" وذكر فيه: «من هي أم المهدي؟ هل هي جارية اسمها مليكة أم جارية اسمها خنط، أم جارية اسمها حكيمة، أم جارية اسمها ريحانة، أم سوسن، أم هي حرة اسمها مريم»^(١).

كما ذكر آخر تعليقاً على هذا الاختلاف: وكيف يكون موجوداً معروفاً وهذا الاختلاف في أمه؟ فتأمل ركاكة هذا الجواب ومدى التكلف فيه لعله يسعف للخروج من كثير من التناقضات التي تحيط بهذه الشخصية^(٢).

والمشهور أن اسمها نرجس كما عليه أكثر الروايات، ومن أهم الروايات التي يتمسك بها ما نقله صاحب عيون المعجزات، قال: «وقرأت في كتاب الوصايا وغيره بأن جماعة من الشيوخ العلماء منهم عسلان الكلابي وموسى بن أحمد الفزاري وأحمد بن جعفر ومحمد بأسانيدهم أن حكيمة بنت أبي جعفر عمّة أبي محمد عليه السلام يوماً وكنت ادعو الله له أن يرزقه ولداً فدعوت له كما كنت ادعو فقال: يا عمّة، أمّا أنه يولد في هذه الليلة وكانت ليلة النصف من شعبان سنة خمس وخمسين ومأتين المولود الذي كنّا نتوقعه فاجعلي إفطارك عندنا وكانت ليلة الجمعة قالت حكيمة عليها السلام ممن يكون هذا المولود يا سيدي؟ فقال عليه السلام من نرجس»^(٣). إنّ ترجيح هذا الاسم لا يعني إلغاء باقي الأسماء الأخرى، إذ لا مانع من الجمع بين كل هذه الأسماء.

في الحقيقة إنّ تعدد الأسماء لا يدل على تعدد المسمى، فالسيدة الزهراء عليها السلام كانت لها أسماء عدة لأسباب ومناسبات متنوعة، وهكذا الكلام هنا، فإنّ

(١) الخراشي، سليمان بن صالح، أسئلة قادت شباب الشيعة إلى الحق، ص ٦٨.

(٢) الخميس، عثمان بن محمد، متى يشرق نورك أيها المنتظر؟ قراءة في شخصية الإمام المهدي محمد بن الحسن العسكري عند الشيعة الاثني عشرية، ص ٣٤.

(٣) عبد الوهاب، حسين، (من أعلام القرن الخامس)، عيون المعجزات، ص ١٢٧.

نرجس: اسم لبعض الأزهار العطرة، والخمط: نوع من أنواع شجر الأراك له حمل وثمر، وسوسن: أيضاً من أنواع الأزهار ذات الرائحة الطيبة والفوائد الكثيرة المذكورة في كتب الطب، والصقيل هو الشيء الأملس، فلا مانع من أن تسمى المرأة بأسماء متعددة لمناسبات مختلفة، ولعل هناك أسباب وحكم ومصالح سياسية أو اجتماعية قد خفيت علينا^(١).

قصتها:

من أهم الأمور المرتبطة بأم الإمام المهدي عليه السلام هو كيفية وصولها إلى بيت العصمة عليها السلام؟

في الحقيقة تضاربت آراء الكتاب والمؤرخين في أصل السيدة نرجس عليها السلام، على أنها كانت جارية، وكانت في بيت حكيمة بنت الإمام الجواد عليه السلام، وأن حكيمة عليها السلام هي التي أشارت على أخيها الإمام الهادي عليه السلام في موضوع زواج الإمام العسكري عليه السلام من هذه الجارية^(٢)، وهناك قول آخر يقول: إنها مليكة بنت قيصر الروم، ومن الواضح أننا لا نستطيع الاجابة بصورة مفصلة، ولكننا نستطيع أن نراقب عن كثب الروايات والأحاديث التي تروي المقدرات الإلهية والألطف التي ربطت المهدي الموعود بالسيدة نرجس عليها السلام.

فقد نقل لنا الشيخ الصدوق الرواية التي عن الطريقة التي وصلت بها السيدة نرجس إلى بيت الإمام الحسن العسكري عليه السلام، سوف نأخذ منها موضوع الشاهد كي لا يطول بنا المقام.

(١) القزويني، محمد كاظم، الإمام العسكري عليه السلام من المهد إلى اللحد، ص ٢٥؛ وينظر: القزويني، محمد كاظم، الإمام المهدي ٧ من المهد إلى الظهور، ص ١٣٠. وللمزيد ينظر: الأميني، إبراهيم، منقذ البشرية، ص ١١٠.

(٢) ينظر: اليوسف، عبد الله أحمد، سيرة الإمام الحسن العسكري عليه السلام دراسة تحليلية للسيرة الأخلاقية والعلمية والسياسية العسكري عليه السلام (٢٣٢-٢٦٠هـ/٨٤٦-٨٧٣م)، ص ٣٣.

والرواية المنقولة عن بشر بن سليمان النخاس من ولد أبي أيوب الأنصاري كيف أنّ الإمام الهادي عليه السلام قد أرسله إلى بغداد ليشتري له السيدة نرجس عليها السلام، وكيف أنّه اشتراها: «فقال بشر: فقلت لها: وكيف وقعت في الأسر فقالت: أخبرني أبو محمد ليلة من الليالي أنّ جدك سيسرب جيوشاً إلى قتال المسلمين يوم كذا، ثم يتبعهم فعليك باللحاق بهم متنكرة في زي الخدم مع عدة من الوصائف من طريق كذا، ففعلت فوقعت علينا طلائع المسلمين حتى كان من أمري ما رأيت وما شاهدت وما شعر أحد بأني ابنة ملك الروم إلى هذه الغاية سواك، وذلك باطلاعي إياك عليه، ولقد سألتني الشيخ الذي وقعت إليه في سهم الغنيمة عن اسمي فأنكرته وقلت: نرجس، فقال: اسم الجواري، فقلت: العجب إنك رومية ولسانك عربي؟ قالت: بلغ من ولوع جدي وحمله إيتاي على تعلم الآداب أن أو عز إلى امرأة ترجمان له في الاختلاف إلي، فكانت تقصدني صباحاً ومساءً وتفيدني العربية حتى استمر عليها لساني واستقام. قال بشر: فلما انكفأت بها إلى سر من رأى دخلت على مولانا أبي الحسن العسكري عليه السلام فقال لها: كيف أراك الله عز الإسلام وذل النصرانية، وشرف أهل بيت محمد صلى الله عليه وآله؟ قالت: كيف أصف لك يا ابن رسول الله ما أنت أعلم به مني؟ قال: فإني أريد أن أكرمك فأيتا أحب إليك عشرة آلاف درهم؟ أم بشرى لك فيها شرف الأبد؟ قالت: بل البشري، قال عليه السلام: فابشري بولد يملك الدنيا شرقاً وغرباً ويملاً الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، قالت: ممن؟ قال عليه السلام: ممن خطبك رسول الله صلى الله عليه وآله له من ليلة كذا من شهر كذا من سنة كذا بالرومية، قالت: من المسيح ووصيه؟ قال: فممن زوجك المسيح ووصيه، قالت: من ابنك أبي محمد؟ قال: فهل تعرفينه؟ قالت: وهل خلوت ليلة من زيارته إيتاي منذ الليلة التي أسلمت فيها على يد سيدة النساء أمه. فقال أبو الحسن عليه السلام: يا كافور ادع لي أختي حكيمة، فلما دخلت عليه قال عليه السلام لها: ها هي فاعتنقتها طويلاً وسرت بها كثيراً، فقال لها مولانا: يا بنت رسول الله أخرجيها إلى منزلك وعلميها الفرائض والسنن فإنها زوجة أبي محمد وأم

القائم عليه^(١).

ولكن نرى أن السيد الخوئي عليه السلام ضعف الرواية إذ يقول: «لكن في سند الرواية عدة مجاهيل، على أنك عرفت فيما تقدّم أنه لا يمكن إثبات وثاقة شخص برواية نفسه»^(٢). يقصد بذلك قول الإمام الهادي عليه السلام لبشر بن سلمان الأنصاري، فأنتم ثقتنا أهل البيت عليهم السلام، ويقصد أنه لا يثبت وثاقة سليمان؛ لأنه هو الذي رواه.

وقد ارتضى هذا المبنى الكاتب أحمد السلطان في كتابة (سيدة الإمام)، فلديه وقفة سنديّة مع الخبر، ويذكر أنّ سند هذا الخبر معلول من أوله إلى آخره، ويقول أيضاً: إنّ نعم القول هو قول السيد الخوئي عليه السلام تعليقاً على نفس هذا السند في رواية أخرى: «وهذه الرواية ضعيفة السند فإنّ محمد بن بحر بن سهل الشيباني لم يوثق وهو متهم بالغلو»^(٣)، وكان له موقف مع متن الخبر أيضاً^(٤). وبناء على الروايات والأحاديث التي جمعها الكاتب السلطان فيقول: «بناءً على ما تقدم فإنّ رواية قدوم أم الإمام المهدي عليه السلام من بلاد الروم تعاني من عدة مشاكل في السند والمتن تمنع من الاعتماد عليها والركون إليها، بل الذي أكاد أجزم به أن هذه القصة هي من نسج

(١) الصدوق، كمال الدين، ص ٤١٧ وما بعدها. ورواه بنحوه دلائل الإمامة (٢٦٢)، وروضة الواعظين، ج ١، ص ٢٥٢، وينظر: مناقب ابن شهر آشوب، ج ٤، ص ٤٤٠، وينظر: منتخب الأنوار (٥١)، وإثبات الهداة، ج ٣، ص ٣٦٣، وينظر: المجلسي، بحار الأنوار، ج ٥١، ص ١٠، بتفاوت يسير.

(٢) الخوئي، أبو القاسم الموسوي، معجم رجال الحديث، ج ٤، ص ٢٢٤.

(٣) المصدر نفسه، ج ٩، ص ٨٢.

(٤) واعرضنا عن ذكرها لكي لا يطول المقام ويتحول كلّ البحث لمناقشة هذه الرواية فقط دون غيرها، والمتبع للموضوع، ينظر: السلطان، أحمد، سيدة الإمام قراءة جديدة في هويتها وسيرتها، ص ٤٣ - ٤٩.

خيال تيار الغلو في ذلك الزمان»^(١).

وقد يعترض على الكاتب السلطان، بأن الشيخ الصدوق قد رواها في كتابه واعتمد عليها؟ وللجواب على هذا الاشكال يرى السلطان بأن الشيخ الصدوق عليه السلام قد روى روايات متعارضة في حق السيدة الطاهرة عليها السلام ولا يمكن أن يكون معتقد بصحتها بأجمعها^(٢).

فقد روى الشيخ الصدوق في كمال الدين بسنده عن حكيمة عليها السلام: قالت: نعم كانت لي جارية يقال لها: نرجس فزارني ابن أخي فأقبل يحدق النظر إليها، فقلت له: يا سيدي لعلك هويتها فأرسلها إليك؟ فقال لها: لا يا عمّة، ولكني أتعجب منها فقلت: وما أعجبك؟ فقال عليه السلام: سيخرج منها ولد كريم على الله عزّ وجلّ الذي يملأ الله به الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً، فقلت: فأرسلها إليك يا سيدي؟ فقال: استأذني في ذلك أبي عليه السلام قالت: فلبست ثيابي وأتيت منزل أبي الحسن عليه السلام: فسلمت وجلست فبدأني عليه السلام وقال: يا حكيمة، ابعتي نرجس إلى ابني أبي محمد قالت: فقلت: يا سيدي على هذا قصدتك على أن أستأذنك في ذلك، فقال لي: يا مباركة إن الله تبارك وتعالى أحب أن يشركك؟ الأجر ويجعل لك في الخير نصيباً، قالت حكيمة: فلم ألبث أن رجعت إلى منزلي وزيتها ووهبتها لأبي محمد عليه السلام وجمعت بينه وبينها في منزلي فأقام عندي أياماً، ثم مضى إلى والده عليه السلام ووجهت بها معه^(٣). والرواية صريحة في أن الجارية لحكيمة لا للإمام الهادي عليه السلام ويشهد بذلك قولها (كانت لي جارية يقال لها نرجس) والأصح منه قولها: (وهبتها لأبي محمد عليه السلام)، وهذه الرواية تعارض رواية (الشيبياني)، فلو كان الشيخ الصدوق معتقداً بصحة الخبر الأول لما روى مثل هذا الخبر الذي يكذبه، أو علق بما يرفع التناقض بين الخبرين.

(١) السلطان، أحمد، سيدة الإمام قراءة جديدة في هويتها وسيرتها، ص ٤٩.

(٢) المصدر نفسه، ص ٥٢.

(٣) الصدوق، كمال الدين، ص ٤٢٧.

ولكن في قبال ذلك يرى بعض الباحثين: أنّ السيد الخوئي قد طبق منهجه المتشدد وضعف الرواية - الرواية الأولى، ويرى أنّه يكفي لصحة الرواية اعتضادها برواية محمد بن عبد الجبار الصحيحة المتقدمة، ثم يكفي في توثيق الشيباني ارتضاء الصدوق والقميين لروايته رغم تشددهم، على أن دواعي الوضع هنا منتفيه^(١).

وروي في اثبات الهداة عن الفضل بن شاذن عليه السلام: «عن محمد بن عبد الجبار قلت لسيدي الحسن بن علي عليه السلام: يا بن رسول الله، جعلني الله فداك: أحب أن أعلم من الإمام وحجة الله على عباده من بعدك؟ فقال: إن الإمام وحجة الله من بعدي ابني سمي رسول الله صلى الله عليه وآله وكنيته، الذي هو خاتم حجج الله وآخر خلفائه. قلت: ممن هو يا بن رسول الله؟ قال: من ابنة قيصر ملك الروم، ألا أنّه سيولد ويغيب عن الناس غيبة طويلة ثم يظهر»^(٢). ويرى الشيخ الكوراني بأنّ سند الرواية صحيح بامتياز، لأنّ الفضل بن شاذان الثقة يرويها عن الإمام الهادي عليه السلام بواسطة واحدة، محمد بن عبد الجبار، وهو ثقة، وهي تدل على أنّ والده الإمام عليه السلام مليكة من ذرية شمعون الصفا عليه السلام^(٣).

في الحقيقة ترى الباحثة: أنّه لا يضر الاختلاف في حسبها ونسبها فالشخصية واحدة، لكن الأقوال عنها مختلفة، فمن الواضح أنّنا لا نستطيع الإحاطة والاطلاع على الأمور الغيبية في هذه القصة.

ومن الجدير الإشارة إلى أنّنا لا نستطيع أن نبحت هذا الكم من المعلومات التي يذكرها الرواة والمحدثون عن هذه المسألة، في هذا البحث الموجز العاجل، لأنّ كلّ مسألة من النقاط تحتاج إلى دراسة مفصلة ومعمقة.

(١) العاملي، علي الكوراني، شمعون الصفا وصي المسيح وجد الإمام المهدي عليه السلام لأمه، ص ١٨٣.

(٢) الحر العاملي، إثبات الهداة، ج ٣، ٥٦٩.

(٣) العاملي، علي الكوراني، شمعون الصفا، ص ١٧٧.

كنيتها: أم محمد^(١).

قربانها بالمعصوم: زوجة الإمام العسكري، وأم الإمام المهدي^(٢) عليهما السلام.

من أقوال الأئمة فيها:

١. قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «بأبي ابن خيرة الإمام ابن النبوة الطيبة الفم، المتعجبة

الرحم»^(٣).

٢. قال الإمام علي عليه السلام بعد انتهائه من حرب النهروان، وقد أدلى في خطابه ببعض

الملاحم، وعرض عليه السلام موضوع خروج المهدي عليه السلام، وقد أثنى على السيدة الجليلة أمه:

«فيا بن خيرة الإمام، متى تُنتظر؟ أبشر بنصر قريب من رب رحيم»^(٤).

٣. قال الإمام الصادق عليه السلام - بعد أن سأله أبو بصير: «من القائم منكم أهل البيت؟

فقال: «يا أبا بصير، هو الخامس من ولد ابني موسى، ذلك ابن سيدة الإمام»^(٥).

وفاتها:

تختلف الروايات بشأن وفاة أم المهدي المنتظر عليها السلام، في حين يذهب بعض

المؤرخين إلى أنها سألت زوجها الإمام العسكري عليه السلام، أن يدعو الله تعالى ليجعل

منيته قبله، فماتت في حياة زوجها، ويبدو أنها اختارت أن تموت في حياته لأنها لا

تتحمل وحشية السلطة التي أخبرها بها الإمام، وأرادت ان تتشرف بصلاته عليها

(١) القزويني، الإمام العسكري عليه السلام من المهدي إلى اللحد، ص ٢٥.

(٢) الأمين، محسن، أعيان الشيعة، ج ٦، ص ٢١٧.

(٣) الكليني، الكافي، ج ١، ص ٣٢٣؛ وينظر: المجلسي، مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول،

ج ٣، ص ٣٨١.

(٤) المحمودي، نهج السعادة في مستدرک نهج البلاغة، ج ٣، ص ٤٥٠.

(٥) الطبرسي، الاحتجاج، ج ٢، ص ١٠.

ودفنها بيده لتكون أمامه في الجنة^(١).

غير أن بعض المصادر تذكر أن السيدة نرجس عليها السلام توفيت بعد وفاة زوجها العسكري عليها السلام بمدة غير قليلة، وأنها كانت حاضرة عند وفاته عام ٢٦٠هـ، وقد قبض عليها المعتمد العباسي، وطالبها بابنها المهدي فأنكرت، وادعت أنها حامل لتموه الأمر عليهم، فلم يبحثوا عن طفل وليد، ثمّ دعا بالخليفة العباسي إلى نقلها إلى داره وإحاطتها بمجموعة من الجواري يراقبن حملها، وبقيت السيدة نرجس عليها السلام تحت الإقامة الجبرية وهم ينتظرون أن تضع جنينها، إلى أن وقعت اضطرابات في الدولة وانشغلوا بحركة صاحب الزنج في البصرة، وتأكدوا من عدم حملها فأطلقوها^(٢).

في حين يذكر النجاشي أنها توفيت بعد الإمام العسكري وأنها التجأت إلى دار أحد رجال الشيعة الثقات وهو (الحسن بن جعفر النوبختي) وذلك بعد وفاة المعتمد ومجيئ المعتضد العباسي سنة ٢٧٩هـ^(٣). إذن لم تحدد لنا المصادر تاريخ وفاتها، إلا أنّ أغلب المصادر تشير إلى أنها توفيت بعد وفاة الإمام العسكري عليها السلام، أي: بعد عام ٢٦٠هـ في سامراء المقدسة، ودفنت بجوار مرقد الإمامين العسكريين عليهما السلام^(٤).

في الحقيقة لقد واجهت هذه السيدة في حياتها الكثير من المحن الشديدة، لكنّها تصدت لها بالصمود والإخلاص والإيمان فكانت صابرة مجاهدة في حفظ نفسها وحفظ ولي الله الاعظم، وهذا ما سنتحدث عنه لاحقاً.

(١) الصدوق، كمال الدين، ص ٤٣١.

(٢) الطبري، محمد بن جرير، دلائل الإمامة، ص ٤٢٥؛ وينظر: الأميني، محمد باقر، نرجس والدة الامام المنتظر عليها السلام، ص ٨٧ - ٩٢.

(٣) النجم الثاقب في أحوال الحجة الغائب، ج ١، ص ٢٣١.

(٤) ينظر: خلف، سندس رياض، مرقد السيدة نرجس في سامراء (دراسة تاريخية عمرانية)،

المطلب الثالث: دورهن في حفظ الأمانة الربانية

أولاً: دور السيدة حكيمة عليها السلام في حفظ الأمانة الربانية.

لعبت السيدة حكيمة بنت الإمام الجواد عليه السلام، وعمة الإمام العسكري عليه السلام، دوراً محورياً وأساسياً في حفظ الأمانة الربانية (القضية المهدوية)، وفي قصة حياة السيدة نرجس / مليكة عليها السلام منذ وطأة أقدامها بيت السيدة حكيمة بسامراء ومكوئها عندها مدة من الزمن تعلمها أحكام وفروض الدين - كما ذكرنا سابقاً - وتشرف على تربيتها وتشملها بعطفها وحنانها وهداياها، إضافة إلى دورها في الحفاظ هذه الفتاة وإعدادها إعداداً رسالياً لتكون زوجة الإمام العسكري وأماً للمهدي الموعود، لقد كانت السيدة حكيمة شخصية محترمة في إيمانها وعقلها، فهي تعرف مقام المعصوم عند الله سبحانه وتعالى، ولا تتبجح بأنها بنت المعصوم وأخته وأنها من ذرية النبي صلى الله عليه وآله ولا بمكانتها عند الأئمة عليهم السلام... بل إنها حينما سئلت بعد وفاة العسكري عليه السلام عن الحجة عليه السلام حولت السائل على أم الإمام العسكري سمانة المغربية عليها السلام لأن الإمام عليه السلام أوصى إليها، ولم تقل حكيمة: إنها هي التي أشرفت على ولادة الإمام المهدي عليه السلام وشاهدته^(١).

الدور الأول: رعاية السيدة نرجس عليها السلام

لقد أودع الإمام الهادي نرجساً أم صاحب العصر والزمان عليه السلام، إليها كي تعلمها معالم الدين وأحكام الشرع وتربيتها بالآداب الإلهية، إذ قال لها: «يا بنت رسول الله أخرجيها إلى منزلك وعلميها الفرائض والسنن، فإنها زوجة أبي محمد العسكري، وأم الإمام القائم عليه السلام»^(٢)، وهذا يدل على أنها كانت مستودع الإمامة، بالإضافة إلى

(١) ينظر: الحسيني، عادل الهادي، السيدة نرجس عليها السلام سليلة الإمبراطورية البيزنطية ووالده منقذ البشرية، ط ١، ص ٢٥٥.

(٢) ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج ٣، ص ١٧٢؛ الصدوق، كمال الدين، ص ٤٢٣.

كونها المربية العظيمة التي أوكل إليها تعليم أميرة الروم تعاليم الدين الحنيف.

الدور الثاني: ارهاصات الولادة.

ذكر المؤرخون وأهل السير وعلماء الحديث ولادة الإمام المهدي عليه السلام (في سر من رأى)، في النصف من شعبان سنة ٢٢٥هـ، الموافق سنة ٨٦٨م، وقد جاء حديث الولادة بطرق مختلفة عن حكيمة بنت الإمام الجواد عليه السلام كما جاء عن غيرها، واسهب المؤرخون في ذكر مراسيم الولادة التي أجزاها الإمام الحسن العسكري عليه السلام فقد تصدق بعشرة آلاف رطل من الخبز، وعشرة آلاف رطل لحماً، وعق عنه ثلاثمائة شاه، إلى غير ذلك من المراسيم التي أجزاها عليه السلام (١).

روى الشيخ الصدوق قال: حدّثنا محمد بن الحسن بن الوليد عليه السلام قال: حدّثنا محمد بن يحيى العطار، وقال: حدّثنا أبو عبد الله الحسين بن رزق الله قال: حدّثني (موسى بن محمد) القاسم بن حمزة بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، حدّثني حكيمة بنت محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام قالت: بعث إلي أبو محمد الحسن بن علي عليه السلام فقال: (يا عمّة، اجعلي إبطارك هذه الليلة عندنا فإنها ليلة النصف من شعبان فإن الله تبارك وتعالى سيظهر في هذه الليلة الحجة وهو حجته في أرضه، قالت: فقلت له: ومن أمه؟ قال لي نرجس. قلت له: جعلني الله فداك ما بها أثر. فقال هو ما أقول لك. قالت: فحجّث فلما سلّمت وجلست جاءت تنزع خفي وقالت لي: يا سيّدي وسيّدة أهلي كيف أمسيّت؟ فقلت بل أنت سيّدي وسيّدة أهلي. قالت: فأنكرت قولي وقالت: ما هذا يا عمّة؟ قالت: فقلت لها: يا بنية إن الله تعالى سيهب لك في ليلتك هذه غلاماً سيّداً في الدنيا والآخرة. قالت: فحجّلت واستحيت، فلما أن فرغت من صلاة العشاء الآخرة أظرت وأخذت مضجعي فرقدت، فلما أن كان في جوف الليل

(١) ينظر: دخيل، علي محمد علي، أئمتنا سيرة الأئمة الاثني عشر، ج ٢، ص ٣٤٧.

فَمَتُّ إِلَى الصَّلَاةِ فَفَرَعْتُ مِنْ صَلَاتِي وَهِيَ نَائِمَةٌ لَيْسَ بِهَا حَادِثٌ ثُمَّ جَلَسْتُ مُعَقَّبَةً،
ثُمَّ اضْطَجَعْتُ، ثُمَّ انْتَبَهْتُ فِرْعَةً وَهِيَ رَاقِدَةٌ، ثُمَّ قَامَتْ فَصَلَّتْ وَنَامَتْ.

قَالَتْ حَكِيمَةٌ: وَخَرَجْتُ أَتَفَقَّدُ الْفَجْرَ فَإِذَا أَنَا بِالْفَجْرِ الْأَوَّلِ كَذَنبِ السَّرْحَانِ
وَهِيَ نَائِمَةٌ فَدَخَلَنِي الشُّكُوكُ فَصَاحَ بِي أَبُو مُحَمَّدٍ عليه السلام مِنَ الْمَجْلِسِ فَقَالَ: لَا تَعْجَلِي يَا
عَمَّةُ، فَهَآكَ الْأَمْرُ قَدْ قَرُبَ، قَالَتْ: فَجَلَسْتُ وَقَرَأْتُ الْمِ السَّجْدَةَ وَيَسَ فَبَيْنَمَا أَنَا كَذَلِكَ إِذِ
انْتَبَهْتُ فِرْعَةً فَوَثَبْتُ إِلَيْهَا فَقُلْتُ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْكَ، ثُمَّ قُلْتُ لَهَا: أَتَحْسِنِينَ شَيْئًا قَالَتْ: نَعَمْ
يَا عَمَّةُ فَقُلْتُ لَهَا: اجْمَعِي نَفْسَكَ وَاجْمَعِي قَلْبَكَ فَهُوَ مَا قُلْتُ لَكَ قَالَتْ: فَأَخَذْتَنِي فِتْرَةً
وَأَخَذْتَهَا فِتْرَةً فَانْتَبَهْتُ بِحِسِّ سَيِّدِي فَكَشَفْتُ الثُّوبَ عَنْهُ فَإِذَا أَنَا بِهِ عليه السلام سَاجِدًا يَتَلَقَّى
الْأَرْضَ بِمَسَاجِدِهِ، فَضَمَمْتُهُ إِلَيَّ فَإِذَا أَنَا بِهِ نَظِيفٌ مُتَنَظِّفٌ، فَصَاحَ بِي أَبُو مُحَمَّدٍ عليه السلام
هَلُمَّيْ إِلَى ابْنِي يَا عَمَّةُ فَجِئْتُ بِهِ إِلَيْهِ فَوَضَعَ يَدَيْهِ تَحْتَ أَلْيَتَيْهِ وَظَهَرَهُ وَوَضَعَ قَدَمَيْهِ عَلَى
صَدْرِهِ ثُمَّ أَذَى لِسَانَهُ فِي فِيهِ وَأَمَرَ يَدَهُ عَلَى عَيْنَيْهِ وَسَمِعَهُ وَمَفَاصِلَهُ ثُمَّ قَالَ: تَكَلَّمْ يَا بَنِي
فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ
صَلَّى عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَعَلَى الْأَئِمَّةِ عليهم السلام إِلَى أَنْ وَقَفَ عَلَى أَبِيهِ ثُمَّ أَحْجَمَ. ثُمَّ قَالَ:
أَبُو مُحَمَّدٍ عليه السلام يَا عَمَّةُ أَذْهَبِي بِهِ إِلَى أُمِّهِ لِيَسْلَمَ عَلَيْهَا وَأُنَبِّئِي بِهِ فَذَهَبْتُ بِهِ فَسَلَّمَ عَلَيْهَا
وَرَدَدْتُهُ فَوَضَعْتُهُ فِي الْمَجْلِسِ ثُمَّ قَالَ يَا عَمَّةُ إِذَا كَانَ يَوْمُ السَّابِعِ فَأْتِينَا. قَالَتْ حَكِيمَةٌ
فَلَمَّا أَصْبَحْتُ جِئْتُ لِأَسْلَمَ عَلَى أَبِي مُحَمَّدٍ عليه السلام وَكَشَفْتُ السِّتْرَ لِأَتَفَقَّدَ سَيِّدِي عليه السلام فَلَمْ
أَرَهُ فَقُلْتُ: جُعِلَتْ فِدَاكَ مَا فَعَلَ سَيِّدِي؟ فَقَالَ يَا عَمَّةُ اسْتَوَدَعَنَاهُ الَّذِي اسْتَوَدَعَنَهُ أُمَّ
مُوسَى عليه السلام. قَالَتْ حَكِيمَةٌ: فَلَمَّا كَانَ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ جِئْتُ فَسَلَّمْتُ وَجَلَسْتُ فَقَالَ:
هَلُمَّيْ إِلَى ابْنِي فَجِئْتُ بِسَيِّدِي عليه السلام وَهُوَ فِي الْخِزْقَةِ فَفَعَلَ بِهِ كَفَعَلْتَهُ الْأُولَى، ثُمَّ أَذَى
لِسَانَهُ فِي فِيهِ كَأَنَّهُ يُعْذِّبُهُ لَبْنًا أَوْ عَسَلًا، ثُمَّ قَالَ: تَكَلَّمْ يَا بَنِي فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
وَتَنَّى بِالصَّلَاةِ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَعَلَى الْأَئِمَّةِ الطَّاهِرِينَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ
أَجْمَعِينَ حَتَّى وَقَفَ عَلَى أَبِيهِ عليه السلام ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿وَتُرِيدُ أَنْ
نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ وَنُكِنُّ لَهُمْ

فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴿١﴾ قَالَ مُوسَى
فَسَأَلْتُ عُقْبَةَ الْخَادِمِ عَنْ هَذِهِ فَقَالَتْ: صَدَقَتْ حَكِيمَةٌ ﴿٢﴾.

الدور الثالث: التواضع

إنَّ السيدة حكيمة عليها السلام، رغم مكانتها السامية جداً عند أبيها الإمام الجواد،
وأخيها الإمام الهادي، وابن أخيها الإمام العسكري، ثم عند الإمام الحجة عليه السلام،
إذ كانت من القلة النادرة من سفرائه ووكلائه، نجدها تخاطب السيدة نرجس عليها السلام
قائلة: (أنا فداك وجميع العالمين) ^(٣)، وفي رواية أخرى: «فجاءتني نرجس تخلع خفي
فقلت: يا مولاتي ناوليني خفك، فقلت: بل أنت سيدتي ومولاتي، والله لا أدفع إليك
خفي لتخلعيه ولا لتخدميني، بل أنا أخدمك على بصري، فسمع أبو محمد عليه السلام ذلك
فقال: جزاك الله يا عمّة خيراً» ^(٤).

في الحقيقة إننا نجد فوق ذلك في التاريخ، فلقد اکتبت السيدة حكيمة عليها السلام على
يدي السيدة نرجس عليها السلام تقبلها ^(٥)، فقد جاء في الرواية: «فقلت: يا سيدي، ممن يكون
هذا الولد العظيم؟ فقال لي عليها السلام: من نرجس يا عمّة، قال: فقلت له: يا سيدي ما في
جواريك أحب إلي منها وقمت ودخلت إليها وكنت إذا دخلت فعلت بي كما تفعل
فانكبت على يديها فقبلتها ومنعتها مما كانت تفعله فخاطبتني بالسيادة فخاطبتها
بمثلها» ^(٦).

(١) سورة القصص، آية ٥-٦.

(٢) الصدوق، كمال الدين، ص ٤٢٥؛ وينظر: الطبرسي، أعلام الوري، ص ٤١٨ - ٤٢٠.

(٣) المجلسي، بحار الأنوار، ج ٥١، ص ٢٥.

(٤) البحراني، هاشم، مدينة المعاجز، ج ٢، ص ٥٥٦.

(٥) ينظر: الشيرازي، مرتضى الحسيني، السيدة نرجس عليها السلام مدرسة الأجيال، ص ٣٧.

(٦) الخصبي، الهداية الكبرى، ص ٣٥٥.

إنّ تنحي السيدة حكيمة عليها السلام وهي ابنة إمام معصوم وأخت إمام معصوم وعمة إمام معصوم، وهي سيدة قومها وزعيمتهم، لتقبل رجلي السيدة المقدسة وهي من مقام ابنتها فهذا درس بليغ جداً، في تبجيل الأولياء وإعزازهم، بغض النظر عن مكانتها وحسبنا ومن نكون، ولذا فإن الله تعالى وفقها لتكون شريكة في ثواب زواج ستكون ثمراته انجاب المخلص الموعود، الذي بشرت به كتب السماء منذ آلاف السنين^(١).

الدور الرابع: اخبار الشيعة بأمر الإمام المهدي عليه السلام.

روى الشيخ الصدوق بإسناده عن محمد بن عبد الله المطهري، عن السيدة حكيمة حينما قصدها وسألها عن الحجة وما قد اختلف فيه الناس من الحيرة التي هم فيها قال: قالت السيدة حكيمة في حديث طويل: قال لي علي الهادي عليه السلام: «هذا ابن نرجس وهذا خليفتي من بعدي وعن قليل تفقدوني فاسمعي له وأطيعي... وافترق الناس كما ترى والله إنّي لأراه صباحاً ومساءً وإنه لينبئني عما تسألون عنه فأخبركم...»^(٢). وبهذا يتضح مدى افضلية السيدة حكيمة عند الإمام عليه السلام، فإنه عليه السلام طلب منها إخبار الشيعة بأمره، فقد كان لها دور كبير ومهم بعد استشهاد الإمام العسكري عليه السلام في حياة ابنه الإمام محمد المهدي عليه السلام في استلام كتب الناس ومسائلهم، وإيصالهم إليه وتقبض توقيعاته الشريفة وتوصلها إليهم، أي: كانت تقوم بدور السفارة^(٣). هذا يعني أنّ لها صلوات الله عليها مقام السفارة عنه عليه السلام.

الدور الخامس: مروياتها

كانت تروي حرز الإمام الجواد عليه السلام - وهو الحرز المعروف - روى ابن

(١) ينظر: المهون، حسين، الأميرة المقدسة من روائع قصص الأدب العربي الواقعية، ص ٩٨.

(٢) الصدوق، كمال الدين، ص ٤٣٠؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج ٥١، ص ١٤.

(٣) الطبرسي، حسين النوري، النجم الثاقب، ج ١، ص ١٥٩.

طاووس بسنده عن أبي نصر الهمداني قال: حدثني حكيمة بنت محمد بن علي بن موسى بن جعفر، عمّة أبي محمد الحسن بن علي العسكري عليه السلام قالت: «لما مات محمد بن علي الرضا عليه السلام، أتيت زوجته أم عيسى بنت المأمون فعزيتها... إلى أن قالت وذكرت حكاية طويلة وفي آخرها عن ياسر أنه قال: فلما أصبح أبو جعفر عليه السلام بعث إليّ فدعاني، فلما سرت إليه وجلست بين يديه، دعا برق ظبي من أرض تهامة، ثم كتب بخطه هذا العقد ثم قال: «يا ياسر، احمل هذا إلى أمير المؤمنين وقل له: حتى يصاغ له قصبه من فضة منقوش عليها ما أذكره بعد، فإذا أراد شده على عضده فليشده على عضده الأيمن»^(١). والدعاء الذي عرف بحرز الجواد عليه السلام هو: «يا نور يا برهان يا مبین يا نور يا رب اكفني الشرور وآفاق الدور واسلك النجاة يوم ينفخ بالصور»^(٢).

عود على بدأ: يمكن القول إن أهمّ المواقف للسيدة حكيمة عليها السلام هو: ربّما تكون الشاهد الوحيد الذي روى للتاريخ المعجزة الإلهية الكبرى لولادة المهدي المنتظر صاحب العصر والزمان عليه السلام بتفاصيل دقيقة مع الكتمان الكامل أمام السلطة العباسية التي كانت ترتقب الولادة وتضع العيون والجواسيس على بيت الإمام عليه السلام.

ثانياً: دور السيدة نرجس عليها السلام في حفظ الأمانة الربانية:

بعد أن ثبت بقاء أم مولانا الإمام المهدي عليه السلام بعد الإمام العسكري عليه السلام تأتي إلى ذكر بعض أدوارها النورانية وحفظها لإمام زمانها عليه السلام.

الدور الأول: قربها من الإمام العسكري عليه السلام.

الموقف الحقيقي المهم للسيدة نرجس عليها السلام، أنّها كانت مع الإمام العسكري عليه السلام في لحظاته الأخيرة، كما يروي الصدوق عليه السلام: محمد بن الحسين بن عباد أنّه قال: مات أبو محمد الحسن بن علي عليه السلام يوم الجمعة مع صلاة الغداة، وكان في تلك الليلة قد كتب بيده

(١) الطبرسي، حسين النوري، مستدرک الوسائل، ج ٢، ص ٦٠٠.

(٢) القمي، عباس، مفاتيح الجنان، ص ٧٧٩.

كتبا كثيرة إلى المدينة، وذلك في شهر ربيع الأول لثمان خلون منه سنة ستين ومائتين من الهجرة، ولم يحضر في ذلك الوقت إلا صقيل الجارية (أم الإمام المهدي عليه السلام)، وعقيد الخادم ومن علم الله عز وجل غيرهما، قال عقيد: فدعا بقاء قد أغلي بالمصطكي فجئنا به إليه فقال: أبدء بالصلاة هيئوني فجئنا به وبسطنا في حجره المنديل فأخذ من صقيل الماء فغسل به وجهه وذراعيه مرة مرة ومسح على رأسه وقدميه مسحاً وصلي صلاة الصبح على فراشه وأخذ القدح ليشرب فأقبل القدح يضرب ثناياه ويده ترتعد فأخذت صقيل القدح من يده. ومضى من ساعته صلوات الله عليه ودفن في داره بسر من رأى إلى جانب أبيه صلوات الله عليهما فصار إلى كرامة الله جل جلاله وقد كمل عمره تسعا وعشرين سنة»^(١).

والمستفاد من هذه الرواية أنّها ذكرت عدم وجود غيرها، بجوار مولانا العسكري عليه السلام والخادم عقيد، وهذا ما يؤكد شدة قربها من الإمام العسكري عليه السلام، دون غيرها من نساء أهل بيته، بل يوحي أنّ الإمام عليه السلام بصدد إعدادها لمهمة أخرى لا تقل أهمية عن سابقتها، يشهد على ذلك أنّ الإمام عليه السلام كان عالماً بوفاته ولذلك أبعاد أغلب أهل الدار حتى أمه ولم يبق إلا السيدة نرجس عليها السلام^(٢).

الموقف الثاني: الاعتقال والسجن.

قبل ذكر الموقف الثاني للسيدة نرجس عليها السلام، يجب التطرق إلى ما صنعه جعفر الكذاب ببيت الإمامة والعصمة، وتخطيطه لتولي زمام الإمامة، إذ اشارت الكتب التاريخية إلى نشوء تيار كامل موال لجعفر الكذاب، وهذا ما وثقه القاضي النعمان بقوله: «فقال قوم منهم بولاية جعفر بن علي، وأنكروا إمامة الحسن عليه السلام في حياته. وقالوا: قد امتحناه فلم نجد عنده علماً. ولما أن مات ولم يدع ولداً احتجوا بعد ذلك،

(١) الصدوق، كمال الدين، الباب ٤٣، ص ٤٧٤.

(٢) ينظر: السلطان، أحمد، سيدة الإمام، ص ١٠٨.

وقالوا: لا يكون الإمام إماماً إلا وله خلف وعقب»^(١). وقد كانت اللحظة المناسبة للاستحواذ على الزعامة بادعاء الإمامة، بوفاة الإمام العسكري عليه السلام إذ لم يكن له ولد ظاهر، وكان هذا الإعلان هو التصدي الرسمي للإمامة من قبل جعفر الكذاب عن طريق صلته على أخيه الإمام العسكري عليه السلام، ولكن حصل ما لم يكن بالحسبان إذ ظهر الإمام المهدي عليه السلام، وتقدم وصلى على أبيه وكشف الأمر أمام الناس^(٢).

ومن هنا كانت الغارة الأولى على بيت الإمام العسكري عليه السلام، فنقل عن الشيخ الصدوق: «فدخل جعفر بن علي على المعتمد وكشف له ذلك، فوجه المعتمد بخدمه فقبضوا على صقيل الجارية فطالبوا بالصبي فأنكرت وادعت حبلا بها لتغطي حال الصبي فسلمت إلى ابن أبي الشوارب القاضي، وبغتهم موت عبيد الله بن يحيى بن اقان فجأة، وخروج صاحب الزنج بالبصرة فشغلوا بذلك عن الجارية، فخرجت عن أيديهم»^(٣).

والمستفاد من الرواية، أنه حين هجم بيت بني العباس بيتهما واعتقلوها ادعت أنّ في بطنها حمل، وذلك لسبيين: أولهما: إخفاء أمر الغلام، الذي يريد بني العباس الخلاص منه إذ من الصعب أن يصدقوا رواية جعفر الكذاب بوجود ولد للإمام العسكري عليه السلام مع كلّ الرقابة المتشددة التي كانت قد ضربت على ذلك البيت، وثانيهما: عدم ترك المجال لجعفر الكذاب ليتم له أمر الإمامة، فمع عدم وجود ولد للإمام العسكري عليه السلام فإنّ الجميع سيقبل دعواه دون أي فحص أو تدقيق.

فضلاً عن: أنّ خروج السيدة نرجس عليها السلام لم يكن بإرادة البلاط العباسي، بل كان هروباً من سجنهم كما أشارت نصوص الشيخ الصدوق إلى الظروف التي

(١) النعمان، المغربي، شرح الأخبار، ج ٣، ٣٢١.

(٢) ينظر، السلطان، أحمد، سيدة الإمام، ص ١١٠.

(٣) الصدوق، اكمال الدين وتمام النعمة، ص ٣١٢.

ساهمت في تمكينها من الهرب.

ومن هنا دخلت هذه السيدة الطاهرة عليها السلام في مرحلة التخفي خوفاً من الاعتقال ولهذا لم ترجع إلى بيت الإمام العسكري عليه السلام، بل كان هرباً من عيون العباسيين، بالإضافة إلى أنّ جعفر الكذاب قد تملك كلّ ميراث أخيه الإمام العسكري عليه السلام بحيث لم يبق لأُسرتها أيّ موضع يستقرون فيه، وبالتالي فبعد خروج السيدة نرجس عليها السلام من سجنها لم ترجع لبيتها، بل بدأت التنقل بين بيوت كبار الشيعة في العراق، وبعدها اعتقلت مرة ثانية وسجنت بعد نيف وعشرين سنة من موت سيدها، أي: بالضرورة قبل ٢٩٠ هـ بل قبل ٢٨٩ هـ لكونها اعتقلت في أيام المعتضد والذي مات في هذا التاريخ وكان اعتقالها في بيت الحسن بن جعفر النوبختي الكاتب العباسي المعروف، وقد نقل ابن حزم شيء من أحداث هذا السجن إذ قال: «وزادت فتنة الروافض بصقيل هذه ودعواها إلى أن حبسها المعتضد بعد نيف وعشرين سنة من موت سيدها وقد عيّرها أنّها في منزل الحسن بن جعفر النوبختي الكاتب، وحملت إلى قصر المعتضد وبقية هنالك إلى أن ماتت في القصر في أيام المقتدر^(١). ويظهر من هذا النص أن معرفة مكان السيدة نرجس عليها السلام كان عن طريق وشاية في البلاط العباسي عن مكانها، فضلاً عن نوع السجن، فقد سجنت في قصر المعتضد لا سجن عامة الناس، وهذا يكشف خطورة القضية المهديوية في نظر العباسيين في تلك الأيام وحرصهم على إجهاض المشروع المهدي، كما يظهر من قول ابن حزم (وزادت فتنة الروافض بصقيل هذه ودعواها) بأنّها كانت لها حركة في الاوساط الشيعية في تلك الفترة، أي: بعد عشرين سنة من شهادة الإمام العسكري عليه السلام.

الدور الثالث: المواهب والمؤهلات.

لقد اختص الله عزّ وجلّ مولاتنا السيدة نرجس عليها السلام بالشرف الأرفع والذكر

(١) ابن حزم، أبي محمد على بن حزم الأندلسي الظاهري، الفصل في الملل والنحل، ج ٤، ص ٩٣.

الخالد بعد أن خلق فيها المواهب والمؤهلات من: نفسية الشرف وفضائل الشخصية والمزايا الجمّة كالحياء والعفة وقوة الشخصية وغيرها، وهذه الامتيازات قد اهلتها لتكون الأم التي حملت أنوار سيدنا ومولانا الإمام المنتظر عليه السلام، لقد كان الإخراج إلهياً، والصياغة ربانية، وأوليس هي التي قدّر لها ربّ الأفلاك أنّ تكون والدة خاتم الأوصياء، ووارث الأنبياء وحجة الله على أهل الأرض والسماء.

الدور الرابع: الشفاعة والتوسل

ومن الشواهد الدالة على عظم مكانتها عليها السلام أنّها أصبحت ملاذاً ومأوى للمتوسلين، والمنكوبون، فلا يعودوا إلاّ بحوائج مقضية وهموم مكشوفة بإذنه الله والشواهد على ذلك كثيرة منها:

ما نقل في أحوال الميرزا تقي الشيرازي، أنّه قد أصاب مدينة سامراء مرض الطاعون واخذ من أهلها مأخذاً عظيماً بحيث إنّ أهالي الموتى عجزوا عن دفن موتاهم فأصبحوا يأتون بهم ويتركونهم في الشوارع آنذاك، وفي شدة المحنة جاء الميرزا محمد تقي الشيرازي إلى منزل السيد محمد الفشاركي، الذي كان في منزله مع كوكبة من العلماء فدار البحث حول الوباء الذي يهدد حياة الجميع وبيناهم على ذلك وإذا بالميرزا الشيرازي يلتفت إليهم قائلاً: إذا أصدرت حكماً فهل هو نافذ أم لا؟ فرد الجميع: نعم إنه نافذ ويجب إجراؤه. فقال الميرزا: إنّي أصدرت حكماً على جميع الشيعة القانطين في سامراء أن يقرؤوا زيارة عاشوراء من اليوم إلى عشرة أيام ويهدوا ثوابها إلى روح السيدة نرجس عليها السلام، والدة الإمام الحجة عليه السلام ليتعد عنهم البلاء، فأبلغ الحاضرون حكمه ذاك لجميع الشيعة. فشرع الموالمون بقراءة الزيارة، وإذا بالطاعون يرتفع عنهم منذ قراءتهم للزيارة، بينما بقي غيرهم يموتون كالعادة حتى تجلى الأمر للجميع، فسأل بعض أتباع المذاهب الأخرى أبناء الشيعة في سامراء عن سبب ارتفاع الطاعون عنهم، فأخبروهم بالحال، فشرعوا بقراءة الزيارة، وإهدائها إلى السيدة

نرجس عليها السلام فدفع البلاء عن الجميع^(١). إنَّ وجود البركة والتأثير في الآثار المنتسبة إلى أولياء الله تعالى، أمر يؤكد القرآن الكريم إضافة للسنة والواقع المشهود في حياة الأمم السابقة.

وفي الختام: تبين للبحث أنَّ لهتين السيدتين دوراً عظيماً في الذود عن بيضة الشيع وحفظ أمين الله على أرضه فقد كان لمواقفهما العظيمة أثراً في ذلك في حياتهما، أمَّا بعد مماتهما فقد اصبحا نبراس لنساء الأمة فصارت محل قدوة للنساء للنهل من نبعها.

في الحقيقة أن دراسة تاريخ نساء العصمة، ضروري لكل مسلم ومسلمة، فلا فرق بين الذكر والأنثى، إن كانا متقيان، إذًا كما يستطيع الرجل أن يقتدي بالرجل، فإنَّه يستطيع الاقتداء بالمرأة، وعلى هذا فإنَّ اطلاعه على تاريخ نساء خالديات يساعد على الاقتداء بهن.

(١) ينظر: الشيرازي، محمد الحسيني، أمهات المعصومين، ص ٣١٩؛ وينظر: المالكي، حيدر هاشم، نرجس مستودعة السر الإلهي، ص ٤٦؛ وينظر: علي الجعفر، فاطمة، سفرة مليكة الدنيا والآخرة نرجس آل محمد (أم الإمام المهدي عليه السلام)، ص ١١٧.

الخاتمة

بعد هذه الجولة القصيرة في كتب التاريخ والسير يمكن تلخيص أهم النتائج التي وصل إليها البحث:

١. إنَّ لأُمّهات المعصومين عليهم السلام مكانة مرموقة خاصاً عند الله سبحانه وتعالى، فقد اصطفاهن لحمل حججه على عبادة وأمنائه في بلاده ومثل هذه الأمانة لا تكون إلا لمن خلص وأخلص فاستخلصه الله واجتباها عن بقية خلقه.

٢. لا شك أنَّ القضية المهدوية محاطة بعناية خاصة من قبل الله سبحانه وتعالى فقد هيأ سبحانه وتعالى كلَّ ما ينجح ويسدّد هذه القضية مادياً ومعنوياً، ومن جملة عنايته سبحانه وتعالى بقضية الإمام المهدي عليه السلام وجود ثلثة من النساء اللواتي حافظن على تمام سرية الولادة المباركة من جهة، وتولي المهام الملقاة عليهن بعد الغيبة.

٣. للسيدة حكيمة عليها السلام الدور الأكبر في تربية السيدة نرجس عليها السلام وتزويجها وحضور ولادتها. كما كانت ترى الإمام المهدي عليه السلام بشكل مستمر طوال الغيبة الصغرى، وكانت ممن يربط الشيعة به؛ حيث كانت تأخذ أسئلتهم إليه عليه السلام، وتأتي إليهم بإجاباته. وقيل إنّه صدرت على يدها توقيعات من الناحية المقدسة.

٤. لقد أبحف التاريخ حق، السيدة حكيمة بنت الإمام الجواد عليه السلام، رغم أنّها عاصرت أربعة من الأئمة الأطهار عليهم السلام، وربّما يعود ذلك إلى الأوضاع الأمنية السائدة آنذاك، والتي كان فيها الإمامان العسكريان عليهما السلام محتجزين في منطقة عسكرية تحت مراقبة السلطة العباسية.

٥. قصة زواج الإمام الحسن العسكري عليه السلام بالسيدة نرجس عليها السلام قصة معجزة بكل تفاصيلها وأمورها وكلّ شخص من أشخاصها وأحداثها.. فيد الغيب المقدسة واضحة في التأثير على حوادث القصة ومجرياتها من بدايتها وإلى نهايتها، وهي ذات دلالات لا يمكن استيعابها.

٦. انتخب الله عزّ وجلّ السيدة نرجساً عليها السلام لحمل خاتم الأئمة عليهم السلام وبقية الله في الأرضين، وقد تميزت بشدة صبرها وتحملها المشقة بعد شهادة الإمام العسكري عليه السلام والتضييق عليها من قبل العباسيين؛ لذلك، تعبق سيرتها برقي العباداة، والطاعة، وحفظ الوصية.

٧. بلغت السيدة نرجس عليها السلام المقامات العليا فصارت مليكة الدنيا والآخرة ومن الشواهد الدالة على عظم مكانتها عليها السلام أن أصبحت ملاذاً ومأوى للمتوسلين الذين يلتمسون شفاعتها عليها السلام.

المراجع والمصادر:

- القرآن الكريم

٨٢

١. ابن الصباغ، علي بن محمد أحمد المالكي (٨٥٥هـ)، الفصول المهمة في معرفة الأئمة، تحقيق: سامي الغريبي، ط ١، مطبعة ستارة، ١٤٢٢.
٢. ابن حزم، أبو محمد علي بن حزم الأندلسي الظاهري (٤٥٦)، الفصل في الملل والنحل، ط ١، مصر، الادبية، ١٣٢٠.
٣. ابن خلكان (٦٨١)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، دار الثقافة، د، ت.
٤. ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، تحقيق: لجنة من أساتذة النجف الأشرف، النجف، مطبعة الحيدرية، ١٩٥٦م.
٥. الإربلي، علي بن أبي الفتح (٦٩٣)، كشف الغمة في معرفة الأئمة، بيروت، دار الأضواء، د، ت.
٦. الأمين، محسن (١٣٧١)، أعيان الشيعة، تحقيق: حسن الأمين، بيروت، دار التعارف، د، ت.
٧. الأميني، إبراهيم، منقذ البشرية، ط ١، بيروت، دار الهادي، ١٩٩٣م.
٨. الأميني، محمد باقر، نرجس والدة الامام المنتظر عليه السلام، ترجمة: زهراء الموسوي، ط ١، بيروت، دار النبلاء، ٢٠٠٤م.
٩. البحراني، هاشم (١١٠٧)، مدينة المعاجز، تحقيق: محمد علي حسن، ط ١، بيروت، مؤسسة التاريخ العربي، ٢٠٠٩م.
١٠. التستري، محمد تقى، تواريخ أعلام الهداية النبي وآله عليهم السلام، مواليدهم - وفياتهم - مدفنهم - أمهاتهم - أزواجهم - أولادهم - مكارم أخلاقهم، تحقيق:

محمود الشريفى، وعلي الشكرجي، ط ١، بيروت، مؤسسة التاريخ العربي، ٢٠٠٤ م.
١١. التستري، محمد تقي، قاموس الرجال، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي، ط ١، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤٢٥.

١٢. الحسنى، عادل الهادي، السيدة نرجس عليها السلام سليلة الإمبراطورية البيزنطية ووالده منقذ البشرية، ط ١، د، م، دمط، ٢٠١٧ م.

١٣. الحسنون، محمد، مشكور، أم علي، إعلام النساء المؤمنات، ط ٢، طهران، دار الأسوة، ١٣٧٩ ش.

١٤. الحمصي، مصطفى صبحي الخضر، حياة نساء من بني هاشم، ط ١، بيروت، دار المحجة البيضاء، ٢٠٠٩ م.

١٥. الخراشي، سليمان بن صالح، أسئلة قادت شباب الشيعة إلى الحق، ط ٢، د، م، د، مط، ٢٠٠٧ م.

١٦. الخصبي، الحسين بن حمدان (٣٣٤)، الهداية الكبرى، ط ٤، بيروت: مؤسسة البلاغ، ١٩٩١ م.

١٧. الخطيب، ميثم مهدي، السيدة حكيمة عليها السلام سيدة المرحلة، مجلة النجف الأشرف، العدد ١٠٣ / ٢٠٠٣ م.

١٨. خلف، سندس رياض، مرقد السيدة نرجس في سامراء (دراسة تاريخية عمرانية)، مجلة التراث العربي / العدد ٤١ / سنة ٢٠١٩ م.

١٩. الخميس، عثمان بن محمد، متى يشرق نورك أيها المنتظر؟ قراءة في شخصية الإمام المهدي محمد بن الحسن العسكري عند الشيعة الاثني عشرية، ط ١، د، م، دمط، ٢٠٠٨ م.

٢٠. الخوئي، أبو القاسم الموسوي، معجم رجال الحديث، ط ٥، د، م، دمط،

١٩٩٢ م.

٢١. دخيل، علي محمد علي، أئمتنا سيرة الأئمة الاثني عشر، ط ٣، قم، مطبعة ستاره، ٢٠٠٨ م.

٢٢. الدرويش، جاسم ياسين، وحسين، سليمة كاظم، الأعلام الباهرة في النساء العلويات الطاهرة، ط ١، دمشق، تموز ديموري، ٢٠١٩ م.

٢٣. الذهبي (٧٤٨)، تاريخ الإسلام، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط ١، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٨٧ م.

٢٤. السلطان، أحمد، سيدة الإمام قراءة جديدة في هويتها وسيرتها، ط ١، كربلاء، قسم الشؤون الدينية، ٢٠١٢ م.

٢٥. السماوي، محمد بن طاهر بن حبيب (١٣٧٠هـ)، وشائج السراء في شأن سامراء، ط ١، كربلاء، دار الكفيل، ٢٠١٤ م.

٢٦. الشيرازي، محمد الحسيني، أمهات المعصومين، ط ٣، د، م، دمط، ٢٠٠٤ م.

٢٧. الشيرازي، مرتضى الحسيني، السيدة نرجس عليها السلام مدرسة الأجيال، ط ٤، النجف الأشرف: مؤسسة التقى، ٢٠٢٢ م.

٢٨. الصدر، حسن (١٣٥٤هـ)، تكملة أمل الآمل، تحقيق: عبد الكريم الدباغ، وعدنان الدباغ، ط ١، بيروت، دار المؤرخ العربي، ٢٠٠٨ م.

٢٩. الصدوق، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (٣٨١هـ)، إكمال الدين وتمام النعمة، تحقيق: علي أكبر غفاري، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤٠٥ هـ.

٣٠. الطبرسي، (٥٤٨)، الاحتجاج، تحقيق: محمد باقر الخرسان، ط ١، النجف، دار النعمان، ١٩٦٦ م.

٣١. الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن (من أعلام القرن السادس)، اعلام

الورى بأعلام الهدى، ط٣، النجف، مطبعة الروضة الحيدرية، ١٩٧٠ م.

٣٢. الطبرسي، النجم الثاقب في أحوال الإمام الحجة الغائب، تحقيق: ياسين الموسوي، ط٩، قم، انوار الهدى، ١٤١٥ هـ.

٣٣. الطبرسي، حسين النوري (١٣٢٠)، مستدرك الوسائل، تحقيق: مؤسسة آل البيت: لإحياء التراث، ط٢، بيروت، مؤسسة أهل البيت: لإحياء التراث، ١٩٨٨ م.

٣٤. الطبري، محمد بن جرير (من أعلام القرن الرابع)، دلائل الإمامة، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، ط١، قم، مؤسسة البعثة، ١٤١٣ هـ.

٣٥. الطوسي (٤٦٠)، الغيبة، تحقيق: عبد الله الطهراني، وعلي أحمد ناصح، ط١، قم، بهمن، ١٤١١ هـ.

٣٦. العاملي، علي الكوراني، شمعون الصفا وصي المسيح وجد الإمام المهدي عليه السلام لأمه، ط١، بيروت، المحجة البيضاء، ٢٠١٧ م.

٣٧. عبد الوهاب، حسين، (من أعلام القرن الخامس)، عيون المعجزات، النجف، مطبعة الحيدرية، ١٣٦٩ هـ.

٣٨. العراقي، محمود الموسوي، حياة الإمام المهدي عليه السلام، ط١، بيروت، دار الهادي، ٢٠٠٦ م.

٣٩. علي، الجعفر، فاطمة، سفرة مليكة الدنيا والآخرة نرجس آل محمد (أم الإمام المهدي عليه السلام)، ط١، كويت، د، مط، ٢٠٠٩ م.

٤٠. الرازي، فخر، الشجرة المباركة في أنساب الطالبية، تحقيق: مهدي الرجائي، ط٢، قم، مكتبة المرعشي، ١٣٧٧ ش.

٤١. القزويني، محمد كاظم، الإمام العسكري عليه السلام من المهد إلى اللحد، ط١، قم، لسان الصادق، ٢٠٠٥.

٤٢. القزويني، محمد كاظم، الإمام المهدي عليه السلام من المهد إلى الظهور، ط ١، قم، المطبعة العلمية، ١٤٢٢.
٤٣. القمي، عباس، مفاتيح الجنان، ط ٣٣، قم، مطبعة أسوة، ١٤٢٧هـ.
٤٤. الكليني (٣٢٩)، الكافي، تحقيق: علي أكبر غفاري، ط ٥، طهران، حيدري، ١٣٦٣.
٤٥. المالكي، حيدر هاشم، نرجس مستودعة السرّ الإلهي، من إصدار مؤسسة أم أبيها الخيرية الثقافية.
٤٦. المجلسي (١١١١)، بحار الأنوار، تحقيق: محمد باقر البهبوي، ط ٢، بيروت، مؤسسة الوفاء، ١٩٨٣م.
٤٧. المجلسي (١١١١)، مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول، ط ٢، طهران، مروي، ١٤٠٤هـ.
٤٨. المحلاتي، ذبيح الله، مآثر الكبراء في تاريخ سامراء، ط ١، قم، شريعت، ١٤٢٦هـ.
٤٩. المحمدواي، جواد جاسم، السيدة حكيمة بنت الإمام الجواد عليه السلام، ٢٠١٠م.
٥٠. المحمودي، نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة، ط ١، بيروت، دار التعارف للمطبوعات، ١٩٧٧م.
٥١. مرجع من العلماء الأعلام، نور الأبصار في مواليد الأئمة الأطهار، ط ٢، قم، أمير، ١٤١٥هـ.
٥٢. المرهون، حسين، الأميرة المقدسة من روائع قصص الأدب العربي الواقعية، ط ١، كربلاء، مطبعة وارث، ٢٠١٧م.

٥٣. نجف، محمد أمين، المعصومون الأربعة عشر: وذووهم، ط ١، (قم: دار الهلال، ٢٠٢١م).

٥٤. النعمان، المغربي (٣٦٣)، شرح الأخبار، تحقيق: محمد الحسيني الجلاي، (قم: مؤسسة النشر الإسلامي، د، ت).

٥٥. اليوسف، عبد الله أحمد، سيرة الإمام الحسن العسكري عليه السلام دراسة تحليلية للسيرة الأخلاقية والعلمية والسياسية العسكرية عليه السلام (٢٣٢-٢٦٠هـ/٨٤٦ - ١٨٧٣م).



البحث الثالث
السيدة حكيمة عليها السلام ودورها
في حماية الإمامة - دراسة مقارنة

م. د. إلهام حمد عيسى
جامعة الكوفة / مركز دراسات الكوفة



الملخص :

يُعنى هذا البحث بدراسة شخصية نسائية مهمة لها دورها البارز في أهم الأحداث الإسلامية على وجهه العموم والشيعة على وجهه الخصوص، ألا وهي ولادة الإمام المهدي عليه السلام، جاء بحثنا على تمهيد وثلاثة محاور وهو كالآتي :

التمهيد: المرأة بين الجاهلية والإسلام.

المحور الأول: نسب السيدة حكيمة عليها السلام.

المحور الثاني: السيدة حكيمة ودورها في حماية الإمامة مع الأئمة الأطهار عليهم السلام.

المحور الثالث: السيدة حكيمة بين التوثيق والتضعيف.

ختمنا بحثنا بأهم ما توصلت له الدراسة، واعتمدنا على مجموعة من المصادر والمراجع المعتبرة نرجو أن نكون قد وفقنا في إعطاء صورة موجزة لبحثنا، وأن ننال شفاعة أسيادنا أهل بيت النبوة عليهم السلام في الدنيا والآخرة، والحمد لله رب العالمين وصلّى الله على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين وسلم تسليماً كثيراً.

الكلمات المفتاحية: الإمامة، السيدة حكيمة، الولادة، الجدّة، سفراء .

المقدمة:

تعد المرأة من أهم أركان البيت الأسري باعتبارها المكمل الثاني للمجتمع وأحد أعمدته المتينة والعامل الفعّال في بنائه وتعد أهميتها الاجتماعية بارتباطها بمكانات معينة شغلت فيها مجالاً متميزاً دون تقييد أو تحجيم، بل لا تكاد تخلو عصور التاريخ من حضورها الواسع والقوي على مسرح الأحداث في مختلف جوانبه الفكرية والسياسية، وذلك بما امتازت به من دقة الفكر واتساع الأفاق فكانت مساهمتها كبيرة في تنمية وعي الأبناء وتهيئتهم وتكوين شخصيتهم على النحو الفكري والنفسي والسلوكي، وفي تراثنا الإسلامي نجد المرأة قد أخذت مكانها الجدير بها وبعلو همّتها لتؤدي دورها الرسالي بحسب قابليتها المنسجمة مع طبيعتها إلى جانب الرجل ومساندتها له على مختلف الصُّعد كونها عنصراً محورياً في تثبيت دعائم الدين الإسلامي والذي بدوره ينعكس على نهضة مجتمعاتنا الإسلامية.

ولأن سيدات بيت الإمامة خصهنّ الله عزّ وجلّ بالرفعة والشرف بمنحنهن أدواراً أحتلت فيها السيدة منهن مكانة مرموقة في الرسالة المحمدية، فارتئينا أن نسلط الضوء على السيدة حكيمة بنت الإمام الجواد عليه السلام، والعمل على نشر فضائلها وذلك من خلال إدراكها الحظوة الكبرى عند الله تعالى بإطاعتها لإئمة زمانها في حفظ ما استودعوها من أخبار وأحداث جرت في عصرها لغرض صون الإمامة وحفظها من مكائد الذين يترصدون لهم من الأعداء الكارهين وجودهم الإصلاحية والتكاملي على المدى الدنيوي والأخروي.

التمهيد: المرأة بين الجاهلية وإسلام.

كانت حضارات العالم القديم لها نظرتها المتباينة للمرأة وكثيراً ما كانت في قفص الاتهام توجه لها التهم جُزافاً بغير حق يُرى حتى أعتبرت مخلوقة بغير قيمة، بل من توافه الأمور وأبشعها، وقد نتحفظ عن الإساءة لها أو نذكر ما قالوه عنها في

كتابات ما عدّهم التاريخ فلاسفة العصور ونحن نبحت في حضرة امرأة من سادات عصرها، لكننا نشير لها سريعاً في حضارة العرب قبل الإسلام وربما ما ذكره القرآن الكريم من وأدها لدلالة واضحة على وضعها المأساوي في تلك الفترة، فهي تعيش في نظام قبلي اجتماعي يتميز بالتمدن البدائي، حيث كانوا يحتكمون إلى العادات والتقاليد والأعراف القبلية في تنظيم أمورهم الأسرية والذي انعكس تأثيره على المرأة وحقوقها، كان للرجل سيطرة كاملة على أغلب الأمور المتعلقة بحياتها دون مراعاة لرغباتها وميولها العاطفية، ونظرتهم لها على إنها ممتلكات وكائنات مستضعفة بل متاع يمتلكونها ويتصرفون بها كما شاؤوا ومنعوا من الميراث على حد تعبيرهم: «لا يرثنا إلا من يحمل السيف»، ومع ذلك كانت بعض النساء يتمتعن ببعض الحريات والمسؤوليات استطعن كسر القيود ولعبن أدواراً هامة في المجتمع بصفتهم أعلام ثقافية وأدبية، إلا أنّ الوضع العام لها كان مقيداً ومحدوداً، وبقيت على هذا الحال حتى مجيء الإسلام ليضع الضابط الشرعي والأخلاقي ليضمن حقّها ويمنحها حريات أكبر، ويحد من ازدرائها والخط من قدرها فصان كرامتها وغالى في شأنها بنزول سورة كاملة تحمل اسم "النساء" تبين ضمان حقوقهن وتنظيم شؤونهن، كما حفظ للمرأة حريتها في اختيار حياتها المستقبلية ونظر إليها على إنها نصف المجتمع على اعتبار ان الزواج نصف الدين والمرأة من تحقق للرجل نصف دينه، وقد جاء في الحديث الشريف عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «استوصوا بالنساء خيراً فإنّهن عوان عندكم، إنّ لكم عليهن حقاً ولهن عليكم حق»^(١).

حضيت المرأة في الفكر الإسلامي برعاية متميزة باعتبارها واحدة من أبرز عوامل صياغة المجتمع المسلم ونهضته على حد سواء، فهي عامل أساس في توازن أجياله لما لها من قدرة في تحمل أعباء المسؤولية في نطاق ثقافتها وطاقاتها الإيجابية

(١) الثعلبي، أحمد بن إبراهيم، الكشف والبيان عن تفسير القرآن (تفسير الثعلبي)، ج ١٠، ص ٩٦؛ الطبرسي، الميرزا حسين النوري، مسترك الوسائل ومستنبط المسائل، ج ١٤، ص ٢٠١.

وتشخيص مواطن الخلل وإصلاحه، لقد أعطيت المرأة في حضارتنا الإسلامية دوراً هاماً فلعبته على أتم وجه^(١)، وليس التاريخ بمنأى عن سيدات مسلمات تعرضن لأشد أنواع التنكيل والتعذيب من أجل سلب عقيدتهن فقاومن مقاومة مستميتة من أجل الثبات عليها، كما أدت المرأة المحمدية أدواراً في بدايات الإسلام وقيام دولته واشتداد شوكته بصورته المثلى والقدح المعلى فهذه السيدة خديجة عليها السلام تحملت أعباء الرسالة بشتى أشكالها في سبيل الدعوة والدين حتى وصفها بعضهم "بأنه لو وقف رجلان ووضع بينهما أموال خديجة لما رأى أحدهما الآخر لما تشكّله هذه الأموال من تلّ من بدر الدنانير والدراهم^(٢)، وفي رواية أخرى أنه "ما من بيت من بيوت مكة إلا ويضارب بأموال خديجة، فكان المجتمع القرشي بأجمعه يتاجر بأموالها ويضارب بها"^(٣)، فلم تجد بداً في أن تسوق هذه الأموال كلها إلى بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم لينفقها في سبيل الله صلى الله عليه وآله وسلم لنشر دعوة الحق، أما عن دورها المعنوي الذي كانت به قدوة تهتدي بها نساء المسلمين فكانت عليها السلام نعم الموازية والمساندة لزوجها بكلّ كيانها وطاقاتها النفسية في سبيل نجاح الرسالة وتحقيق المبادئ التي كان يرومها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في تجسيد هدف الرسالة، فلا يكاد يذكرها حتى يحسن الثناء عليها، وكان يرد على عائشة عندما تقول له: إن الله أبدلك بخير منها، فيقول صلى الله عليه وآله وسلم: «لا والله ما أبدلني الله خيراً منها، آمنت بي إذ كفر الناس، وصدقتني وكذبني الناس، وواستني في مالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله ولدها وحرمني ولد غيرها"^(٤).

كانت سيدة نساء العالمين التي زادت على أمها بوقوفها مع خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وابن عمه الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام حيث وقفت إلى جانبه في محنته مع قريش بعد

(١) البهادلي، عبد العزيز كامل، أمهات المعصومين سيرة وتاريخ، ص ٥.

(٢) الشيخ الوائلي، أحمد، المرأة في الإسلام من محاضرات الشيخ الوائلي، ص ٥٦٧.

(٣) ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج ١، ص ١٢٣.

(٤) الذهبي، شمس الدين، سير أعلام النبلاء، ج ٣، ص ٤١٤.

وفاة أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله، فكانت صاحبة القرار السياسي والموقف الحازم والشامل اتجاه كل من ناوأها وأصر على تجاهل رأيها ونكران حديثها.

استمر كفاح نساء البيت النبوي على درب النضال والجهاد في سبيل عزة الإسلام والمثابرة على وجوده متمثلاً في أهل البيت عليهم السلام، لتظهر السيدة حكيمة في مرحلة ما لتكمل مواصلة الطريق في إداء الرسالة، وذلك منذ الخطوة الأولى بتشرفها في الحضور في ولادة حجة الله عليه السلام لتكون شاهدة عيان على هذه الولادة المباركة، وهذه الحادثة كانت السبب الرئيس في بروز وظهور هذه الشخصية النسوية العلوية، لأنها كانت تمتلك المؤهلات لتحمل هذه المسؤولية الحساسة والخطيرة، فبنات البيت العلوي على مر التاريخ لا يخرجن على الساحة الاجتماعية أو السياسية إلا لأمر مهم يتوقف عليه أمر كبير في المجتمع الإسلامي، ومثال على ذلك وقوف الزهراء عليها السلام بعد وفاة النبي الأكرم وانهيار الأمة على الخليفة الشرعي لرسول الله صلى الله عليه وآله، وكذلك موقف السيدة زينب عليها السلام بعد واقعة عاشوراء، لتكمل الإصلاح الذي خرج من أجله الحسين عليه السلام، وهكذا السيدة حكيمة هي الأخرى كان لها دورها الخاص الذي يتناسب مع مستواها المعرفي بالإمامة، فقد اختيرت بالمشيئة الإلهية لذلك العمل التعبوي والتنبيه المعرفي الذي عليه تقف مسيرة الهداية للأجيال اللاحقة، فسخرت كل طاقاتها وجهودها في سبيل إبقاء راية الإسلام بيضاء مرتفعة متمثلة في وجود الأئمة عليهم السلام، فهي بنت الإمام الجواد وأخت الإمام المهدي وعمة الإمام العسكري وأحد سفراء الإمام المهدي عليه السلام (١).

١ - نسب السيدة حكيمة وسيرتها عليها السلام.

ولدت السيدة حكيمة في سنة (٢١٦ هـ) في منازل الوحي والإيمان في المدينة المنورة، ظهرت بعض الإشكاليات على وجودها من خلال اختلاف المؤرخين في عدد

(١) الصدر، حسن بن هادي، تكملة أمل الأمل، ج٦، ص٤٥٦، رقم ٢٨٣٢.

أبناء الإمام الجواد عليه السلام ومنهم أغفل ذكرها بما عُرفت به تاريخياً، وهذا انعكس على تسمية السيدة بين فاطمة وحليمة وحكيمة وخديجة وغيرها من الأسماء^(١)، ما جعل بعضهم يشكك في وجودها أصلاً بسبب تضارب الأسماء وعدم مناداتها بأسمها المشهور عند بعض مؤرخي سيرة الأئمة الأطهار، لا لشيء إلا لیسقطوا وجود الغيبة للإمام المهدي عليه السلام، فكان المستشكل أخذ عدم صحة رواية الولادة والظعن فيها^(٢)، على أساس أن السيدة هي من تفردت في إثبات وجوده، متجاهلين آخرين ممن رأوه عليه السلام ولاسيما وأن الروايات تذكر أن العسكري عليه السلام قد بشر خواص شيعته بولادة الحجة ضمن مكاتباته إليهم أو حينما كانوا يحضرون عنده ويأمرهم بالحيلة والحذر من إفشاء سر المولود، بقوله لابن إسحاق: ولد لنا مولود، فليكن عندك مستوراً وعن جميع الناس مكتوماً^(٣)، إن عدم ذكرها لا يفنيها لورود روايات فيها اسمها تغني عن ذكرها، ويكفي ذكرها في رواية الشيخ الصدوق في كمال الدين والشيخ الطوسي في الغيبة والمسعودي في إثبات الوصية وابن شهر آشوب في المناقب وغيرهم^(٤)، وأما ما ذكر في رواية الشيخ المفيد عن (فاطمة وأمّامة) عاد وأثبت وجود حكيمة وقال بسنده عن موسى بن محمد: «حدثني حكيمة بنت محمد بن علي وهي عمّة الحسن .. إنّها رأت القائم ليلة مولده ..»^(٥).

(١) الرازي، فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر، الشجرة المباركة في الأنساب الطالبية، ص ٩٢؛ الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن، أعلام الوري بأعلام الهدى، ج ٢، ص ١٠٦ .

(٢) ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد الحراني الدمشقي، منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، ج ١، ص ٤٦ - ٤٧ .

(٣) كان ممن رأى الإمام المهدي عليه السلام وهم من الخواص (أحمد بن إسحاق وعلي بن بلال ومحمد بن معاوية بن حكيم والحسن بن أيوب بن نوح وغيرهم، الشيخ الصدوق، كمال الدين، ج ٢، ص ٤٣٤؛ الشيخ المفيد، الإرشاد، ص ٢٤٣ .

(٤) التستري، الشيخ محمد تقي، قاموس الرجال، ج ١٢، ص ٢٣٩ .

(٥) الشيخ المفيد، الإرشاد، محمد بن نعمان العكبري، الإرشاد، ص ٢٢٧، ص ٢٤٣ .

كما ترجم لها السيد الخوئي بقوله: «حكيمة ابنة محمد بن علي عليهما السلام: روى محمد بن يعقوب بسنده عن موسى بن محمد بن القاسم بن حمزة بن موسى بن جعفر عليه السلام، قال: حدثني حكيمة ابنة محمد بن علي عليه السلام، وهي عمّة أبيه (صاحب الزمان) سلام الله عليه: إنها رأت ليلة مولده وبعد ذلك، الكافي: الجزء ١، باب تسمية من رآه عليه السلام، الحديث (٣)، كما ذكر الشيخ الصدوق رحمته الله: قصة ولادة الحجة سلام الله عليه وأن حكيمة هي التي تولت أمر نرجس والدة الإمام، كمال الدين: الجزء ٢، الباب ٤٢ فيما روى في ميلاد القائم ^(١)، ويبدو للتصحيح دوره في هذا الإشكال أو أن المؤلف آثر التركيز على البعض متناسياً الآخرين، ثم إن الاعتقاد بولادة الإمام المنتظر عليه السلام لا يعتمد على دليل أو رواية واحدة فهناك الأدلة القطعية على وجوده منها الدليل القرآني ^(٢) والروائي والدليل العقلي إضافة إلى الدليل التاريخي.

لقد أجاب الكاتب حسن الصدر في كتابه تكملة أمل الامل عن الخلط في إسمها ^(٣) حين قال: «سميت عمّة أبيها حكيمة بنت أبي جعفر محمد الجواد عليه السلام والتي حضرت ولادة الإمام المهدي عليه السلام كما حضرت عمتها حكيمة بنت أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام ولادة أبي جعفر محمد الجواد عليه السلام، ثم يستأنف بقوله: «الظاهر أنّ حكيمة ليس اسماً أصلياً لها، بل هو أحد ألقابها لوافر علمها وتقواها، واسمها فاطمة أو أمّامة، وكان السلف لا يخاطبون بالاسم، بل بالكنية»، لكن عند ذكر العقب وسرد

(١) السيد الخوئي، أبو القاسم الموسوي، معجم رجال الحديث وتفصيل بقات الرواة، ج ٢٤، ص ١٣٣، رقم الحديث ١٥٦٦٢.

(٢) ﴿أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [سورة الأنبياء: ١٠٥] ما رواه الخاص والعام لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث رجلاً صالحاً من أهل بيتي يملأ الأرض عدلاً وقسطاً... الطبرسي، أبو علي الفضل، تفسير مجمع البيان، المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام، ج ٧، ١٠٥، ص ١٢٠.

(٣) الصدر، حسن، تكملة أمل الامل، ج ٦، ص ٤٥٦، رقم ٢٨٣٢.

العتبة العسكرية المقدسة في سامراء حاضرة الفكر والتراث (وقائع المؤتمر العلمي الدولي الثالث) / ج ٢

الأولاد يذكرون الاسم الاصيل للشخصية المراد تعريفها، ذكرت في كتب السير والتواريخ بما اشتهرت به على ألسنة العامة من تسميتها "حكيمه"^(١).

أما أمها فهي سُمّانة المغربية تُعرف بالسيدة وتكنى بأُم الفضل، أفضل نساء عصرها لها من الصفات الحميدة والفضائل التي لا تقل عن درجات أمهات الصديقين والصالحين، فقد تولى تربيتها وتهذيبها الإمام الجواد فأقبلت على طاعة الله وعبادته فكانت من القاتنات المتهجّجات والتاليات لكتاب الله ﷺ، وقال الإمام الهادي عليه السلام، في حقها: «أُمِّي عارفة بحقِّي وهي من أهل الجنة، لا يقربها شيطان مارد، ولا ينالها كيد جبار عنيد، وهي مكلوءة بعين الله التي لا تنام، ولا تختلف عن أمهات الصديقين والصالحين"^(٢)، كما كانت من راويات الحديث وهي من الورع والتقوى بحيث لا يقربها الشيطان الرجيم وكان الناس يلقبونها بـ (السيدة)^(٣)، مدفنها في سامراء في حرم الإمامين العسكريين .

قدّمت السيدة حكيمه مع أبيها محمد الجواد عليه السلام من المدينة المنورة، حين استدعاه المعتصم العباسي إلى بغداد سنة (٢٢٠هـ)، عاشت في كنف أبيها مقتدية به في جميع أقوالها وأفعالها وأحوالها، ومنذ طفولتها مرتوية من معينه الفياض ومناهل الأمامة التي لا تنضب لتحيط بها هالات القداسة والجلال، بعد استشهادها في السنة المذكورة آنفا بقيت في ظل أخيها الهادي عليه السلام^(٤).

عاصرت السيدة حكيمه أربعة من الأئمة (أبيها الإمام الجواد وإخيه الإمام

(١) ينظر: الطوسي، الغيبة، ص ٢٤٣؛ الأمين، السيد محسن، أعيان الشيعة، ج ٦، ص ٢١٧ .

(٢) الطبري، محمد بن جرير بن رستم الأملي، دلائل الإمامة، ص ٤١٠-٤١١؛ البحراني، هاشم، مدينة المعاجز (معاجز أهل البيت عليه السلام)، ج ٨، ص ٣١١، رقم ٢٤٢٢؛ القمي، عباس، الأنوار البهية في تواريخ الحجج الألهية، ص ٢٢٨ .

(٣) الحائري، محمد حسين الأعلمي، تراجم أعلام النساء، ج ٢، ص ٢٢ .

(٤) السيدة حكيمه سيده المرحلة، مجلة النجف الأشرف، العدد ١٠٣، ص ٢٠ .

الهادي وإمام العسكري والإمام المنتظر عليهم السلام، فبذلت لهم الولاء الخالص وسخرت لهم كلّ الجهد من أجل إبقاء شعلة الإسلام والرسالة النبوية المتمثلة بالمعصومين متقدة لا تنطفأ في طريق الأجيال على مرّ الزمان .

شاء القدر لهذه العابدة الصالحة أن تشهد الصراع العنيف بين أصحاب الرسالة السماوية وبين جبهة الضلال السلطوية بني العباس متقمصة بذلك دور عمتها السيدة زينب عليها السلام التي حفظت أمانة أخيها الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام في أهله وعياله وكتماها سرّ إمامة الإمام علي بن الحسين عليهما السلام، فتجرعت السيدة حكيمة من خطوب ومحن جرت عليهم، بداية من إجبارهم في الخروج من مدينة جدهم إلى سامراء فأصابهم الظلم المستبد الذي مارسه السلطة الحاكمة بحق أهل البيت عليهم السلام على مدار سنّي حكمهم، وذلك من خلال مصادرة حقوقهم التي وهبها الله تعالى لهم فشدّوا من قبضتهم وبطشهم سواء عليهم أو على شيعتهم للقضاء عليهم ومحاوله استئصالهم وتشتيت شملهم بشتى أنواع القتل، فكانوا بين مقتول ومسموم ومغيب ومطروء، أو معتقل في السجون المظلمة التي لا يصل إليها أحد^(١).

قامت السيدة حكيمة بدور الوكالة في نقلها الروايات الإئمة عليهم السلام في الوقت الذي شدّدت الرقابة عليهم وأصبحت محاصرتهم حتى تطال سفرائهم، فزادوا من تشديد الرقابة على أبي عمر عثمان بن سعيد العمري^(٢) وكيل الإمام الحسن العسكري عليه السلام

(١) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج ٣، ص ٢٩٩ .

(٢) هو أول سفراء الإمام المهدي ومن أصحاب الإمامين الهادي والعسكري عليهم السلام، كان يتجر بالسمن تستراً من كيد العباسيين والمخالفين وأطلق عليه لذلك لقب السمان، يتنسب إلى قبيلة أسد نُسب إلى جدّه كان من أهل العقل والأمانة والثقة، كان يحمل الأموال في جراب السمن التي تنفذ من الشيعة إلى الإمام الحسن العسكري تقيّة وخوفاً. الطوسي، الغيبة ص ٣٥٣ - ٣٥٤؛ الراوندي، قطب الدين، الخرائج والجرائح، ج ٢، ص ٢١١ .

لستقبل هي والجددة أسئلة العوام وتجيهم عن مضامين ما ينتابهم من شكوك^(١)، ومن الشواهد على ذلك حوارها مع محمد بن عبد الله الطهوي وأحمد بن إبراهيم .

٢ - دور السيدة مع الأئمة الأربعة الأطهار الجواد والهادي والعسكري والقائم عليهم أفضل الصلوات والسلام) في حفظ الإمامة.

نشأت السيدة حكيمة في بيت أبيها الإمام الجواد عليه السلام في المدينة المنورة، فكانت لتلك النشأة في بيوت النبوة تأثيرها على شخصيتها ومحاسن صفاتها فكانت السيدة الفاضلة النجبية التقية الرضية المرضية القادرة على مواجهة التحديات، ولييان سمو قدرها وجلالة مكانتها وشرف منزلتها، إنها أنتخت لدور القابلة المولدة للإمام آخر زماناء عليه السلام، أما دورها في زمن أبيها فكانت المحدث والمعلمة لبيان أحكام الدين وآثار الولاية^(٢). فقد روت السيدة بعض الأمور التي حدثت في زمن أبيها وبعد وفاته، فكان من جملتها حرز الإمام الجواد عليه السلام الذي ورد عنها في كتاب مهج الدعوات لابن طاووس بسنده عن أبي نصر الهمداني^(٣)، وهو من الأحرار المشهورة وتداولها المؤمنون باهتمام بالغ ويبدو السبب في أهمية شهرته أنه ذكر في باب معجزات الجواد عليه السلام، فالسيدة تروي ما حدث للإمام عليه السلام لما في قصته من المعجزة ونتائجها عليه بحفظه من شر المأمون، ففي كتاب عيون المعجزات أتمها قالت وخلاصتها: «أتيت أم الفضل بنت المأمون بعد وفاة الإمام الجواد، فبينما نحن في حديثنا عن مكارم أخلاقه، وما أعطاه الله تعالى من الشرف والإخلاص ومنحه من العزة والكرامة، إذ قالت: ألا أخبرك بشيء عجيب عنه وأمر جليل .. كنت أغار عليه كثيراً وأراقبه أبداً .. فبينما أنا

(١) السيدة حكيمة سيدة المرحلة، ص ٢٠ - ٢١ .

(٢) القزويني محمد كاظم، الإمام الجواد عليه السلام من المهد إلى اللحد، ص ٣٧٥ .

(٣) الحرز هو (بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين إلى آخرها .. ألم تر أن الله سخر ما في الأرض والفلك تجري في البحر بأمره ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه إن الله بالناس لرؤف رحيم ..) للمزيد ينظر: ابن طاووس، علي بن موسى، مهج الدعوات، ص ٤٠ .

جالسة ذات يوم دخلت علي جارية من ولد عمار بن ياسر قالت أنا زوجة أبي جعفر .. فدخلني من الغيرة ما لا احتمله .. فلما خرجت مني دخلت علي أبي وأخبرته وكان سكران لا يعقل فأخذ السيف ودخل عليه وما زال يضربه حتى قطعه .. فلما أفاق المأمون أدرك عظيم ما صنعه فبعث ياسر الخادم ليستطلع أمر الإمام وحاله فما لبث وأن جاء فرحاً مستبشراً بأنه لا يزال حياً وكأنه العاج الذي مسه صفرة لا يشكو من شيء في جسده، ثم أخبر الإمام الجواد عليه السلام المأمون أن ما أنجاه من تلك الضربات وشرورها بإذن الله تعالى هو هذا الحرز^(١)، وعلى رأي البعض أن الذي حصل ليس من السحر أو الشعوذة فلا يبعد أن الذي حصل للخليفة العباسي المأمون كان تصرفاً ربانياً في عينيه وأعين غيره ممن شاهدوه كما حدث في قصة شبه عيسى عليه السلام، وقصة فرعون ﴿فَإِذَا جِبَاهُهُمْ وَعِصِيَّتُهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾^(٢)، وهذه الوجوه تحليلات مادية لتقريب المعنى من الذهن والمعجزة فوق تلك المقاييس ولا يمكن تحليلها على وفق المادة، والذي حدث لإمامنا عليه السلام عن طريق المعجزة التي مكّنه الله منها وقد استخدمها في وقتها المناسب لها^(٣).

وقد علّم الإمام عليه السلام الحرز للمأمون ويروى أنّه غزا بلاد الروم ونصره الله عليهم وغنم منهم مغنماً ما شاء الله فكان لا يفارق هذا الحرز عند كلّ غزاة ومحاربة فيرزقه الله تعالى الفتح بمشيئته وفضله إنّهُ ولي ذلك بحوله وقوته^(٤).

بعد وفاة الجواد عليه السلام عاشت السيدة الفاضلة في كنف أخيها الإمام الهادي عليه السلام^(٥)،

(١) حسين بن عبد الوهاب، عيون المعجزات، ص ١١٤؛ ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج ٤، ص ٩٥؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ٩٥.

(٢) سورة الأعراف، الآية ١١٦.

(٣) القزويني، الإمام الجواد عليه السلام، ص ٣٧٤-٣٧٥.

(٤) ابن طاووس، مهج الدعوات، ص ٤٣.

(٥) ولد الإمام الهادي عليه السلام في المدينة المنورة ومنها أشخص إلى مدينة سامراء حوالي سنة ٢٣٦ هـ،

بعد مجيئه إلى سامراء أقيم عليه ما يدعى بالإقامة الجبرية التي فرضت عليه ليكون تحت أنظار السلطة العباسية التي ناصبت العداء للأئمة فتولت مطاردتهم ومحاولة إبعادهم خوفاً من تحريك الأئمة ضدهم وانصراف الناس إليهم لما علموه من ألتفاف الناس حولهم في المدينة المنورة وغيرها من بلاد الإسلام^(١)، مارس الإمام الهادي عليه السلام حياته واستمر هو وأولاده الأطهار ينشرون تعاليم أهل البيت والشريعة الإسلامية رغم تزايد الضغط العباسي عليهم ومحاولتهم السيطرة التامة على تحركاتهم وانشطتهم، وقد عاصر الإمام من حكام بني العباس المعتصم بن هارون الرشيد (٢١٧ - ٢٢٧هـ)، الواثق بن المعتصم (٢٢٧ - ٢٣٧هـ)، والمتوكل (٢٣٧ - ٢٤٧هـ)، ثم المنتصر (٢٤٧ - ٢٤٨هـ) الذي حكم أقل من ستة أشهر والمستعين (٢٤٨ - ٢٥٢هـ) وبعده المعتز (٢٥٢ - ٢٥٥هـ) الذي في عهده كان استشاده سنة (٢٥٤هـ)^(٢).

كانت السيدة ملازمة لأخيها الهادي عليه السلام حين بعث كافور الخادم إلى^(٣): بشر بن سليمان النخّاس وهو من ولد أبي أيوب الأنصاري ومن ثقات أهل البيت عليهم السلام والذي فقهه الإمام في أمر الرقيق فكان لا يبتاع ولا يبيع إلا بإذنه ليجتنب بذلك موارد الشبهات حتى أصبح ذا معرفة كاملة فيه، وأحسن الفرق فيما بين الحلال

في زمان المتوكل العباسي، عُرف الإمام بالعلم والجهاد والزهد والعمل، ويروى "إنّ المحلة الي سكنها الإمام الهادي وولده الحسن العسكري عليه السلام، بسرّ من رأى تسمى عسكر لذلك قيل لكل واحد منهما العسكري أو العسكريان، يعرف في زمانها هو وأبوه وولده بأبناء الرضا ألقابه الصامت، النقي الرفيق ..، الشيخ الصدوق، علل الشرائع، ج ١، ٣٣٠، الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مادة عسكر، ج ٢، ص ٩٢؛ ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج ٤، ص ٤٢١.

(١) الباني، عصري، الحياة السياسية للإمام الحسن العسكري عليه السلام، ص ١٥٥.

(٢) الشيخ المفيد، الإرشاد، ص ٢٣٢؛ الطبرسي، إعلام الوري، ج ٢، ص ٣٥٥.

(٣) الشيخ الصدوق، محمد بن علي بن بابويه، كمال الدين وتمام النعمة، باب ٤١، ج ٢، ص ٣٢٩ - ٣٣٠؛ ابن شهر آشوب، مناقب الطالبين، ج ٤، ص ١٤٣.

والحرام، وذات ليلة طلب الإمام منه شراء جارية رومية في سوق النخاسة وصفها له حاملاً معه كتاباً لها بخط رومي ولغة رومية وطبع عليه بخاتمه، وأخذ يشرح له تفاصيل تلك الفتاة التي وقعت في أسر المسلمين - بعد معركة جرت بين قومها الروم والمسلمين في منطقة تدعى عمورية^(١) - لكي لا يشتبه عليه أمرها، وبعد مشاحات في ثمنها اشتراها بشر النخاس تحدث معها الإمام وكانت تتقن العربية، ويبدو معرفتها للعربية هو اطلاعها على آداب اللغة وعلومها كونها من سلالة الملوك الذين حرصوا على تعليم أبنائهم ليكونوا جديرون بمقاماتهم الملكية، قوبلت السيدة النرجس من قبل الإمام المهدي عليه السلام بمنتهى الحفاوة والتكريم ثم بشرها بولد يملك الدنيا شرقاً وغرباً ويملاؤها قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً يولد لها من ابنه الإمام الحسن العسكري، ثم بوصولها أرسل إلى السيدة حكيمة فلما رأتها سرت بها كثيراً وما زالت تعتنقها.. فقال لها الإمام يابنت رسول الله صلى الله عليه وآله أخرجيها إلى منزلك وعلميها الفرائض والسُنن، فهي الموعودة زوجة أبي محمد وأم القائم^(٢) إمام آخر الزمان ومنقذ الأمة من الهلاك وبادرت العمّة على حفظها وإكرامها، بل كانت تجلّها وتعظمّها لعلمها أنّها السيدة نرجس ستصبح الوعاء لأعظم مصلح اجتماعي في التاريخ بعد أجداده أهل البيت عليهم السلام، وعلى الرغم من ورود رواية أخرى تذكر أنّ السيدة نرجس كانت جارية أصلاً للسيدة حكيمة ولم تذكر المصادر من أين جاءت بها؟ لكن هذا لا ينافي بين هذا الحديث والذي سبق، لقوله عليها السلام "أخرجيها وعلميها.." فيظهر إنّها كانت عند السيدة حكيمة في تلك الحالة مدة ليست بالقصيرة لغرض تأهيلها حتى أشتهرت بجارية حكيمة وجرى الأمر بعد من رؤية الإمام العسكري لها، كما في الخبر الوارد

(١) بليدة على شاطئ العاصي بين فامية وشيزر فتحت بعد معركة حدثت في عهد المعتصم العباسي سنة ٢٢٣هـ وذلك بعد أسر شرارة العلوية ثم فتح بعدها أنقرة للمزيد ينظر، الحموي، ياقوت شهاب الدين، معجم البلدان، ج ٤، ص ١٥٨.

(٢) الشيخ الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن، الغيبة، ص ٢٢٤.

في مصادرنا^(١).

كفالة السيدة في هذه الرواية تدل على عظيم منزلتها وجلالة قدرها وعلمها الوافر، حيث أوكل لها تعليم أم الإمام المهدي عليه السلام، ويبدو العمدة الطاهرة سُدعت بتلك المهمة التربوية وفرغت نفسها لرعاية أولاد الأئمة، كونها أفترقت إلى العقب ولم ترزق بالذرية فعوضها الله تعالى برعاية سادات أهل الأرض أكملهم خُلُقاً وخلقاً، فسارعت إلى حفظ الوديعة بالسر والكتمان .

أما مع ابن أخيها الحسن العسكري، لقد تشرفت السيدة حكيمة أن يكون لها النصيب الأوفر في أن تشهد ولادة منقذ البشرية وحجة الله في أرضه فتتولى شؤونه وتكون أول من نظر إليه والتزود من وجهه المبارك، وذلك من خلال قول الإمام الحسن العسكري لها: «يا مباركة، إنَّ الله تبارك وتعالى أحب أن يشركك في الأجر ويجعل لك في الخير نصيباً»^(٢).

روي عن الشيخ الصدوق عن السيدة حكيمة والتي حضرت الولادة وكان الموضوع بتمام السرية لصعوبة الوقت وشدة طلب بني العباس واجتهادهم في البحث عن أمره وذلك ما شاع عن مذهب الإمامية فيه وعُرف من انتظارهم له، أنّها قالت^(٣): «بعث إليّ أبو محمد الحسن فقال: يا عمّة، إجملي إفطارك هذه الليلة عندنا فإنّها ليلة النصف من شعبان فإنَّ الله تبارك وتعالى سيظهر في هذه الليلة الحجة وهو حجته في أرضه، فقلت ومن أمّه: قال: هي نرجس^(٤)، قلت: جعلت فداك ما بها من أثر، فقال:

(١) كلام المحقق، هامش كتاب إكمال الدين وتمام النعمة للشيخ الصدوق، باب ٤٢، ج ٢، ص ٣٤٥.

(٢) المجلسي، بحار الأنوار، ج ٥١، ص ١٢ .

(٣) الشيخ الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة، باب ٤٢، ج ٢، ص ٣٤٠.

(٤) السيدة نرجس يقال لها ربحانة وسوسن وصقيل ومليكة زوج أبي محمد الحسن العسكري عليه السلام، وهي أم ولد يستفاد من أخبارها وجلبها إلى بغداد وابتاعها أنّ اسمها مليكة بنت يشوعا بنت

هو ما أقول لك ... قالت السيدة حكيمة أفطرت وأخذت مضجعي فرقدت، فلما كان في جوف الليل قمت إلى الصلاة ففرغت من صلاتي وهي نائمة ليس بها حادثة .. فخرجت أتفقد الفجر فإذا أنا بالفجر الأول كذئب السرحان وهي نائمة فخالجني الشك، فصاح بي أبو محمد من المجلس: لا تعجلي يا عمّة! فهناك الأمر قد قرب، فجلست وقرأت ألم السجدة ويس .. أنتبهت فزعة فوثبت إليها فقلت اسم الله عليك ... فإذا به عليها السلام أتى ساجداً يتلقى الأرض بمساجده فضممته فإذا به نظيف منظف فصاح بي أبو محمد هلمي أليّ يا عمّة فجئت به إليه ووضع يديه تحت إلتيه وظهره، ووضع قدميه على صدره ثم أدلى لسانه في فيه وأمرّ يده على عينيه ومفاصله، ثم قال: «تكلم يا بني»، فقال: فقال الشهادة وصلى على أمير المؤمنين وعلى الأئمة عليهم السلام إلى أن وقف على أبيه ثم أحجم ودعا لنفسه وقال "اللهم أنجز لي ما وعدتني وأتم لي أمري وثبت وطأتي، وأملأ الأرض عدلاً وقسطاً" ثم أجرى له مراسيم الولادة بالصدقة والعق عنه ثم بعث إلى خاصته يخبرهم بولادته^(١).

وتكمل السيدة أنّها مضت به إلى أمه لترضعه ويسلم عليها ثم رددته إلى أبي محمد عليها السلام الذي أخبرها بقوله: يا عمّة، إذا كان يوم السابع فأتينا".

قالت السيدة حكيمة: فلما أصبحت جئت لأسلم على أبي محمد وكشفت الستر لأتفقد سيدي فلم أره فقلت: جعلت فداك ما فعل سيدي .

قال: " يا عمّة، استودعناه الذي استودعه أم موسى عليها السلام " ثم واصلت تخبره وما هذا الطير الذي يرفرف عليه؟ قال هو روح القدس الموكل بالأئمة عليهم السلام يوفقهم

قيصر ملك الروم وأمها من الحواريين تنسب إلى شمعون وصي المسيح عليه السلام ولما أسرت سمت نفسها نرجس لثلا يعرف من اشتراها الذي وقعت في سهمه من الغنيمة من سلالة الملوك ... الحائري، محمد حسين الأعلمي، تراجم أعلام النساء، ج ٢، ص ٤١٢.

(١) الشيخ الصدوق، عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٢، ص ٧٠؛ وينظر: كمال الدين وتمام النعمة، باب ٤٢، ج ٢، ص ٣٤٨-٣٤٩؛ الهيثمي، الصواعق المحرقة، ج ٢، ص ٤٧٣.

ويربيهم ويسددهم بالعلم .. فلما كان بعد أربعين يوماً ردّ الغلام ووجه إليّ ابن أخي فدعاني فدخلت عليه فإذا بالصبي متحرك يمشي في الدار بين يديه، ولم أرى لغة أفصح من لغته فقلت: يا سيدي هذا ابن سنتين؟ فتبسم الإمام ثم قال: «إنّ أولاد الأنبياء والأوصياء إذا كانوا ينشئون بخلاف ما ينشأ غيرهم، وأنّ الصبي منّا إذا أتى عليه شهر كان كمن أتى عليه سنة^(١)... فلم أر ذلك الصبي في كلّ أربعين يوماً إلى أن رأيت رجلاً قبل مضي أبي محمد عليه السلام بأيام قلائل فلم أعرفه ... فقال هذا ابن نرجس وهذا خليفتي من بعدي وعن قليل تفقدوني فاسمعي له وأطيعي .. وكان الذي قاله ورحل الإمام بعد أيام قلائل .. ووالله إني لأراه صباحاً ومساءً وإنّه لينبئني عما تسألون عنه فأخبركم، ووالله إني لأريد أن أسأله عن شيء فيبدأني به ... يخرج إليّ جوابه من ساعته من غير مسألتي^(٢) .

نالت العمّة الفاضلة الحظوة والمكانة المتميزة والرفيعة عند الأئمة المعصومين لا لقربها النسبي فقط، بل لكونها المؤمنة الصالحة، الصافية العقيدة، الخالصة الإيمان لله، المستعدة للتضحية والوفاء فبرز وفائها المحض والولاء لهم في حفظ أحاديث الأئمة الأطهار ورواية أحاديثهم والتمسك بها والمحاجة في الدفاع عنهم في الوقت الذي استغل غيرهم من يقرب لهم في هذا الأمر وأدعى ما ليس له (يُدعى أخاه)، طمعاً في ميراث الإمام وتقرباً للخليفة العباسي المعتمد مقترحاً عليه أن يدفع له عشرين ألف دينار لتؤيد الدولة إمامته، بل حتّى حكومة العباسيين على الأغارة على بيت الإمام العسكري ونهب ممتلكاته والبحث عن الإمام المهدي عليه السلام^(٣).

(١) وفي رواية قال عليه السلام: «إنا معاشر الأئمة نشأ في يوم كما ينشأ غيرنا في سنة»، الشيخ الصدوق، كمال الدين، باب ٤٢، ج ٢، ص ٣٥٠؛ الراوندي، الخرائج والجرائح، باب ١٣، ج ١، ص ٤٦٦.

(٢) الشيخ الصدوق، كمال الدين، ج ٢، ص ٣٥١؛ الراوندي، الخرائج والجرائح، ج ١، ص ٤٦٦.

(٣) جعفر الكذاب هو ابن الإمام الهادي ولد بعد سنة ٢٣٢ هـ وهي سنة ولادة الإمام العسكري ولم يقف عند حد ادعائه بالإمامة، بل طالب بالورث من السيدة سليل والتي تعرف بالجدّة

روي عن الشيخ الصدوق بسنده عن محمد بن عبد الله الطهوي^(١) أنه قال: «قصت حكيمة بنت محمد الجواد بعد وفاة ابن أخيها الإمام الحسن العسكري عليه السلام، أسألها من وراء حجاب عن الحجة وما قد اختلف فيه الناس من الحيرة التي هم فيها فقالت: يا محمد، إنّ الله تبارك وتعالى لا يُخلي الأرض من حجة ناطقة أو صامتة، ولم يجعله في أخوين بعد الحسن والحسين عليهما السلام تفضيلاً لهما وتنزيها لهما أن يكونا في الأرض عديلهما، إلا أنّ الله تبارك وتعالى خصّ ولد الحسين عليه السلام عليّ ولد الحسن عليه السلام كما خصّ ولد هارون عليّ ولد موسى عليه السلام، وإن كان موسى حجة عليّ هارون والفضل لولده إلى يوم القيامة» ثم تواصل سلام الله عليها مشيرة إلى الإمام المهدي الخلف الصالح بعد أبيه قائلة: «ولا بُدّ للأمة من حيرة يرتاب بها المبطلون، ويخلص فيها المحقّون، كيلا يكون للخلق على الله حجة، وإنّ الحيرة لا بُدّ بعد مضيّ أبي محمد الحسن.

فقال الطهوي: يا مولاتي، وهل كان للحسن العسكري ولد؟

فقالت: إذا لم يكن للحسن عقب، فمن الحجة من بعده؟! وقد أخبرتك أنّه لا إمامة لأخوين بعد الحسن والحسين عليهما السلام، ثم بينت له محدثة له بحديث الولادة،

فإنّ الميراث حقها بلا منازع؛ لأنّها من الطبقة الأولى، ووقفت موقف المتحدي لتثبيت جدارة تلك المرأة في الحفاظ على موروث الأئمة، وقد أشتهر جعفر الكذاب باستهتاره دينياً وسقوطه الأخلاقي وقد وصفه الإمام المهدي عليه السلام: «... وقد أدعى هذا المبطل المفتري على الله الكذب بما ادعاه... وقد تأدى إليكم، وهاتيك ظروف مسكره منصوبة وآثار عصيانه لله مشهورة قائمة "وبعد منازعة الإمام المهدي في ميراثه قال له: «يا جعفر مالك تعرف في حقوقي" وبعد وفاة الجدلّة رفض جعفر أن تدفن في الدار فخرج له عليه السلام قائلاً: يا جعفر، أدارك هي " ثم غاب عنه فلم يره بعد ولقد جاء في كثير من الأحاديث المروية عن الأئمة ما سيفعله جعفر من الجرائم في حق البيت النبوي، للمزيد ينظر: الشيخ الصدوق، كمال الدين، باب ٤٤، ج ٢، ص ٣٧٤؛ الشيخ المفيد، الإرشاد، ص ٢٣٦؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ٢٢٨.

(١) الشيخ الصدوق، كمال الدين، باب ٤٢، ج ٢، ص ٣٤٤.

العتبة العسكرية المقدسة في سامراء حاضرة الفكر والتراث (وقائع المؤتمر العلمي الدولي الثالث) / ج ٢

وهنا تشير السيدة حكيمة إلى نفي إمامة جعفر الكذاب الذي ادعى خلافة أخيه الإمام العسكري عليه السلام، وقد أورد الشيخ الصدوق أن جماعة من القميين ذهبوا إلى سامراء لمقابلة الإمام العسكري فواجهوا نبأ استشهاد جعفر فأمام من بعده وحين سأله عن أشياء ولم يجبههم اعتبروه فاقداً للأهلية بأحكام الدين وحصلوا على أجاباتهم من الإمام المهدي عليه السلام (١).

وعن أحمد بن إبراهيم أنه دخل على السيدة حكيمة سنة ٢٦٢ هـ فكلّمها وسألها عن دينها فسمت له من تأتم بهم من الحجج، إلى أن وصلت إلى الحجة ابن الحسن فسمته، فقال لها: «جعلني الله فداك معاينة أم خبر؟ قالت: خبراً عن أبي محمد عليه السلام كتب به ألي، ثم سأله: أين الولد؟ فقالت: مستور، فقلت: إلى من تفرع الشيعة؟ قالت إرجعوا إلى الجدة أم أبي محمد (السيدة سليل) (٢)، فقال ابن إبراهيم: أقتدي بمن وصيته إلى امرأة؟ فقالت عليها السلام: أقتداء بالحسين بن علي عليهما السلام أوصى إلى أخته العقيلة زينب عليها السلام وكان في الظاهر الإمامة لولده علي بن الحسين عليهما السلام وذلك حفاظاً عليه من الأعداء فكان ما يخرج من علم ربهما ينسب إلى زينب عليها السلام تستراً على الإمام زين العابدين عليه السلام ثم قالت: إنكم قوم أصحاب أخبار، وأما رويتم أنّ التاسع من ولد

(١) الشيخ الصدوق، إكمال الدين وتمام النعمة، باب ٤٤، ج ٢، ص ٤٣١ - ٤٣٣ .

(٢) السيدة سليل: والدة الإمام الحسن العسكري عليه السلام لها من الأسماء حديث والجدة وقيل سنانة وسوسن كانت من العارفات الصالحات قال عنها الإمام الهادي: «سليل سُلّت من كلّ آفة وعيب ومن كلّ رجس ونجاسة، لا تلبثن حتى يعطيك الله عزّ وجلّ حجته على خلقه الذي يملأ الأفاض عدلاً كما ملئت جوراً» وكفاها فخراً إنّها مفرغ الشيعة بعد وفاة ولدها الإمام العسكري، وأحد الوسائط بين الإمام المهدي عليه السلام وشيعته، تعد من أعلام القرن الثالث الهجري توفيت في سامراء ودفنت بجوار الإمامين العسكريين عليهما السلام. للمزيد ينظر: الطوسي، الغيبة، ص ٢٣٩؛ الخصبي، الحسين بن حمدان (٣٣٤ هـ)، الهداية الكبرى، ص ٣٢٢؛ المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين، إثبات الوصية للإمام علي بن أبي طالب، ص ٢٣٦.

الحسين عليه السلام يقسم ميراثه وهو في الحياة" (١).

قول السيدة حكيمة خبراً لا ينفي إنَّها لم تشاهده عينا، كيف وهي من شهدت ولادته ولها روايات عديدة بهذا الشأن، بل تأكيداً منها على أنَّ الإمام العسكري عليه السلام أكد على وجوده واستمرارية بقائه على وجه الحياة وقول الإمام عليه السلام حجة في ذلك، ويبدو أنَّ السيدة كانت في هذه الفترة قد مُنعت من رؤيته لدواعي أمنية، وتمويه السلطات تقتضي الابتعاد بسبب الصعوبات الزمنية في عصر الإمام العسكري وبعد رحيله، إرسال أمه إلى مكة المكرمة (سنة ٢٥٩هـ) لغرض سلامتها وكتابة الوصية باسمها لترثه بدلاً من أخيه بموجب الشرعية إذ كان وجودها ضرورياً لشرح القضايا التي تعترض شيعتهم بتوجيه من الإمام الغائب، كانت وسيلة أخرى للتغطية على وجود الإمام الغائب عليه السلام، هذه الخطوة تندرج تحت استراتيجية الاحتياط الأمني التي تتطلبها الظروف ليتم بذلك غرض الإمام العسكري بالتستر على ولده، فكان تحال في الظاهر بعض القضايا إلى أم أبي محمد إذ كانت ظروف التقية توجب أن يقول الراوي حدَّثني فلان عن الجدة بدلاً من الإشارة إلى الإمام، وهذا ما كان يحدث في العهود السابقة عندما كان من ينقل حديثاً عن أمير المؤمنين عليه السلام يقول حدَّثني أبو زينب وبهذه الطريقة كان الإمام يتصرف وفقاً للضوابط الشرعية والتقليدية في التعامل مع وثائقه وتوقيعاته المقدسة بما يحافظ على سرية وهوية الإمام المهدي ويرتقي بمبدأ التقية (٢).

٣ - روايات السيدة بين التوثيق والتضعيف.

يبرز دور السيدة حكيمة في المحافظة على أسرار الأئمة المعصومين عليهم السلام ويعطيها قيمتها العظيمة ومكانتها المتميزة في التاريخ الإسلامي من خلال إخلاصها

(١) الصدوق، إكمال الدين، باب ٤٦، ج ٢، ص ٤٨٨؛ الطوسي، الغيبة، ص ٢٤٠.

(٢) الطبسي، محمد جواد، حياة الإمام العسكري عليه السلام دراسة تحليلية علمية لحياة الإمام العسكري،

وعفويتها النبيلة في الحفاظ على هذه الأسرار المقدسة عبر مسيرتها العطرة التي تظهر حكمتها وعمق تفكيرها في التعامل مع الأمور الدينية والسياسية.

نقلت لنا مصادرنا جانباً من تاريخها المشرف حيث أبرزت تفانيها لآل البيت عليهم السلام الذين نزههم الله تعالى عن العيوب وطهرهم تطهيراً، فإنَّ حرصها الشديد بقى ثابتاً في صيانة الحقيقة رغم الضغوط الخارجية التي جاءت من جهة الخصوم الذين حاولوا زعزعة مصداقيتها، والتشكيك في رواياتها، من ناحية نفي وجودها أحياناً وأخرى محاولاتهم لتضعيفها في قولهم "لم توثق"، أي: لم يقف على من وثقها ساعين من وراءها نفي وجود صاحب العصر والزمان عليه السلام (١).

وهذا الكلام ليس في موضعه من الدقة على اعتبار "لم يوثقها لا يجعل منها غير ثقة" فهي على حال عمته زينب عليها السلام لا أحد يجراً ويطالب بتوثيقها أو توثيق سيدات البيت النبوي أو حتى أمهات الأئمة المعصومين، ودليلنا في ذلك ما نقله عنها مراجعنا الكبار مستنديين على روايتها في نقلها من أحداث عاصرت الأئمة عليهم السلام كما أثنوا عليها ووصفوها بالعدل والإيمان ليؤكدوا عصمتها وقدسيتها، وقبول الرواية على حد قول علمائنا "ان لم يذكر توثيق للسيدة حكيمة بلفظ كانت ثقة فلا يعني أنها ليست بثقة وهي ليست مجهولة .. وقبول الرواية لا يتوقف على الوثاقفة، بل المدح من جهة الرواية كافي ويوجب أن تكون روايتها من الحسان وحجة" (٢)، "إن من أمارات المدح ومن موجبات الاطمئنان، بل مما يفيد علو الرتبة وكمال الوثاقفة كون الراوي ممن تشرف وفاز برؤية الطالع الأزهر للإمام .. فإنه لا تحصل هذه المكرمة إلا للأوحد من الصالحين" (٣).

(١) محسني، محمد آصف، مشرعة بحار الأنوار، ج ٢، ص ٢٠٨.

(٢) الجواهري، محمد، المفيد من معجم رجال الحديث، ص ٧٦٠.

(٣) الصدر، علي الحسيني، الفوائد الرجالية (دراسة جامعة وقواعد نافعة في علم الرجال)،

ذكر المجلسي في بحاره وقد أثنى عليها بعدما وصف قبة العسكريين عليهم السلام قائلاً: «إن فيها قبر الكريمة النجبية، العالمة الفاضلة، التقية الرضية، حكيمة بنت أبي جعفر الجواد ... ثم يسترسل في قوله: إنها كانت مخصوصة بالأئمة عليهم السلام ومودعة أسرارهم، وكانت أم القائم عليه السلام عندها، وكانت حاضرة عند ولادته، وكانت تراه حيناً بعد حين في حياة أبي محمد العسكري، وكانت من السفراء والأبواب بعد وفاته، فينبغي زيارتها بما أجرى الله اللسان بما يناسب فضلها وشأنها»^(١).

بينما ذكرها الشيخ باقر شريف القرشي بقوله: «وهي من العلويات العابدات التي تضارع جدتها سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء في عفتها وطهارتها»^(٢).

ووصفها السيد محسن الأمين في الحديث عن سيرتها بأنها .. أن أسمها حكيمة بالكاف كما هو موجود في كتب التواريخ والأخبار، وما يجري على ألسنة العامة من تسميتها حليلة باللام تحريف، كانت من الصالحات العابدات القانتات لها أخبار في تزويج الإمام الحسن العسكري بنرجس أم المهدي وفي ولادة الإمام المهدي عليه وعلى أبيه السلام»^(٣).

قول علي الحسيني الصدر: إن من أمارات المدح ومن موجبات الأطمئنان، بل مما يفيد علو المرتبة وكمال الوثاقة كون الراوي ممن تشرف برؤية الطالع الأزهر للإمام المنتظر .. فإنه لا تحصل هذه المكرمة إلا للأوحد من الصالحين»^(٤).

بينما قال عنها الشيخ عباس القمي: «إن كتب الزيارة لم تخصصها بزيارة خاصة مع ما لها من رفيع المنزلة، فينبغي أن تزار بالزيارة العامة لأولاد الأئمة عليهم السلام، أو تزار

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ج ٥١، ص ١٢.

(٢) الشيخ القرشي، باقر شريف، حياة الإمام المنتظر عليه السلام، ص ٢٥.

(٣) الأمين، محسن، أعيان الشيعة، ج ٦، ص ٢١٧.

(٤) الصدر، علي الحسيني، الفوائد الرجالية، ص ١٤٠ - ١٤١.

بما ورد لزيارة عمته الكريمة فاطمة بنت موسى بن جعفر^(١).

وفاتها عليها السلام.

١١٢

توفيت السيدة المباركة حكيمة عليها السلام في عام (٢٧٤ هـ)، ودفنت بجوار قبري الإمامين العسكريين عليهما السلام في مدينة سامراء بعدما أدت دوراً بارزاً في مرحلة الغيبة الصغرى، فكانت بحق سيدة المرحلة التي أشاد بها علمائنا الأفاضل.

م . د . إلهام محمد عيسى

(١) عباس القمي، مفاتيح الجنان، ص ٧٤٥.

الخاتمة

- السيدة حكيمة سيدة جليلة لها مكانتها السامية في أدوار حياة الأئمة الأطهار عليهم السلام، أعتمدوا عليها في الأمور المهمة ما يخص دوام الشريعة وكانت المؤازرة والناصرة لهم والكاتمة لأسرارهم بغية ديمومة الرسالة المتموضعة في شخص الإمام المهدي عليه السلام فكانت كما كانت السيدة زينب عليها السلام لأهل بيت النبوة الحاضنة والمصون لهم من كيد أعدائهم.

- توثقت علاقة السيدة حكيمة بالأئمة فكانوا يثقون بما ترويه بل اعتمدوا عليها في التصدير والإعلام لحادثة الولادة.

- رغم اختلاف الروايات عنها في مسألة تزويج الإمام الحسن العسكري عليه السلام وذلك بسبب تفاوت مستوى فهم الرواة ودقتهم في نقل الحدث إلا أنها موثوقة عن الأئمة وعند علماء شيعتهم، قامت بعملها على أحسن وجه بعد تكليفها من قبل أخيها الإمام الهادي بتعليم السيدة نرجس والدة الإمام المهدي أحكام الشريعة.

- أسند إليها دور القابلة فكانت الراوية الوحيدة لقصة ولادة الإمام المهدي، أمّا في عصر الغيبة الصغرى فعدت من سفراءه وأبوابه، روى عنها علماءنا كالشيخ الصدوق والمفيد والشيخ الطوسي وابن طاووس وغيرهم من الوساطة، فكانت تنقل الأسئلة والرسائل إليه وتحمل توابع الإمام إليهم، كما أنها روت بعض الأحاديث والروايات فكانت من الثقات عند الخاصة والعامّة الشيعة.

المصادر:

١. ابن شهر آشوب، مشير الدين أبو عبد الله محمد (ت ٥٨٨ هـ)، مناقب آل أبي طالب، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٩٥٦ م.
٢. ابن طاووس، علي بن موسى (٦٦٤ هـ)، مهج الدعوات، دار الذخائر، قم، ١١٤١ هـ.
٣. الأمين، السيد محسن، أعيان الشيعة، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٩٨٣ م.
٤. الباني، عصري، الحياة السياسية للإمام الحسن العسكري عليه السلام، دار الحبيب، قم، ١٤٣٢ م.
٥. البحراني، هاشم (١١٠٧ هـ)، مدينة المعاجز (معاجز أهل البيت عليهم السلام)، تحقيق: عزة الله المولائي الهمداني، مؤسسة المعارف الإسلامية، قم المقدسة، ١٤١٣ هـ.
٦. البهادلي، عبد العزيز كامل، أمهات المعصومين سيرة وتاريخ، سلسلة المعارف الإسلامية (٤٧)، إصدارات مركز الرسالة، قم، ١٤٢٥ م.
٧. التستري، الشيخ محمد تقي، قاموس الرجال، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤١٠ هـ.
٨. ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد الحراني (ت ٧٢٨ هـ)، منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٩٦٨.
٩. الثعلبي، أحمد بن إبراهيم (ت ٤٢٧ هـ)، الكشف والبيان عن تفسير القرآن (تفسير الثعلبي)، تحقيق: أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٢ م.

١٠. الجواهري، محمد، المفيد من معجم رجال الحديث، ط ٢، منشورات مكتبة المحلّاتي، قم، ١٤٢٤ هـ.

١١. الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (٤٠٥ هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠ م.

١٢. الحائري، محمد حسين الأعلمي، تراجم أعلام النساء، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٩٨٧ م.

١٣. الخصبي، الحسين بن حمدان (٣٣٤ هـ)، الهداية الكبرى، مؤسسة البلاغ ط ٤، بيروت، ١٩٩١ م.

١٤. الراوندي، قطب الدين (ت ٥٧٣)، الخرائج والجرائح، مؤسسة الإمام المهدي، قم، د.ت، باب ١٣، ج ١، ص ٤٦٦.

١٥. السيد الخوئي، أبو القاسم الموسوي، معجم رجال الحديث وتفصيل بقات الرواة، ط ٥، بلا، ١٤١٣ هـ.

١٦. الشاكري، حسين، العسكري حسن عليه السلام، نشر الهادي، قم المقدسة، ١٤٢٠ هـ.

١٧. الشيخ الصدوق، محمد بن علي بن بابويه (ت ٣٨١ هـ)، كمال الدين وتمام النعمة، تحقيق: أحمد الماحوزي، مركز أهل الذكر لنشر تراث أهل البيت عليهم السلام، طهران، ٢٠١٨ م.

١٨. الشيخ الصدوق، عيون أخبار الرضا عليه السلام، تحقيق: حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٩٨٤ م..

١٩. شيخ الطائفة الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن (ت ٤٦٠ هـ)، الغيبة، مؤسسة المعارف الإسلامية، قم، ١٤١١ هـ، ص ٢٢٤.

٢٠. الشيخ القرشي، باقر شريف، حياة الإمام المنتظر عليه السلام دراسة وتحليل، الناشر:

- مهدي باقر القرشي، مهر دلدار، مطبعت شريعت، قم، ٢٠٠٨ م .
٢١. الشيخ المفيد، محمد بن نعمان العكبري البغدادي (٤١٣هـ)، الإرشاد، تحقيق: حسين الأعلمي، ط ٥، مؤسسة النبراس، النجف الأشرف، ٢٠٠١ م .
٢٢. الشيخ الوائلي، أحمد، المرأة في الإسلام من محاضرات الشيخ الوائلي، إعداد: مصفى آل مرهون، شركة المصطفى لأحياء التراث، بيروت، ٢٠١٠ م .
٢٣. الصدر، حسن بن هادي، تكملة أمل الآمل، تحقيق: السيد أحمد الحسيني، قم، ١٤٠٦هـ .
٢٤. الصدر، علي الحسيني، الفوائد الرجالية (دراسة جامعة وقواعد نافعة في علم الرجال)، إنتشارات ذوي القربى، قم، د. ت .
٢٥. الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن، من أعلام القرن السادس الهجري، أعلام الوري بأعلام الهدى، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، قم المشرفة، ١٤١٧هـ .
٢٦. الطبرسي، أبي علي الفضل من أعلام القرن السادس الهجري، تفسير مجمع البيان، المجمع العالمي لأهل البيت عليه السلام، ج ٧، ١٠٥، ص ١٢٠ .
٢٧. الطبرسي، ميرزا حسين النوري (١٣٢٠هـ)، مسترك الوسائل ومستنبط المسائل، تحقيق: مؤسسة أهل البيت، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، بيروت، ١٩٧٨ م، ج ١٤ .
٢٨. الطبرسي، محمد بن جرير بن رستم الأملي (ت ٤١١هـ)، دلائل الإمامة، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، قم، ١٤١٣هـ .
٢٩. الطوسي، ابن حمزة من أعلام القرن السادس، الثاقب في المناقب، تحقيق: نبيل رضا، مؤسسة أنصاريان، قم، ١٤١١هـ .

٣٠. القمي، عباس، مفاتيح الجنان، دار المرتضى، بيروت، ٢٠١٠ م.

٣١. الرازي، فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر (ت ٦٠٦ هـ)، الشجرة المباركة في أنساب الطالبية، تحقيق: مهدي الرجائي، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي العامة، قم، ١٤١٩ هـ.

٣٢. القزويني، محمد كاظم، الإمام الجواد عليه السلام من المهد إلى اللحد، مؤسسة الرسالة، إيران، ١٤١٤ هـ.

٣٣. القمي، عباس (ت ١٣٥٩ هـ)، الأنوار البهية في تواريخ الحجج الألهية، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي، (قم المشرفة - ١٤١٧ هـ).

٣٤. القندوزي، سليمان بن الشيخ إبراهيم (ت ١٢٩٤ هـ)، ينابيع المودة لذوي القربى، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٩٧ م.

٣٥. مجلة النجف الأشرف، مؤسسة المرتضى للثقافة والإرشاد، السيدة حكيمة سيده المرحلة، العدد ١٠٣، لسنة ١٤٣٤ / ٢٠١٣.

٣٦. المجلسي، محمد باقر بن محمد بن مقصود (ت ١١١١ هـ)، بحار الأنوار، مؤسسة الوفاء، بيروت، د.ت.

٣٧. محسني، محمد آصف، مشرعة بحار الأنوار، مكتبة العزيزي، قم، ١٤٢٢ هـ.

٣٨. المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٦ هـ)، إثبات الوصية للإمام علي بن أبي طالب، مكتبة بصيرتي، ط ٥، قم، د.ت.

٣٩. المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: أسعد داغر، دار الهجرة، قم، ١٤٠٩ هـ.

٤٠. الهيثمي، أبو العباس أحمد بن محمد بن حجر (٩٧٤ هـ)، الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة، تحقيق: عبد الرحمن التركي وكامل الخراط،

العتبة العسكرية المقدسة في سامراء حاضرة الفكر والتراث (وقائع المؤتمر العلمي الدولي الثالث) / ج ٢

مؤسسة الرسالة، لبنان، ١٩٩٧ م.

٤١. ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبدالله (٦٢٦هـ)، معجم البلدان، دار

صادر، بيروت، ١٩٩٥ م.

١١٨

م . د . إلهام محمد عيسى



البحث الرابع
أثر المرأة الرسالية في الإسلام
السيدة حكيمة عليها السلام نموذجاً

م.م. ختام محمود سلطان
جامعة الكوفة / كلية التربية للبنات



الملخص:

يعنى هذا البحث بدراسة واحدة من المواضيع المهمة هو أثر المرأة في الإسلام السيدة حكيمة نموذجاً، تطرق البحث إلى النسب الشريف لهذه السيدة الكريمة وأسمها ونسبها وولادتها وحياتها وزواجها، وثبت من خلال البحث أنها امرأة ذات شهرة ومنزلة ومكانة عظيمة، كما سلط البحث الضوء على دورها وأثرها في أحداث عصرها ومنزلتها وقدرها الكبير عند الإمام الهادي عليه السلام، كما تبين من خلال البحث دورها في قضية الامام المهدي عليه السلام وتشرفها بلقائه .

الكلمات المفتاحية: المرأة الرسالية، السيدة حكيمة، الإمام العسكري عليه السلام،

الإمام المهدي عليه السلام .

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف الخلق أجمعين محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين... وبعد

١٢٢

اهتمت الشريعة الإسلامية بالإنسان جاعلة من التقوى ميزان للتفاضل بين الناس فقال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾^(١) فلم يميز بين الرجل والمرأة إلا بما يتعلق بالحقوق والواجبات ويتناسب مع قدرة كل واحد منها وقابليته النفسية والجسدية والتي تتيح له القيام بالدور الموكل إليه في الحياة وفق معايير أخلاقية وتربوية عالية، مثل تهذيب النفوس وبناء الشخصية الإنسانية ومراقبة السلوك، وصاغت لذلك الأحكام الشرعية ومهدت السبيل أمام الإنسانية للتكامل المنشود من هذا التنوع البشري، ولا يكاد أحد يغفل عن اهتمام الدين بالمرأة بشكل خاص من خلال الخطاب الديني، اهتماماً مقدساً لخصوصيتها وسمو مكانتها وعظيم قدرها، فظهر ذلك جلياً من خلال الحث على إكرامها والتأكيد على منزلتها في الأحاديث النبوية وأحاديث أهل البيت عليهم السلام، وأكد الإرث الإسلامي عنايته بشكل خاص بالقدوة من النساء فأظهرت الروايات التاريخية أثر المرأة ووظائفها القيادية في عدد من المفاصل التاريخية المهمة منذ مئات السنين وحتى اليوم والتي كان لها كلمة الفصل فيه، فللمرأة يومها كما للرجل يومه، يتقاسم كل منهما الأدوار بما تحتمه عليهم الضرورة، وما يلزمهم به الموقف ازاء دينهم وانتمائهم بشكل خاص، ومن تلك النساء اللواتي تدين لهن الإنسانية بالكثير من الامتنان السيدة الجليلة حكيمة بنت الإمام الجواد عليه السلام واخت الإمام الهادي عليه السلام والتي عاشت في حقبة تاريخية مهمة وخطرة جداً لما فيها من تحديات للدين والتاريخ معا، والتي برهنت على اهمية الاثر

الرسالي للمرأة في الإسلام، وعلوا مكانتها، وتتميز السيدة حكيمة عن سائر نساء عصرها من الخيرات المصطفيات بوصفها من أصحاب السر الخالص وذات المنزلة الرفيعة والمكانة العظيمة عند الله والأئمة المعصومين لكونها خالصة الإيمان، صافية العقيدة، محضة الولاء لهم، فحفظت أحاديثهم وروتها، وتمسكت وحاججت بها، في الوقت الذي استغل من يقرب لهم هذا النسب هذا الأمر فادعى ما ليس له، كما أنها برزت في زمن حالك من تاريخ الأمة الإسلامية فالمرجع الفكري والروحي المتمثل بالإمام العسكري عليه السلام قد استشهد مخلفاً حيرة وتعظيم عند الناس مما مكنها من سد ثغرة غياب الإمام عليه السلام.

أولاً: اسمها ونسبها وولادتها :

هي حكيمة بنت محمد الجواد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام ^(١) حفيدة الامام الرضا عليه السلام، ادركت أربعة أئمة ^(٢)، امها أم ولد اسمها سمانة المغربية وهي أم الإمام الهادي عليه السلام ^(٣)، وتختلف الروايات فيما إذا كانت السيدة حكيمة هي أكبر بنات الإمام الجواد عليه السلام أو لا، فورد في بعضها أنها أكبر بناته ^(٤)، وذكر في بعضها الآخر أنها أصغرهن ^(٥) وذكر غير ذلك، ولعل سبب ذلك الاختلاف ما نالته من الفضل والشأن بين اخواتها فبرز اسمها بينهن وإن لم تكن أكبرهن، واختلف الرواة في ترتيب وعدد بنات الإمام الجواد عليه السلام فقليل إن له من البنات خمس وقليل أربع ومنهم من قال اثنتان ^(٦)، وقد ورد في بعض الروايات اسم

(١) الأمين، محسن، أعيان الشيعة، ج ٦، ص ٢١٧.

(٢) القمي، عباس بن محمد، منتهى الآمال في تواريخ النبي والال، ج ٢، ص ٤٥٨.

(٣) القمي، منتهى الآمال، ج ٢، ص ٤١٨.

(٤) ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب، ج ٣، ص ٤٨٧.

(٥) القمي، منتهى الآمال، ج ٢، ص ٣٦٦.

(٦) القمي، منتهى الآمال، ج ٢، ص ٣٦٦؛ العمري، علي بن محمد بن محمد، المجدي في أنساب

حليمه وهو تصحيف لاسمها^(١).

وعلى الرغم من وثاقة السيدة حكيمة وشهرتها فقد ظهر من شكك بوجود ابنة للجواد عليه السلام بهذه التسمية والمنزلة وادعوا أنّ علي الجواد عليه السلام لم يعقب غير فاطمة وأمّامة، ولكن المصادر تؤكد على وجودها بشكل قطعي فقد ورد ذكرها في أكثر من مورد، فذكرها الفخر الرازي في الشجرة المباركة^(٢)، المسلك في أصول الدين المحقق الحلي ت ٧٢٦ هـ، وذكرها الشيخ الصدوق في كمال الدين، والمسعودي في إثبات الوصية، وابن شهر آشوب في مناقب آل أبي طالب، والطوسي في الغيبة^(٣)، ذكرها المجلسي في بحار الأنوار^(٤)، ذكرها الشيخ المفيد^(٥)، والطبرسي^(٦)، ومن الطبيعي أن يظهر بعض التشكيك في وجودها من عدمه عليه السلام وذلك لعدد من الأسباب منها:

١. انحراف المجتمع المسلم عن العقيدة الحقة واختلافاتهم الكثيرة وانشغالهم بتسقيط الاخر مهما كان الثمن الذي قد تدفعه الأمة مقابل ذلك.

٢. إنّ شخصية بخطر واثر السيدة حكيمة وما مثلته من دور بارز في الأحداث التاريخية وما روته من روايات انفردت بها كأخبار ولادة الإمام محمد بن الحسن وغيبته، من الوارد جداً ان تتعرض لمحاولات للطمس والتشكيك بوجودها، فالتشكيك بوجودها يعني التشكيك بولادة الحجة عليه السلام.

الطالبين، ص ١٢٨.

(١) مهدي، بحر العلوم، الفوائد الرجالية، ص ٣١٦.

(٢) الرازي، فخر الدين، الشجرة المباركة في أنساب الطالبية، ص ٧٨.

(٣) التستري، محمد تقي، قاموس الرجال ج ١٢، ص ٢٣٩.

(٤) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج ٩٩، ص ٧٩؛ ج ١٠٢، ص ٧٩.

(٥) أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان الحارثي المعروف بالشيخ المفيد (ت ٤١٣ هـ) ينظر: الإرشاد، ج ٢، ص ٣١٥ باب ذكر من رأى الإمام الثاني عشر عليه السلام.

(٦) النوري، حسين، النجم الثاقب في إثبات الحجة الغائب، ج ١، ص ١٥٧.

٣. يحتمل أن تكون فاطمة التي وردت في الرواية التي نقلها الشيخ المفيد هي نفسها حكيمة؛ وذلك لأنّ أئمة أهل البيت كانوا يدأبون على تسمية بناتهم باسم أمهم فاطمة ثم يلقبونها بلقب مثل الزكية والشريفة والكبرى والصغرى والمعصومة، كما أنّ أهل البيت كانوا يمنحون نسائهم وبناتهم أكثر من اسم واحد وذلك لأسباب فرضتها عليهم الظروف الاجتماعية والسياسية لذلك العصر فلا يستبعد أن تكون حكيمة مسماة باسم جدتها فاطمة وتكنى بالسيدة حكيمة، أو أنّها هي امامة نفسها.

٤. من الممكن ان يكون أهل البيت عليهم السلام قد أخفوا شخصية السيدة حكيمة على عظم منزلتها لمدة من الزمن لخطر دورها وأهميته وحاجته إلى الكتمان في ضل ذلك التشديد والبطش الذي مارسه العباسيون عليهم، فلم يكن الأئمة يكشفون عن أسرارهم إلا لبعض الخاصة..

٥. يرى بعضهم أنّ الأصل في النساء لا يذكرن في كتب الرجال والتاريخ، بل وحتى كتب الأنساب إلا عند ارتباطها بحادثة معينة أو نقلها لرواية أو حديث ما فيكون لذكرها مبرر.

٦. إنّ مدفنها من ضمن مدفن الإمام الهادي في سامراء دليل على وجودها فليس من الشائع أن يدفن أحد في مقبرة الإمام وداخل بيته من غير أفراد عائلته.

حياتها وزواجها عليها السلام

لم يصل إلينا تاريخ ولادة السيدة حكيمة بشكل دقيق ولكن من خلال الروايات يبدو أنّها ولدت في العقد الثاني من القرن الثالث الهجري، أي: قرابة عام ٢١٦ هـ، وهي بذلك تكون أصغر من الإمام علي الهادي عليه السلام بخمس سنين، ولم يعرف محل ولادتها هل كان في المدينة أم في قرية صريا^(١)، وعاصرت والدها الإمام الجواد عليه السلام

(١) قرية تبعد ثلاثة أميال عن المدينة المنورة بناها الإمام الكاظم عليه السلام ووهبها لاخته حكيمة بن الإمام الصادق عليه السلام، ولد فيها الإمام الهادي ٢١٢ هـ وعاش فيها مدة من الزمن؛ ينظر: ابن

قراية خمس سنوات فقد استشهد عام ٢٢٠ في بغداد، فقضت بقية سنيها برفقة أخيها وابنه وحفيده عليه السلام، وعلى الرغم من أن المدة التي قضتها مع والدها لم تكن طويلة إلا أنها ساهمت في صياغة شخصيتها القيادية المؤمنة، فورد وصفها، بأنها من الصالحات القانتات ذات الشأن والمكانة العالية عند أئمة عصرها^(١)، وبذلك تختصر حياة السيدة حكيمة بالزهد والصلاح وعلو المنزلة دون معرفة تفاصيل حياتها ووفاتها.

وكما أسلفنا فلا يوجد وفرة في مصادر حياة وتفصيل شباب هذه السيدة، ولا حتى وصفها وشبهها وهذا ليس غريباً على خصوصية أهل البيت عليهم السلام الذين بقيت أخبار سيدات بيوتهم نادرة الا ما يخص المجتمع كالرواية والعلم والاثار الفكرية والاجتماعية، كما أن الأوضاع السياسية التي امتدت بين عامي ٢٢٠هـ و ٢٢٥هـ كانت شديدة الأثر على أهل البيت عليهم السلام فنقلهم قسراً إلى سامراء وما رافق ذلك من التضيق عليهم وسجنهم في المهجر ساهمت في ندرة الروايات وانحسارها في الوضع العام للإمام عليه السلام هناك^(٢).

ومع كل تلك الندرة في الرواية لم يصل إلينا خبر زواجها من عدمه ولم يصل إلينا ان لها أولاد، ولعل ترجيح زواجها اقرب بغض النظر عن كونها ولدت أم لا، ويعود ذلك الترجيح إلى عدد من الأمور منها:

١- بحسب القواعد الفقهية فإن الزواج مستحب في الإسلام، فلا رهبانية فيه، وإن أغلب بنات الأئمة قد تزوجن وانجن وإن لم يشتهر أزواجهن ولم يعرف بعضهم في التاريخ.

٢- ان السيدة حكيمة ذات شهرة واسعة ومنزلة ومكانة كبيرة عند أهل

شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج ٣، ص ٤٩٠

(١) الأمين، محسن، أعيان الشيعة، ج ٦، ص ٢١٧.

(٢) ينظر: القرشي، باقر شريف، حياة الإمام الحسن العسكري، ص ١٨ وما بعدها.

البيت عليها السلام، فمن الطبيعي أن تغطي شهرتها وأخبارها على أخبار زوجها وزواجها، خاصة إذا افترضنا أنه قد مات في حياتها.

٣- ونستدل من بعض الروايات أن السيدة حكيمة كانت تعيش في بيت منفصل، ففي رواية أنّ السيدة نرجس ولدت في بيت السيدة حكيمة عليها السلام، ويروى أنّ الإمام الهادي ع لأخته حين امرها ان تعلم السيدة نرجس: "يا بنت رسول الله، اخرجيها إلى منزلك"^(١) وقول الإمام الحسن العسكري عليه السلام لعمته قبيل مولد ولده محمد عليه السلام: "اجعلي افطارك هذه الليلة عندنا"^(٢)، يدل على أنّها كانت تستقل بمنزلها الخاص، وبذلك نرجح أنّها عليها السلام قد تزوجت، فلو لم تكن السيدة حكيمة عليها السلام متزوجة لم يكن الإمام الهادي عليه السلام ليفرد لها بيتاً خاصة في تلك الظروف السياسية القلقة وفي عاصمة بني العباس .

١- عبادتها ومنهج حياتها

تعد العبادة الطريق السليم لتغذية الجانب الروحي لدى الإنسان، وهي الوسيلة التي تمكنه من ترجمة علاقته بالخالق كصورة من صور العبودية والإخلاص، والعبادة على درجات تختلف باختلاف حقيقة الإيمان وعمقه، فلا يمكن لعموم الناس الوصول إلى مصاف الأنبياء والأوصياء والمقربين في انقطاعهم، ومن خلال هذا الوصف وبمقارنة بسيطة مع النصوص التي وردت تصف عبادة السيدة حكيمة وزهدنا نستطيع أن نستدل على عمق عقيدته وشدة تأثرها بالبيت الذي ولدت وعاشت فيه والأئمة الذين عاصرتهم بشكل خاص بوصفها ابنة وأخت وعمة امام، والمتصفح للروايات التي ورد فيها ذكر السيد حكيمة يجد أنّها غالباً ما كانت تشير إلى عبادتها وعفتها، فنجد الإمام الهادي يوكّل إليها تربية وثقيف السيدة نرجس بالتعاليم الدينية، بقوله:

(١) الطبري الصغير، أبي جعفر محمد بن جرير بن رستم، دلائل الإمامة، ص ٤٩٦.

(٢) الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي (ت ٣٨١هـ)، كمال الدين وتمام النعمة، ج ١، ص ٤٥٢.

العتبة العسكرية المقدسة في سامراء حاضرة الفكر والتراث (وقائع المؤتمر العلمي الدولي الثالث) / ج ٢

(عَلَمِيهَا الْفَرَائِضُ وَالسُّنَنُ)^(١)، ويخاطبها الإمام الحسن العسكري عليه السلام في ليلة ولادة ولده محمد المهدي عليه السلام يخاطبها قائلاً: «يا عمّة، اجعلي هذه الليلة افطارك عندنا»، ومن المعروف أنّ ولادته كانت في منتصف شهر شعبان، ولكنه عليه السلام اعتاد منها الامام الصيام والقيام واستثمار الأوقات المنصوص عليها شأنها شأن بقية نساء أهل البيت عليهم السلام، وكان يصفها بالمباركة ويشهرها بمنزلتها السامية من الله تعالى بقوله: «يا مباركة، إنّ الله تبارك وتعالى أحبّ أن يشركك في الأجر ويجعل لك في الخير نصيباً»^(٢)، وعرف عنها أنّها كانت دائماً الدعاء للإمام الحسن العسكري عليه السلام بالذرية^(٣).

وكانت تلتقي بالخواص أيام غيبة الإمام عليه السلام لعظيم شأنها، وكانت إذا استقبلتهم وضعت بينها وبينهم حجاً فلا يرونها ولا تراهم^(٤) وقد أورد أصحاب التراجم أنّ السيدة حكيمة عليها السلام كانت من الصالحات العابدات القانتات ووصفها العلامة المجلسي بالنجابة والعلم إذ قال: «اعلم أنّ في القبة الشريفة قبراً منسوباً إلى النجبية الكريمة العالمة الفاضلة التقية الرضية، حكيمة بنت أبي جعفر الجواد عليه السلام، ولا أدري لم لم يتعرضوا لزيارتها مع ظهور فضلها وجلالتها؟!»^(٥)، ووصفها القرشي بقوله: «وهي من العلويات العابدات التي تضارع جدتها سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام في عفتها وطهارتها»^(٦)، وليس غريباً على سليلة الأئمة أن تكون بهذه المنزلة من العبادة والشأن، فالعبادة هي منهج أهل البيت عليهم السلام في حياتهم.

(١) الطبري الصغير، دلائل الإمامة، ص ٤٩٦ .

(٢) الصدوق، كمال الدين، ج ١، ص ٤٥٥ .

(٣) القندوزي، سليمان بن إبراهيم، ينابيع المودة لذوي القربى، ج ٣، ص ٣٠٤ .

(٤) الصدوق، كمال الدين، ج ٢، ص ٥٠٧ .

(٥) المجلسي، بحار الأنوار، ج ٩٩، ص ٧٩ .

(٦) القرشي، حياة الإمام المهدي، ج ١، ص ٢٠ .

أثرها في أحداث عصرها

احتلت السيدة حكيمة منزلة مهمة في عند الإمام الهادي عليه السلام، وربّما في أيام أبيها الجواد عليه السلام أيضاً، فلا يمكن أن تكون هذه المرأة ثقة الأئمة وسفيرتهم لو لم تكن مهياًة بشكل كامل منذ صغرها لهذا الدور، ولكن أثرها عليها السلام لم يظهر في الروايات التاريخية إلا في مدينة سامراء وقد يعود ذلك إلى التكتّم الذي اتخذته أهل البيت عليهم السلام سلاحاً ضد السلطات العباسية التي كانت تضيق عليهم بشكل كبير، فلم تصل لنا تفاصيل اخبارهم وحلهم وترحالهم واقتصرت الروايات على أبرز الأحداث التاريخية والفكرية لهم، كما ان انتقال الإمام الهادي عليه السلام واهله إلى سامراء وسكنه في محلة العسكر والتضييق عليه استأثر بالأخبار ووصف الرواة عن غيره من الأحداث الأخرى، وبالرغم من كل ذلك فإن الشذرات التي وصلت إلينا من تاريخ السيدة حكيمة بالغ الأهمية.

فيظهر لنا من خلال تتبع الأخبار التي وردت لنا أنّ شخصية السيدة حكيمة كانت ناضجة وإيجابية قادرة على توظيف مهاراتها والتغيير والمشاركة والتعاطف، وقد امتازت عن سائر الهاشميات بالفضائل والمناقب وظهر ذلك جلياً أيام اخيها الإمام الهادي عليه السلام، إذ ورد أنّها كانت ثقة معتمدة لديه في أسراره، وهي إلى جانب ذلك تتصف بصفات تؤهلها للقيادة والإبداع، كالإيثار والشعور بالمسؤولية والانتاجية، وقد ظهر ذلك جلياً في سيرتها المقتضبة، إذ قامت بعدة أدوار خدمت بها دينها وأثبتت رصانة عقيدتها ومنها:

أولاً: دورها في تزويج الإمام العسكري عليه السلام

اشتركت السيدة حكيمة في تزويج ابن أخيها الإمام الحسن العسكري عليه السلام، فيروى أنها استقبلت السيدة نرجس في بيتها حين وفدت عليهم وعلمتها^(١) أصول الشريعة تلبية لأمر الإمام الهادي عليه السلام الذي أوكل إليها أمرها، "يا بنت رسول الله خذيها إلى منزلك وعلميها الفرائض والسنن فإنها زوجة أبي محمد وأم القائم"^(٢)، ومع جهلنا بالمدة التي قضتها السيدة نرجس في بيتها لتتزوج من علمها ولتتعلم منها الفرائض والسنن إلا أنها كانت مثمرة وقيمة وطدت الأواصر بين الوافدة وبين السيدة حكيمة، فيفصح الاحترام والتقدير عن سمو العلاقة بين الاثنتين، فقد تعلقت السيدة نرجس بها واحبتها كأم، وبادلتها السيدة حكيمة ذلك الود واحتضنتها كابنة لها، إذ تقول للإمام العسكري عليه السلام «يا سيدي، ما في جواريك أحب إليّ منها ولا أخفّ على قلبي»^(٣)، وهذا التعامل بينهن يكشف مدى المعرفة والخلق العالي الذي استلهمنه من بيت الإمامة فتصف السيدة حكيمة ذلك بقولها: «كنت إذا دخلتُ الدار تتلقاني وتقبّل يدي وتنزع خفي بيدها، فلما دخلت إليها فعلت بي كما كانت تفعل، فانكببتُ على يدها وقبلتها ومنعتها مما كانت تفعله، فخاطبتني بالسيادة، فخاطبتها بمثله، فقالت لي: فديتك، فقلت لها: أنا فداك وجميع العالمين»^(٤)

ولعل الإمام الهادي عليه السلام وهبها لاخته في ذلك الوقت إذ يروى أن محمد بن عبد الله الطهويّ سأل السيدة حكيمة عن ولادة الإمام المهدي عليه السلام^(٥) فكان في خضم

(١) روي أنها قدمت من الروم، ولعل الأصح أنها نوبية، ينظر: سلمان، محمد، سيدة الإمامة قراءة جديدة هويتها وسيرتها، ص ٧٥.

(٢) الطبري الصغير، دلائل الإمامة، ص ٤٩٦.

(٣) الطبرسي، النجم الثاقب، ج ١، ص ١٤٥.

(٤) المسعودي، علي بن الحسين، اثبات الوصية، ج ١، ص ٢٥٨.

(٥) ورد اسمه باختلاف في النسخ مثل الزهري والظهري وغيرها من الأسماء، الصدوق، كمال

اجابتها أنّها قالت: «كانت لي جارية يقال لها: نرجس، فزارني ابن أخي عليه السلام وأقبل يحد النظر إليها، فقلت له: يا سيدي لعلك هويتها فأرسلها إليك؟ فقال: لا يا عمّة، لكنني أتعجب منها فقلت: وما أعجبك؟ فقال عليه السلام: سيخرج منها ولد كريم على الله عزّ وجلّ الذي يملا الله به الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً فقلت: فأرسلها إليك يا سيدي؟ فقال: استأذني في ذلك أبي، قالت: فلبست ثيابي وأتيت منزل أبي الحسن فسلمت وجلست فبدأني عليه السلام وقال: يا حكيمة، ابعني بنرجس إلى ابني أبي محمد قالت: فقلت: يا سيدي على هذا قصدتك أن أستأذنك في ذلك، فقال: يا مباركة، إن الله تبارك وتعالى أحبّ أن يشركك في الأجر ويجعل لك في الخير نصيباً، قالت حكيمة: فلم ألبث أن رجعت إلى منزلي وزينتها ووهبتها لأبي محمد وجمعت بينه وبينها في منزلي فأقام عندي أياماً ثم مضى إلى والده ووجهت بها معه وجلست»^(١).

يمكن أن نلاحظ الاختلاف في ملكية الجارية بين الروايتين الأنفتين الذكر، ولعل أهم أسباب ذلك هو ضعف إحداها^(٢) فبالرغم من شهرة الرواية السابقة إلا أنّ الرأي الغالب أنّها نوبية ولدت في بيت السيدة حكيمة^(٣)، كما أنّ السائل اختص بسؤاله عن الإمام نفسه عليه السلام لا عن أمّه فلم تسهب السيدة حكيمة في الحديث عنها، قد يكون لحراجه الوضع السياسي آنذاك سبباً في عدم تحدّثها عنها، فهي كما يعبر السيد الصدر^(٤) «قد عاشت تخطيطاً خاصاً في تبديل اسمها بين آونة وأخرى»، فكيف لا تعيش متخفية بأخبارها وأصلها، أضف إلى ذلك تعرضها للسجن والاضطهاد

الدين، ج ١، ص ٤٥٤.

(١) الصدوق، كمال الدين، ج ١، ص ٤٥٤؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج ٥١، ص ١٢.

(٢) ينظر: سلمان، سيدة الاماء، ص ٥٦ وما بعدها.

(٣) سلمان، سيدة الاماء، ص ٨٨.

(٤) الصدر، محمد صادق، تاريخ الغيبة الصغرى، ص ٢٤٢.

أبان وفاة الإمام العسكري عليه السلام الأمر الذي دفعها لتغيير مكانها مراراً^(١)، على أيّ حال فإنّ وجودها إلى جانب السيدة حكيمة سواء في مدة معينة أو منذ الولادة فإنّ ذلك له كلّ التأثير في الحفاظ عليها والتكتم عن حالها للدرجة التي تجعل المؤرخين حائرين في أصل وجودها ومدة بقائها في بيت حكيمة، ولا نغالي إن قلنا: إنّ للسيدة حكيمة جليل الأثر في تهيتها عقائدياً ونفسياً من أجل حمل الأمانة الكبرى وما يليها من مراحل الدفاع عنه عليه السلام.

ثانياً: دورها في ولادة الامام محمد بن الحسن عليه السلام

إنّ من اليسير لمن يتصفح روايات ولادة الإمام محمد بن الحسن عليه السلام، أن يدرك أنّ جميع الروايات الخاصة بولادته عليه السلام قد نقلت عن السيدة حكيمة إلاّ واحدة، لذا فقد رصدت ولادة السيدة نرجس ومعظم تفاصيل تلك الليلة بدقة كبيرة حاملة على عاتقها مهمة الاخبار بذلك الحدث العظيم، والذي يترتب على إشاعته خطورة شديدة إذا ما نظرنا إلى الزمن الذي عاشت فيه وترصد الدولة لأيّ خبر عن صاحب ذلك الأمر، وتوظيف القريب والبعيد للتقصي والمتابعة، وهو أمر لم يكن ميسراً إذ اختص به عدد قليل من المقربين والموالين، أوضح الإمام العسكري عليه السلام حين كتب لأحمد بن إسحاق^(٢) قائلاً: «ولد المولود فليكن عندك مستورا وعن جميع الناس مكتوما، فانا لم نظهر عليه إلاّ الأقرب لقربته والمولى لولايته»^(٣)، وورد أيضاً أنّه عليه السلام طلب من بعض

(١) النجاشي، أحمد بن علي، رجال النجاشي، ص ٢٦٨.

(٢) أحمد بن إسحاق بن عبد الله بن سعد بن مالك بن الأحوص الأشعري (أبو علي القمي)، من رواة الشيعة في القرن الثالث الهجري، كان من أصحاب الإمام العسكري عليه السلام وعاصر أئمة سامراء وأخبره الإمام العسكري عن وفاته، ينظر: الحلي، رجال العلامة الحلي، ص ١٥. البحراني، السيد هاشم، تبصرة الولي، ص ١٠٨.

(٣) الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة، ص ٤٣٤.

جواريه التي كانت تعلم، أن تستر خبر هذا المولود^(١)، ولم يكن أحد من أهل البيت عليهم السلام قد فاته ذلك، وهذا واضح من تعاملهم مع حملة الاخبار للدرجة التي جعلت من عمّ الإمام جعفر يحاول مراراً وتكراراً التضييق على الأقرباء والجواري للفوز بخبر يقين عن الولادة ومكان الوليد.

وفي الوقت الذي تشرفت به السيدة حكيمة بحضور الولادة ونقلها الرواية الخاصة بتلك الليلة بوصفها شاهداً على وجود الخلف للإمام العسكري عليه السلام، يلاحظ الدقة في نقل التفاصيل لتلك الليلة المباركة وما تخللها من حديث وسكون، ولم يفتها أن تذكر أجواء البيت من الاستغراق في التهجد وأداء المستحبات، والانتظار الصامت الا من التسبيح والتهليل، كإشارة إلى التكتّم المقصود للحدث، ولم تنس عليها السلام أن تنقل تفاصيل حال السيدة نرجس من قول وفعل فتروي قائلة: «دخلت عليه - أي الإمام العسكري عليه السلام - يوماً فدعوت له كما كنت ادعو، فقال لي: يا عمّة، الذي تدعين إلى الله أن يرزقنيه يولد في هذه الليلة - وكانت ليلة النصف من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين، يا عمّة، اجعلي الليلة إفطارك عندي فإنّ الله عزّ وجلّ سيرك بوليّه وحجته على خلقه خليفتي من بعدي. المولود الذي كنّا نتوقّعه فاجعلي افطارك عندنا - وكانت ليلة الجمعة - فقلت له: ممّن يكون هذا المولود العظيم يا سيدي؟ فقال: من نرجس يا عمّة، قالت: يا سيدي ما في جواريك أحبّ إليّ منها ولا أخفّ على قلبي، وكنت إذا دخلتُ الدار تتلقاني وتقبّل يدي وتنزع خفي بيدها، فلمّا دخلت إليها فعلت بي كما كانت تفعل، فانكببتُ على يدها وقبلتها ومنعتها ممّا كانت تفعله، فخاطبتني بالسيادة، فخاطبتها بمثله، فخاطبتها بمثله، فقالت لي: فديتك، فقلت لها: أنا فداك وجميع العالمين، فأنكرت ذلك، فقلت لها: لا تنكري فإنّ الله سيهب لك في هذه الليلة غلاماً سيدياً في الدنيا والآخرة وهو فرج المؤمنين، قالت: فاستحيت فتأملتها وقلت لسيدي أبي محمّد عليه السلام: أني لست أرى بها أثر حمل؟ فتبسّم صلى الله عليه وقال

(١) الكليني، الكافي، ج ١، ص ٣٢١.

لي: إنّنا معاشر الأوصياء لا نُحمل في البطون، ولكنّا نحمل في الجنوب، ولا نخرج من الأرحام، وإنّا نخرج من الفخذ الأيمن من أمّهاتنا؛ لأننا نور الله الذي لا تناله الدناسات، فقلت له: يا سيدي لقد أخبرتني أنّه يولد في هذه الليلة ففي أيّ وقت منها؟ فقال لي: في طلوع الفجر يولد المولود الكريم على الله إن شاء الله تعالى»^(١).

كما أشارت في حديثها إلى معان مهمة مثلت عقيدتها في علم الإمام بكلّ شاردة وواردة، ومنها: حديث النفس حين قالت: «وخرجت اتفقّد الفجر، فإذا أنا بالفجر الأول كذب السرحان وهي نائمة فدخلني الشكوك، فصاح بي أبو محمد عليه السلام من المجلس فقال لا تعجلي يا عمّة فهالك الأمر قد قرب»^(٢).

لقد ركزت السيدة حكيمة في معرض حديثها عن تلك الليلة إلى الاعجاز في أمر الولادة وما تلاها والأنوار الساطعة التي رأتها وحديث الجنين قبل خروجه إذ تقول: «فصاح أبو محمد عليه السلام وقال: اقترني عليها إنّنا أنزلناه في ليلة القدر، فأقبلت أقرأ عليها وقلت لها: ما حالك؟ قالت: ظهر الأمر الذي أخبرك به مولاي، فأقبلت أقرأ عليها كما أمرني فأجابني الجنين من بطنها يقرأ كما أقرأ وسلّم عليّ قالت حكيمة: ففزعت لما سمعت، فصاح بي أبو محمد عليه السلام: لا تعجبي من أمر الله عزّ وجلّ، إنّ الله تبارك وتعالى ينطقنا بالحكمة صغاراً ويجعلنا حجة في أرضه كباراً»^(٣)، والمتبع لروايتها عليه السلام يلاحظ توالي الإعجاز وتكراره والتشابه الكبير بين ولادته وبين ولادة آبائه الأئمة الأطهار عليهم السلام، فتقول واصفة المولود «فكشفت عن سيدي صلى الله عليه فإذا أنا به ساجداً منقلباً إلى الأرض بمساجده، وعلى ذراعه الأيمن مكتوب جاء الحق وزهق الباطل إنّ الباطل كان زهوقاً» ثم تقول: «فجئت به إلى ابن اخي الحسن بن علي عليه السلام، فمسح يده الشريفة على وجهه الأنور الذي هو نور الأنوار وقال: تكلم يا حجة الله

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ج ٥١، ص ٢٦.

(٢) المجلسي، بحار الأنوار، ج ٥١، ص ٢٦.

(٣) الشيخ الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة، ١ / ٤٥٦.

وبقية الأنبياء ونور الأصفياء وغوث الفقراء وخاتم الأوصياء ونور الاتقياء وصاحب الكرة البيضاء فقال: اشهد أن لا اله الا الله واشهد ان محمداً عبده ورسوله واشهد أن علياً ولي الله. ثم عدّ الأوصياء»^(١).

ومهما يكن من أمر تلك الليلة المباركة ذات الأهمية القصوى التي نقلتها السيدة حكيمة بدقة شديدة لم تسلم من اشكالية أيضاً فافترض المشككون أنها لم تر الإمام عليه السلام فعلاً لحظة نزوله لقولها: «فلم يستتم الكلام حتى غيبت عني نرجس فلم أرها كأنه ضرب بيني وبينها حجاب! إلى أن تقول فلم أثبت أن كشف الحجاب بيني وبينها وإذا أنا بها وعليها من أثر النور ما غشي بصري، وإذا أنا بالصبي عليه السلام ساجداً على وجهه جاثياً على ركبتيه رافعاً سبّابتيه...»^(٢) وادّعوا أنّ كونها لم تره فعلاً، يدل على عدم الوثاقة بما شهدت به، ولكن ذلك الإشكال يفنده رواية القابلة التي حضرت إلى جانب السيدتين والتي نقلها الرواة عن أحمد بن بلال بن داود الكاتب، وكان معلنا العداة ومناصباً لأهل البيت عليهم السلام، فيروى أنه قال: «كانت دورنا بسراً من رأى مقابل دار ابن الرضا - يعني أبا محمد الحسن بن علي عليه السلام -، فغبت عنها دهرًا طويلاً إلى قزوين وغيرها، ثم قضيت لي الرجوع إليها، فلما وافيتها وقد كنت فقدت جميع من خلفته من أهلي وقرباتي إلا عجوزاً كانت ربّتي، ولها بنت معها، وكانت من طبع الأوّل مستورة صائنة لا تحسن الكذب، وكذلك مواليات لنا بقين في الدار، فأقمت عندهنّ أياماً، ثم عزمت الخروج، فقالت العجوزة: كيف تستعجل الانصراف وقد غبت زماناً؟ فأقم عندنا لنفرح بمكانك، فقلت لها على جهة الهزء: أريد أن أصير إلى كربلاء، وكان الناس للخروج في النصف من شعبان أو ليوم عرفة، فقالت: يا بني، أعيدك بالله أن تستهين ما ذكرت أو تقوله على وجه الهزء، فإنّي أحدثك بما رأيته - يعني بعد خروجك من عندنا بسنتين - كنت في هذا البيت نائمة بالقرب من الدهليز،

(١) البرسي، رجب، مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين عليه السلام، ص ١٥٧.

(٢) الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة، ج ١، ص ٤٥١.

ومعي ابنتي، وأنا بين النائمة واليقظانة إذ دخل رجل حسن الوجه نظيف الثياب طيب الرائحة، فقال: يا فلانة، يجيئك الساعة من يدعوك في الجيران، فلا تمتعي من الذهاب معه ولا تخافي، ففزعت، فناديت ابنتي، وقلت لها: هل شعرت بأحد دخل البيت؟ فقالت: لا، فذكرت الله وقرأت ونمت، فجاء الرجل بعينه وقال لي مثل قوله، ففزعت، وصحت بابنتي، فقالت: لم يدخل البيت أحد، فاذكري الله ولا تفرعي، فقرأت، ونمت. فلما كان في الليلة الثالثة جاء الرجل وقال: يا فلانة، قد جاءك من يدعوك ويقرع الباب فاذهبي معه، وسمعت دق الباب فقمتم وراء الباب وقلت: من هذا؟ فقال: افتحي ولا تخافي، فعرفت كلامه، وفتحت الباب فإذا خادم معه إزار، فقال: يحتاج إليك بعض الجيران لحاجة مهمّة، فادخلي، ولفّ رأسي بالملاءة وأدخلني الدار وأنا أعرفها، فإذا بشقاق مشدودة وسط الدار ورجل قاعد بجانب الشقاق، فرجع الخادم طرفه، فدخلت وإذا امرأة قد أخذها الطلق وامرأة قاعده خلفها كأنها تُقبّلها. فقالت المرأة: تعيننا فيما نحن فيه، فعالجتها بما يُعالج به مثلها، فما كان إلا قليلاً حتى سقط غلام، فأخذته على كفي وصحت: غلام غلام، وأخرجت رأسي من طرف الشقاق أبشر الرجل القاعد، فقيل لي: لا تصيحي، فلما رددت وجهي إلى الغلام قد كنت فقدته من كفي، فقالت لي المرأة القاعده: لا تصيحي، وأخذ الخادم بيدي ولفّ رأسي بالملاءة وأخرجني من الدار، وردّني إلى داري، وناولني صرّة، وقال لي: لا تُخبري بما رأيتِ أحداً. فدخلت الدار ورجعت إلى فراشي في هذا البيت وابنتي نائمة، فأنبهتها وسألتها: هل علمت بخروجي ورجوعي؟ فقالت: لا، وفتحت الصرّة في ذلك الوقت، وإذا فيها عشرة دنانير عدداً، وما أخبرت بهذا أحداً إلا في هذا الوقت لسا تكلمت بهذا الكلام على حدّ الهزء، فحدّثتك إشفاقاً عليك، فإنّ لهؤلاء القوم عند الله (عزّ وجلّ) شأناً ومنزلةً، وكلّ ما يدعونه حقّ، قال: فعجبت من قولها، وصرفته إلى السخرية والهزء، ولم أسألهما عن الوقت، غير أنّي أعلم يقيناً أنّي غبت عنهم في سنة نيف وخمسين ومائتين ورجعت إلى سرّ من رأى في وقت أخبرتني العجوزة بهذا الخبر

في سنة إحدى وثمانين ومائتين في وزارة عبيد الله بن سليمان لماً قصده. قال حنظلة: فدعوت بأبي الفرج المظفر بن أحمد حتى سمع معي منه هذا الخبر»^(١) وهذه الرواية تدل بشكل لا شك فيه رؤية القابلة للمولود ساعة ولادته، أمّا كونها لم ترى ذلك الجانب الإعجازي الذي وصفته السيدة حكيمة فقد يعود إلى أنّ المعاجز والغيبات لا يمكن ان تنهياً لكل الناس فلا يتاح للجميع ان يراها بعينه دون أن يكون لذلك خصوصية وكرامه، فما صح ان تراه ابنة الإمام وأخته وعمته من الأنوار والأسرار لا يشترط أن تراه سيدة من عامة الناس ممن لا طاقة لهم على تحمل ما يتحمله الأصفياء وذرائعهم.

سفارتها وتشرفها بلقاء الامام محمد بن الحسن

أوردنا سابقاً أن السيدة حكيمة أول من تشرف بزيارة الإمام محمد بن الحسن المهدي عليه السلام^(٢) وهي من نقل عنه أحواله وحديثه منذ ولادته، وهي التي نقلت اواء الولادة والروايات التي تعلقت بتلك الليلة في بيت الإمام العسكري عليه السلام، وقد تكرر لقائها به عدة مرات في أيام ولادته، فورد أنها قالت: «فلما كان في اليوم الثالث اشتد شوقي إلى ولي الله فأتيتهم عائدة فبدأت بالحجرة التي فيها الجارية فإذا بها جالسة في مجلس المرأة النفساء وعليها اثواب صفر وهي معصبة الرأس، فسلمت عليها والتفت إلى جانب البيت وإذا بمهد عليه أثواب خضر، فعدلت إلى المهد ورفعت عنه الأثواب فإذا أنا بولي الله نائم على قفاه غير محروم ولا مقموط، ففتح عينيه وجعل يضحك ويناجيني بإصبعه، فتناولته وادنيه إلى فمي لأقبله فشمت منه رائحة ما شممت قط أطيب منها، وناداني أبو محمد عليه السلام: يا عمتي، هلمي فتاي الي فتناولته، وقال: يا بني، انطق... إلى أن قال: رديه إلى أمه يا عمه، واكتمي خبر هذا المولود علينا، ولا تخبري

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ج ٥١، ص ٢١.

(٢) الطهراني، آغا بزرك، الذريعة، ج ٣، ص ٣٢٦.

به احداً حتى يبلغ الكتاب أجله، فأتيت به أمه وودعتهم»^(١)

وذكرت السيدة حكيمة أنّ تلك الزيارات تكررت بأمر الإمام عليه السلام وبغير أمره فكانت في كلّ زيارة تنقل حال الإمام محمد بن الحسن عليه السلام، فقد ذكرت أنّها زارته في اليوم السابع تلبية لأمر ابن أخيها عليه السلام الذي أسرها قائلاً: «يا عمّة، إذا كان اليوم السابع فأتينا»^(٢)، ويبدو أنّ الإمام العسكري عليه السلام في هذه المرحلة قد جعل السيدة حكيمة شاهدة على فعل وقول المعصوم لنقل الأخبار إلى خارج بيت الإمامة وقد حرص كلّ الحرص على إشراكها في تفاصيل تلك الولادة رغم خطورة الأوضاع وما بعدها فتروي السيدة قائلة: «لما كان في اليوم السابع جئت فسلمت وجلست، فقال: هلمّي اليّ ابني، فجنّت بسيدي عليه السلام وهو في الخرقه ففعل به كفعلته الأولى، ثم أدلى لسانه في فيه كأنه يغذيه لبناً أو عسلاً، ثم قال: تكلم يا بني، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وثنى بالصلاة على محمد وعلى أمير المؤمنين وعلى الأئمة الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين حتى وقف على أبيه عليه السلام ثم تلا هذه الآية: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ، وَنُكَفِّرَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنَرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾. قالت حكيمة: فلما أن كان بعد أربعين يوماً ردّ الغلام ووجه اليّ ابن اخي عليه السلام فدعاني فدخلت عليه فإذا أنا بصبي متحرك يمشي بين يديه فقلت: سيدي هذا ابن سنتين! فتبسّم عليه السلام ثم قال: إنّ أولاد الأنبياء والأوصياء إذا كانوا أئمة ينشؤون بخلاف ما ينشأ غيرهم، وإنّ الصبي منّا إذا أتى عليه شهر كان كمن يأتي عليه سنة، وإنّ الصبي منّا ليتكلّم في بطن أمه ويقرأ القرآن ويعبد ربّه عزّ وجلّ، وعند الرضاع تطيعه الملائكة وتنزل عليه كلّ صباح ومساء»^(٣).

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ج ٥١، ص ١٩

(٢) الشيخ الطوسي، الغيبة، ج ١، ص ٢٣٧.

(٣) المجلسي، بحار الأنوار، ج ٥١، ص ١٤.

وتصرح السيدة حكيمة عن استمرار لقاءها بالإمام بشكل واضح بقولها: «فلم أزل أرى ذلك الصبي كل أربعين يوماً إلى أن رأيته رجلاً قبل مضي أبي محمد عليه السلام بأيام قلائل فلم أعرفه، فقلت لأبي محمد عليه السلام: من هذا الذي تأمرني أن أجلس بين يديه؟ فقال: ابن نرجس وهو خليفتي من بعدي وعن قليل تفقدوني فاسمعي له وأطيعي، قالت حكيمة: فمضى أبو محمد عليه السلام بعد أيام قلائل وافترق الناس كما ترى ووالله اني لأراه صباحاً ومساءً وإنه لينبئني عما تسألوني عنه فأخبركم، ووالله إنّي لأريد أن أسأله عن الشيء فيبدؤني به، وإنه ليرد على الأمر فيخرج إليّ منه جوابه من ساعته من غير مسألتي، وقد أخبرني البارحة بمجيئك إليّ وأمرني أن أخبرك بالحق .

قال محمد بن عبد الله: فوالله لقد أخبرتني حكيمة بأشياء لم يطلع عليها أحد إلا الله عزّ وجلّ، فعلمت أنّ ذلك صدق وعدل من الله عزّ وجلّ وان الله عزّ وجلّ قد أطلعه على ما لم يطلع عليه أحداً من خلقه»^(١).

وروى محمد بن عبد الله المطهري، قال: «قصدت حكيمة بنت محمد عليه السلام بعد مضي أبي محمد عليه السلام أسألها عن الحجة وما قد اختلف فيه الناس من الحيرة التي فيها فقالت لي: اجلس فجلست ثم قالت لي: يا محمد، إنّ الله تبارك وتعالى لا يخلي الأرض من حجة ناطقة أو صامتة ولم يجعلها في أخوين بعد الحسن والحسين تفضيلاً للحسن والحسين عليه السلام وتمييزاً لهما أن يكون في الأرض عديلهما إلا أنّ الله تبارك وتعالى خصّ ولد الحسين بالفضل على ولد الحسن كما خصّ ولد هارون على ولد موسى وإن كان موسى حجة على هارون والفضل لولده - أي: ولد الحسين عليه السلام - إلى يوم القيامة، ولا بدّ للأمة من حيرة يرتاب فيها المبطلون ويخلص فيها المحقّون، لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل، وإنّ الحيرة لا بدّ واقعة بعد مضي أبي محمد الحسن عليه السلام»^(٢).

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ج ٢٦، ص ١٠٢

(٢) النوري، الميرزا حسين، النجم الثاقب، ج ١، ص ١٤٢.

ومع تعدد لقاءها بالإمام المهدي عليه السلام إلا أنه لم يُنقل عنها أنها التقت بسفرائه الذين عاصرتهم مثل عثمان العمري أو ابنه محمد، ولعلها التقت بهم أو كاتبهم سرّاً دون أن يردنا عنه شيء، بل إنَّ أيَّ خبر لم ينقل عن كونها أشارت إلى أحدهم أو ذكرته بالسفارة، وهناك من يرى أنَّ السيدة حكيمة لم تعترف بسفارة السفراء الأربعة الذين كانوا ينيبون عن الإمام المهدي عليه السلام أيام غيبته الصغرى أو علي الأقل بعثمان بن سعيد العمري واعتقدوا أنها عليها السلام نسبت السفارة للسيدة سليل أم الإمام الحسن العسكري عليه السلام، فيروى أنَّ أحدهم قال: دخلت على حكيمة بنت محمد بن علي الرضا أخت أبي الحسن العسكري عليه السلام في سنة اثنين وثمانين بالمدينة فكلمتها من وراء الحجاب وسألتها عن دينها فسمت لي من تأتم به، ثم قالت: فلان بن الحسن عليه السلام فسمته، فقلت لها: جعلني الله فداك معاينة أو خبراً؟ فقالت: خبراً عن أبي محمد عليه السلام كتب به إلى أمه، فقلت لها: فأين المولد؟ فقالت: مستور، فقلت: فإلى من تفرع الشيعة؟ فقالت: إلى الجدة أم أبي محمد عليه السلام فقلت لها: أقتدي بمن وصيته إلى المرأة؟ فقالت: اقتداء بالحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام إن الحسين بن علي عليه السلام أوصى إلى أخته زينب بنت علي بن أبي طالب عليه السلام في الظاهر، وكان ما يخرج عن علي بن الحسين من علم ينسب إلى زينب بنت علي تستراً على علي بن الحسين^(١).

وتأتي خطورة هذا الشك من كونه يعد طعناً في سفارة السفراء الأربعة^(٢) الذين التقوا بالإمام المهدي عليه السلام وهو يصدر من سفيرة الامام وعمته عليها السلام، ولكن المتبع للأحداث التاريخية والوضع السياسي آنذاك يستطيع أن يتلمس عدداً من الأسباب التي تفسر قولها ذلك ومنها

١- يبدو من خلال الاطلاع على الحقبة الزمنية التي عاصرها الإمامين الهادي

(١) الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة، ص ٥٠١.

(٢) عثمان بن سعيد العمري، محمد بن عثمان بن سعيد، الحسين بن روح النوبختي، وعلي بن محمد السمري.

والعسكري عليه السلام أنّ السلطة العباسية كانت تنوي عزل الأئمة عن المجتمع وقطع علاقتهم به بشكل كبير ولم تكن خطوة نقل الإمام الهادي إلى سامراء ووضعه تحت الإقامة الجبرية ومتابعة أصحابه وتحركاتهم ومداهمتهم بشكل متكرر إلا إفصاحاً عن تلك النية، ولم يكن عثمان بن سعيد بعيداً عن تلك الإجراءات القسرية التي كان أحد أهدافها حصر نشاط الأئمة عليهم السلام ومتابعة أخبارهم فعثمان كغيره ممن كان محاصراً ومحاطاً بالأعين خاصة أيام استشهاد الإمام العسكري عليه السلام وإصرار السلطة على معرفة الخليفة الجديد والإطاحة به، فلم يكن من الممكن في ضل ما وصفناه أن تلجأ الشيعة إليه في ذلك الوقت، فلو أنّ السيدة حكيمة أشارت إليه لعرضته لخطر الاغتيال أو الحبس.

٢- ولو فرضنا أنّ السيدة حكيمة لم تشر إلى عثمان بعينه وتحدثت بعمومية تامة ولمحت لوجود سفير غيرها دون ذكر اسمه أو وصفه أو مكانه لعرضت جميع أصحاب الإمام العسكري عليه السلام للخطر، فمن الأسلم لها إذا أن لا تنطق بذلك في تلك الفترة على الأقل.

٣- يضاف إلى ذلك أنه لم تكن هناك حاجة أن تذكر اسم عثمان بن سعيد صراحة؛ لأنّه منصوصاً عليه من الإمام العسكري عليه السلام ومعروف عنه أنّه كان محل ثقة الإمام الهادي عليه السلام إذ يقول عليه السلام فيه «هذا أبو عمر الثقة الأمين، ما قاله لكم فعني يقوله، وما أذاه فعني يؤدّيه»^(١) فلا داع إذا أن يعاد ما قاله الإمام عليه السلام وهو بهذا الوضوح.

٤- ويبدو أنّ السيدة حكيمة كانت مقدرة للوضع في ذلك الوقت بشكل دقيق فلو وشي بالسيدة حكيمة لدى السلطات فإنّ دفع التهمة عن نفسها أمرٌ يسير لكون المرأة التي تدّعي هذه المهمة الخطيرة لا تصدّق، إذ أنّ النظام لا يتفاعل مع هذه الأخبار.

(١) الطوسي، الغيبة، ص ٣٥٤.

٥- ولم تبالغ السيدة حكيمة حين أشارات إلى السيدة أم أبي محمد العسكري عليه السلام فهي خير من يهرع له بعد الله لصلابة إيمانها وقدرتها على التصدي لزخم التفاعلات الفكرية والسياسية آنذاك، كما أنّها كانت فعلاً على صلة بحفيدها الإمام المهدي عجل الله تعالى، يضاف إلى ذلك كبر سنها الذي قد يكبح تتبع السلطة الخثيث لها.

٦- ويمكن التخمين أنّ السيدة حكيمة حين قالت ذلك لم تكن تحدّث عامياً لا إدراك له بأسرار ذلك البيت المبارك وإنّما تحدّث ثقة عاصر ثلاث من الأئمة عليهم السلام مدركاً لأحداث عصره السياسية والاجتماعية، فلعله بسؤاله لا يريد أن يستفهم عن السفير الذي يعرفه مسبقاً من خلال حديث الإمام العسكري عليه السلام بقدر ما كان يستوضح أمراً ثانياً أوجده ظروف السفير الأول من التضييق والمسائلة ومحاوله لقائه من الناس بشكل عام، فلعلها أدركت سلام الله عليها ذلك من سؤاله فأحالته إلى جدّة الإمام عليه السلام لكونها قريبة من المجتمع وقادرة على اللقاء بهم إن استوجب الأمر، كما أنّها قادرة على التواصل مع عثمان العمري في الوقت ذاته، بمعنى أنّ ما يقوله يمكن أن توصله هي بدون أن يشكّل ذلك خطراً على حياته ورسالته والعمل على صرف انتباه السلطات عنه، وإيجاد مناخ يسهم في إبعاد اهتمام وسعي السلطة عن طلبه.

وهذا يعزز دور المرأة في تلك المرحلة، ويبدو واضحاً في كلامها حيث أشارات إلى دور السيدة زينب عليها السلام البالغ الأهمية برغم وجود المعصوم إلى جانبها، فلا يتنافى وجود السفراء والأصحاب من لجوء عامة الشيعة إلى جدّة الإمام عليه السلام، كما لا ينفي لجوئهم إليها وجود السفراء.

ولعل السؤال كان في زمن حيرة الناس ابان وفاة الإمام العسكري عليه السلام والتي يرتاب فيها المبطلون، ويخلص فيها المحقون، كيلا يكون للخلق على الله حجة، وإنّ

الحيرة لا بد واقعة بعد مضي أبي محمد الحسن عليه السلام^(١)، إنَّ مجمل التحليل المتقدم مبني على أساس أن السيدة حكيمة كانت مؤمنة ومسلمة بقول الحسن العسكري عليه السلام في الإشارة لعثمان بن سعيد سفيراً للإمام في غيبته فيصح القول عندها أنها أشارات لسائل أن يترك الإعلان عن ما هو معلن عنه سابقاً للخطر المحقق بدوره الكبير، ولا بد للناس عند الانتقال من عهد إلى عهد بالسؤال والاستفهام من الثقات وأهل العلم فكيف إذا كانت هذه المرة مختلفة عن سابقاتها في غيبة المعصوم ووجود من ينكر ولادته من البعيد ومن يدعي مكانته من القريب فجدة الحدث أوجدت كثرة السؤال فلا خبرة للمجتمع بهذه التجربة الفريدة رغم الوعي الاجتماعي بوجود من سيملاً الأرض قسطاً عادلاً وتفطن السلطة لذلك وحرصها المطلق للقضاء عليه، وما كان من إخفاء أمر الإمام وولادته إلا تدارك لذلك، وقد أشار النوبختي الحسن بن موسى (ت ٣١٠ هـ.) في كتابه (فرق الشيعة) لذلك، بقوله: «كيف يجوز في زماننا هذا مع شدة الطلب وجور السلطان، وقلة رعايته لحقوق أمثالهم أئمة أهل البيت عليهم السلام، مع ما لقي عليه السلام وحسبه؛ تسميته من لم يظهر خبره ولا اسمه، وخفيت ولادته..»^(٢) فإن كان كل ذلك التكتم محيطاً بالإمام عليه السلام فالأمر ذا لا بد أن ينطبق على سفرائه ولاسيما السفير الأول منهم.

وبذلك يمكننا أن نستنتج أنه على الرغم من أن المصادر لم تذكر لقاءاتها بالسفراء الأربعة، فإن ذلك قد يكون نتيجة للظروف السياسية الصعبة والضغط التي فرضتها السلطات العباسية على أهل البيت وأتباعهم، ولا يعني أن صمتها كان نكراناً لدورهم، وإنما قد يكون نوعاً من الحماية لهم ولأدوارهم الحساسة، خاصة عثمان بن سعيد العمري السفير الأول، والذي يتضح لنا من خلال تحليل الوضع السياسي والاجتماعي في تلك الفترة، أنها يرتاب فيها المبطلون، ويخلص فيها المحقون

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ج ٥١، ص ١٢.

(٢) الحسن بن موسى، فرق الشيعة، ص ١٠٥.

العتبة العسكرية المقدسة في سامراء حاضرة الفكر والتراث (وقائع المؤتمر العلمي الدولي الثالث) / ج ٢

كانت تتبع استراتيجيات مدروسة تتناسب مع متطلبات تلك المرحلة الحرجة، مما يعكس ذكاءها وقدرتها على تقدير المخاطر المحيطة به.

١٤٤

م.م ختام محمود سلطان

الخاتمة

في ختام هذا البحث، يتضح بجلاء الدور البارز الذي قامت به المرأة في الإسلام عبر العصور، حيث تُعتبر السيدة حكيمة بنت الإمام الجواد نموذجاً حياً لهذا التأثير، فقد أثبتت أنّ للمرأة مكانة رائدة في الحفاظ على الرسالة ونقل الحقيقة، خاصة في أوقات الأزمات والتحديات الكبرى وأسهمت بشكل أساسي في توثيق الأحداث المرتبطة بهذه اللحظة التاريخية الهامة يعكس دورها ما أتاحه الإسلام للمرأة من مسؤولية في الحفاظ على جوهر الدين ونشر الوعي، وهو دور لا يقل أهمية عن أدوار الرجال، وهذا يؤكد أنّ الإسلام لم يقتصر على إسهامات الرجال في تشكيل التاريخ، بل كان للنساء أدوار ريادية ومحورية في مجالات التعليم والرواية وحماية الدين والدفاع عن الحق ويمكن إجمال ما توصلنا إليه في عدة نقاط هي:

أولاً: ان الإسلام قدس المرأة، وآمن بها وبقدرتها على إتمام الدور الرسالي الموكّل بها فوضع على عاتقها مسؤوليات جسيمة ومهمة، وقد برزت من النساء رموزاً فعالة من الواجب الاقتداء بها لقوله سبحانه: «أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدِهِ»^(١) ومنهم السيدة الجليلة العاملة حكيمة بنت الإمام الجواد يرتاب فيها المبطلون، ويخلص فيها المحقون.

ثانياً: وعلى الرغم من وثاقة السيدة حكيمة وشهرتها فقد ظهر من شكك بوجودها، وان الاختلاف الوارد في اسم السيدة حكيمة والخلاف الناشب حول وجودها من عدمه ما هو إلا محاولة معتمدة أو غير متعمدة لطمس أثرها الرسالي والسبب في ذلك كونها شاهداً على أحد أهم أركان التاريخ والعقيدة الإسلامية من جهة ومساهمة مباشرة في إنقاذ وحماية ولي الله الإمام القائم عجل الله تعالى فرجه.

ثالثاً: إنّ التكتّم الذي يحيط بشخصية السيدة حكيمة وحياتها وزواجها وحتى

(١) سورة الانعام، الآية ٩٠.

وفاتها هو نتيجة طبيعية لما عرف عن أهل البيت عليهم السلام من تقديس لخصوصية المرأة وكرامتها، فلم تعرف بنات النبوة ولم يذكر التاريخ منهن إلا بالضرورة القصوى التي يحتمها اشتراكها بنقل رواية أو أثرها في حادثة مهمة.

رابعاً: احتلت السيدة حكيمة منزلة مهمة في عند الإمام الهادي والإمام العسكري عليه السلام، وكان لها المكانة السامية عن الإمام المهدي عليه السلام، فهي ثقة الأئمة وموضع أسرارهم.

خامساً: اشتركت سلام الله عليها في تزويج ابن أخيها الإمام الحسن العسكري عليه السلام، وشهدت ولادة السيدة نرجس عليها السلام للإمام الثاني عشر عليه السلام.

سادساً: لها دور مهم بعد شهادة الإمام الحسن العسكري عليه السلام في استلام كتب الناس ومسائلهم، وإيصالها إلى الإمام الغائب، وقبض التوقيعات الشريفة للحضرة المقدسة وإيصالها إلى الناس، أي: كانت تقوم بدور السفارة ولكنها سفارة خاصة.

سابعاً: تعاملت السيدة حكيمة مع الإحداث التي تلت وفاة الإمام الحسن العسكري عليه السلام بالكثير من الحنكة والكياسة، محاولة أن تزن الاتجاهات السياسية والاجتماعية آنذاك بدقة بالغة، فلم يرد عنها ميلها لفئة معينة أو التواصل مع أحد من نواب الإمام عليه السلام، ولم تفصح عن أيّ منهم.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

١. ابن شهر آشوب، محمد بن علي (ت ٥٨٨هـ) مناقب آل أبي طالب، النجف الأشرف، ١٩٥٦م.
٢. الأمين، محسن، أعيان الشيعة، تحقيق حسن الأمين، دار التعارف، بيروت، ١٩٦٦.
٣. البحراني، السيد هاشم، تبصرة الولي فيمن رأى القائم المهدي، مؤسسة المعارف الإسلامية، قم، ١٤١١هـ.
٤. البرسي، رجب، مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين عليه السلام، تحقيق العلامة السيد علي عاشور، بيروت، لبنان، ٢٠٠٧.
٥. التستري، محمد تقي، قاموس الرجال، مؤسسة النشر الإسلامي، بيروت.
٦. الحسن بن موسى (ت ٣١٠هـ) فرق الشيعة، تعليق ودراسة: هلموت ريتز، تقديم: عبد الرحمن بدوي، باريس.
٧. الحلي، رجال العلامة الحلي، منشورات المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف.
٨. الرازي، فخر الدين، الشجرة المباركة في أنساب الطالبية، مكتبة آية الله العظمى المرعشي، قم، ١٩٨٨م.
٩. سلمان، محمد، سيدة الإمام قراءة جديدة هويتها وسيرتها.
١٠. الشيخ الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن، الغيبة، قدم له العلامة الكبير آقا بزرك الطهراني، مكتبة نينوى الحديثة، طهران.
١١. الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي (ت ٣٨١هـ)، كمال الدين وتمام النعمة، تعليق: علي أكبر الغفاري، قم.
١٢. الطبري الصغير، محمد بن جرير بن رستم، دلائل الإمامة، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية مؤسسة البعثة، قم.

١٣. الطهراني، آغا بزرك، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، دار الضواء، بيروت، ١٩٩٦.
١٤. العمري عليّ بن محمّد بن محمد العلوي (ت ٧٠٩هـ)، المجدي في أنساب الطالبين، تحقيق: أحمد الدامغاني، بلا، ١٤٠٩هـ.
١٥. القرشي، باقر شريف، حياة الإمام الحسن العسكري، دار الكتاب الإسلامي، بيروت.
١٦. القرشي، باقر شريف، حياة الإمام المهدي، مطبعة أمير، النجف، ١٩٩٦م.
١٧. القمي، عباس بن محمد رضا أبو القاسم (ت ١٣٥هـ) منتهى الآمال في تواريخ النبي والآل، دار المصطفى العالمية، بيروت، ط ٣، ٢٠١١م.
١٨. القندوزي، سليمان بن إبراهيم (ت ١٢٩٤هـ)، ينابيع المودة لذوي القربى، بلا، لا ت.
١٩. المجلسي، محمد بن باقر، بحار الأنوار، مؤسسة الأعلمي للطباعة، بيروت.
٢٠. المسعودي، علي بن الحسين، إثبات الوصية، الناشر انصاريان، قم، الطبعة الثالثة، سنة الطبع ١٤٢٦ق.
٢١. المفيد، محمد بن محمد بن نعمان، الإرشاد، تحقيق مؤسسة أهل البيت لتحقيق التراث، بيروت.
٢٢. مهدي، بحر العلوم، الفوائد الرجالية، ط ١، ت. ط ١٩٦٣.
٢٣. النجاشي، أحمد بن علي (ت ٤٥٠هـ) رجال النجاشي، مؤسسة النشر الإسلامي، بيروت.
٢٤. النوري، الميرزا حسين، النجم الثاقب في إثبات الحجّة الغائب، مؤسسة الأعلمي للطباعة والنشر، بيروت.



الفقه والأصول





البحث الأول

الآثار الفقهية للإمام الحسن العسكري عليه السلام

دراسة في أحكام البيع

أ.م.د. محمد فرحان عبيد النائلي

جامعة الكوفة / كلية الفقه



الملخص:

إنَّ الإمام الحسن العسكري عليه السلام كآبائه وأجداده عليهم السلام وجدّه المصطفى صلى الله عليه وآله قائد تتلخّص مهّماته القياديّة في كلمة موجزة ذات معنى واسع وأبعاد شتى هي الهداية بأمر الله تعالى التي تتجلّى في تبيان الشريعة وتقديم تفاصيل الأحكام العامّة أو المطلقة.

وقد خلّف الإمام الحسن العسكري عليه السلام تراثاً فكرياً وعلمياً ثراً من خلال ما قدّمه من نصوص للأُمَّة الإسلاميّة على شكل خطب أو وصايا أو احتجاجات أو رسائل أو أحاديث وصلتنا في فروع المعرفة المختلفة، ممّا يكشف عن تنوع اهتمامات الإمام الحسن العسكري عليه السلام وسعة علمه وإحاطته بمتطلّبات المرحلة التي كانت تعيشها الأُمَّة المسلمة في عصره المحفوف بالفتن والدواهي التي قلّ فيها من كان يعي طبيعة المرحلة ومتطلّباتها إلاّ أن يكون محفوفاً برعاية الله وتسديده.

واعتمد الباحث في تقسيم البحث إلى مطالبٍ ثلاثة مشفوعة بمقدمة وخاتمة ونتائج للبحث. حيث تعرض البحث في المطلب الأول إلى: مفهوم الآثار الفقهية في اللغة والاصطلاح. المطلب الثاني إلى: الآثار الفقهية للإمام الحسن العسكري عليه السلام في أحكام بيع الأرض والسكن والبستان وفيه (أربع مسائل):

المطلب الثالث: الآثار الفقهية للإمام الحسن العسكري عليه السلام في أحكام بيع وشراء المتاع والدابة. وفيه (أربع مسائل)، وفي الختام ذكر الباحث بعض النتائج والتوصيات التي أفرزها البحث توصل إليها الباحث في بحثه.

الكلمات المفتاحية: أحكام، التراث، العبادات، العسكري، الفقه، البيع.

مقدمة :

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على خير خلقه محمد المصطفى ﷺ وآله عليهم السلام وأصحابه المنتجبين ﷺ ومن تبعهم بإحسان إلى قيام يوم الدين .
وبعد .

الإمام الحسن العسكري عليه السلام كآبائه وأجداده عليهم السلام وجدّه المصطفى ﷺ قائد تتلخّص مهمّاته القياديّة في كلمة موجزة ذات معنى واسع وأبعاد شتى هي الهداية بأمر الله تعالى انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ﴾^(١).

والهداية بأمر الله سبحانه تتجلّى في تبيان الشريعة وتقديم تفاصيل الأحكام العامة أو المطلقة التي نصّ عليها القرآن الكريم والرسول العظيم، وتطبيق أحكام الله تعالى على الأمة المسلمة وصيانة الشريعة والنصوص الإلهية من أيّ تحريف أو تحوير يتصدّى له الضالّون المضلّون.

والثورة التي فجرها الإسلام العظيم هي ثورة ثقافيّة قبل أن تكون ثورة اجتماعيّة أو اقتصاديّة فلا غرو أن تجد الأئمّة من أهل البيت عليهم السلام يفرغون أنفسهم لتربية الأمة وتثقيفها على مفاهيم الرسالة وقيمها، وهم يرون أنّ مهمّتهم الأولى هي التربية والتثقيف انطلاقاً من النصّ القرآني الصريح في بيان أهداف الرسالة والرسول الذي يرى الإمام نفسه استمراراً له وقيماً على ما أثمرته جهود الرسول ﷺ من رسالة وأمة ودولة .

ولئن غصّ الإمام العسكري الطرف عن الخلافة لأسباب دينيّة ومبدئيّة؛ فهو لم يترك الساحة ومواريث الرسول ﷺ لتنهب بأيدي الجاهليين، بل نجده قد تصدّى

(١) سورة الأنبياء، الآية ٧٣ .

لتربية القاعدة التي على أساسها تقوم الدولة وعليها تطبق أحكام الشريعة.

وقد خلف الإمام الحسن العسكري عليه السلام تراثاً فكرياً وعلمياً ثراً من خلال ما قدّمه من نصوص للأمة الإسلامية على شكل خطب أو وصايا أو احتجاجات أو رسائل أو أحاديث وصلتنا في فروع المعرفة المختلفة، مما يكشف عن تنوع اهتمامات الإمام الحسن العسكري عليه السلام وسعة علمه وإحاطته بمتطلبات المرحلة التي كانت تعيشها الأمة المسلمة في عصره المحفوف بالفتن والدواهي التي قلّ فيها من كان يعي طبيعة المرحلة ومتطلباتها إلا أن يكون محفوفاً برعاية الله وتسديده.

ونستعرض صوراً من اهتمامات الإمام الحسن العسكري عليه السلام العلمية في المعاملات وخصوصاً في أحكام البيع، ونلتقط شيئاً من المفاهيم والقيم المثلى التي ظهرت على لسانه وعبر عنها ببلغ بيانه أو تجلّت في تربيته لتلامذته وأصحابه. التي أخذناها عن المصادر المشهورة والمنابع المعروفة عند علماء الشيعة التي عليها الفتوى والاستنباط عند فقهاء الطائفة، وكذلك أخذنا أخباره عليه السلام عن كتب العامة المعروفة عندهم.

وأعتمد الباحث في تقسيم بحث «الآثار الفقهية للإمام الحسن العسكري» دراسة في أحكام البيع " إلى مطالبٍ ثلاث مشفوعة بمقدمة وخاتمة ونتائج للبحث. حيث تعرض الباحث في المطلب الأول: إلى مفهوم الآثار الفقهية في اللغة والاصطلاح. وفيه مقصدين: الأول: مفهوم الآثار الفقهية في اللغة. والثاني: مفهوم الآثار الفقهية في الاصطلاح.

وفي المطلب الثاني: إلى الآثار الفقهية للإمام الحسن العسكري عليه السلام في أحكام بيع الأرض والسكن والبستان وفيه (أربع مسائل): الأولى: مسألة في حكم ابتياع الأرض وما يتعلق بها. والثانية: مسألة في حكم شراء المسكن وما يتعلق به. والثالثة: مسألة في حكم الممر لمن باع أرضاً واستثنى شجرة. والرابعة: مسألة من باع واستثنى

نخلة أو نخلات فله المدخل إليها والمخرج منه.

وفي المطلب الثالث: إلى الآثار الفقهية للإمام الحسن العسكري عليه السلام في أحكام بيع وشراء المتاع والدابة. وفيه (أربع مسائل): الأولى: مسألة في حكم مَنْ دفع متاعاً عن دين فتغير سعر المتاع والثانية: مسألة في حكم مَنْ اشترى دابة فأحدث فيها. والثالثة: مسألة التصرف في مَنْ اشترى بئمن مسروق. والرابعة: مسألة في حكم بيع ما لا يملك.

وفي الختام ذكر الباحث بعض النتائج والتوصيات التي أفرزها البحث وتوصل إليها الباحث في بحثه والمصادر والمراجع المعتمدة، من الموسوعات اللغوية والفقهية والروائية. راجياً القبول، وعلى الله توكلت ومنه استمد العون والتوفيق، إنه نعم المولى ونعم الرفيق.

المطلب الأول: مفهوم الآثار الفقهية في اللغة والاصطلاح .

الآثار الفقهية عند أهل اللغة والاصطلاح مفهوم يبيّن فيه المراد من الآثار والفقه، سنتطرق لكل منهما:

المقصد الأول: مفهوم الآثار الفقهية في اللغة.

الآثار الفقهية مفهوم لغوي حسب ما ورد في المعاجم اللغوية لأهل اللغة والاختصاص:

حيث ذكروا أن الآثار له ثلاثة أصول: تقديم الشيء معناه: أفعله أول كل شيء، ومنه الإيثار.^(١)

وذكر الشيء، يقال: (أثرت الحديث أثراً نقلته، وحديث مأثور، أي: منقول)^(٢).
(وحديث مأثور، أي: يُخبر الناس به بعضهم بعضاً، أي: ينقله خلف عن سلف) (وأثرت العلم: رويته، تتبعت أثره)^(٣)

ورسم الشيء الباقي: (والأثر بقية ما ترى من كل شيء وما لا يرى بعد ما يُبقي عُلقةً). (وأثر الدار: بقيتها. والجمع: آثار وأثرت فيه تأثيراً جعلت فيه أثراً وعلامة)^(٤).

أما الفقه فله مفهوم لغوي حسب ما ورد في المعاجم اللغوية لأهل اللغة

(١) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج ١، ص ٥٣.

(٢) الفيومي، المصباح المنير، ج ١، ص ٤.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، ج ١، ص ٦٩. وينظر: الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص ٩.

(٤) الفراهيدي، العين، ج ٨، ص ٢٣٦، ينظر: المصباح المنير، ج ١، ص ٤؛ وينظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج ١، ص ٥٥.

والاختصاص: هو العلم بالشيء والفهم له. وهو المعروف لدى اللغويين^(١)

المقصد الثاني: مفهوم الآثار الفقهية في الاصطلاح.

الآثار الفقهية مفهوم اصطلاحي حسب ما ورد في المعاجم الاصطلاحية:

فقد ورد عنوان (الأثر) على لسان الفقهاء بمعنى المنقول، لكن لا مطلقاً، بل

مرادهم خصوص ما نُقل عن النبي ﷺ والأئمة المعصومين عليه السلام.

وأتمّ استعملوا عنوان (الأثر) بمعنى بقيّة الشيء وفي بعض الموارد تصدّوا

ليبان معناه^(٢).

أما الفقه فله مفهوم اصطلاحي حسب ما ورد في المعاجم الاصطلاحية:

فقد أطلق الفقه على ما يرادف لفظ الشرع فكان علم الفقه، أو (العلم بالأحكام

الشرعية الفرعية عن أدلتها التفصيلية)^(٣).

(١) الفراهيدي، العين، ج ٣، ص ٣٧. ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج ٤، ص ٤٤٢، ينظر:

الفيومي، المصباح المنير، ج ١، ص ٤٧٩.

(٢) الحلي، ابن إدريس، السرائر، ج ١، ص ٩٧، العاملي، الدروس الشرعية، ج ١، ص ٨٩؛ الطوسي،

المبسوط في الفقه، ج ١، ص ١٦.

(٣) الطوسي، العدة في أصول الفقه، ج ١، ص ٢١، العاملي، حسن بن زين الدين، معالم الدين

وملاذ المجتهدين، ج ١، ص ٢٦.

المطلب الثاني: الآثار الفقهية للإمام الحسن العسكري عليه السلام في أحكام بيع الأرض والسكن والبستان

عند دراسة الآثار الفقهية للإمام الحسن العسكري عليه السلام الواصل إلينا عن طريق الروايات الواردة عنه عليه السلام والتي اعتمدها الفقهاء في بيان الآثار الفقهية في أحكام بيع الأرض والسكن والبستان نذكر مسائل منها:

المسألة الأولى: مسألة في حكم ابتياع الأرض وما يتعلق بها

وردت الرواية في حكم ابتياع الأرض وما يتعلق بها عن الآثار الفقهية للإمام عليه السلام الواصل إلينا عن طريق الروايات التي اعتمدها الفقهاء عما كتب محمد بن الحسن الصفار إلى أبي محمد عليه السلام: في رجل اشترى من رجل أرضاً بحدودها الأربعة، وفيها زرع ونخل وغيرهما من الشجر، ولم يذكر النخل ولا الزرع ولا الشجر في كتابه، وذكر فيه أنه قد اشتراها بجميع حقوقها الداخلة فيها والخارجة منها، أيدخل الزرع والنخل والأشجار في حقوق الأرض أم لا؟ فوَّع عليه السلام: «إذا ابتاع الأرض بحدودها وأغلقَ عليه بابها، فله جميع ما فيها إن شاء الله»^(١).

دلالة الرواية: دلَّت الرواية على أن من اشترى أرضاً بحدودها الأربعة بجميع حقوقها وما أغلق عليها بابها يدخل في البيع الشجر والبناء والزرع^(٢).

المسألة الثانية: مسألة في حكم شراء المسكن وما يتعلق به .

وردت الرواية في حكم شراء المسكن وما يتعلق به عن الآثار الفقهية للإمام عليه السلام الواصل إلينا عن طريق الروايات التي اعتمدها الفقهاء عن محمد بن الحسن بإسناده عن محمد بن الحسن الصفار أنه كتب إلى أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام في رجل اشترى

(١) الطوسي، تهذيب الأحكام، ج ٧، ص ١٢٧، الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج ١٨، ص ٩٠.

(٢) ينظر: الطوسي، الخلاف، ج ٣١، ص ٨١، العلامة الحلي، تذكرة الفقهاء، ج ١٢، ص ٤٣، البحراني، الحدائق الناضرة، ج ١٩، ص ١٢٥.

من رجل بيتا في داره بجميع حقوقه وفوقه بيت آخر، وهل يدخل البيت الأعلى في حقوق البيت الأسفل أم لا؟ فوق عليه السلام ليس له إلا ما اشتراه باسمه وموضعه إن شاء الله^(١). ورواه الصدوق بإسناده عن محمد بن الحسن الصفار أيضاً مثله.

دلالة الرواية: دلّت الرواية على أنّ المرجع إلى ما صدق عليه ذلك اللفظ عرفاً، والظاهر عدم دخول البيت الأعلى، وهو ما كان مستقلاً بالسكنى في حقوق البيت الأسفل فحينئذ لا يدخل في البيع^(٢).

المسألة الثالثة: مسألة في حكم الممر لمن باع أرضاً واستثنى شجرة .

وردت الرواية في حكم الممر لمن باع أرضاً واستثنى شجرة عن الآثار الفقهية للإمام عليه السلام الواصل إلينا عن طريق الروايات التي اعتمدها الفقهاء عن محمد بن الحسن قال: كتبت إليه عليه السلام: في رجل باع بستاناً له فيه شجر وكرم فاستثنى شجرة منها، هل له ممر إلى البستان إلى موضع شجرته التي استثناه؟ وكم لهذه الشجرة التي استثناه من الأرض التي حولها بقدر أغصانها؟ أو بقدر موضعها التي هي نابتة فيه؟ فوق عليه السلام: «له من ذلك على حسب ما باع وأمسك، فلا يتعدى الحق في ذلك إن شاء الله»^(٣)

دلالة الرواية: دلّت الرواية على أنّ من باع بستاناً واستثنى شجرة كان له الممر إليها والمخرج منها ومدى أغصانها من الأرض، ويستحق الانتفاع بالشجرة وثمرتها،

(١) الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج ٣، ص ١٤٧، الطوسي، تهذيب الأحكام، ج ٧، ص ١٣٧.
(٢) ينظر: العلامة الحلي، تذكرة الفقهاء، ج ١٢، ص ٦١. الكركي، جامع المقاصد، ج ٤، ص ٣٧٢.
الأردبيلي، أحمد، مجمع الفائدة والبرهان، ج ٨، ص ٤٩٥. المجلسي، محمد باقر، ملاذ الأخيار، ج ١١، ص ٢٤٤، البحراني، الحدائق الناضرة، ج ١٩، ص ١٢٤. الطباطبائي، علي، رياض المسائل، ج ٨، ص ٣٤٧.

(٣) الطوسي، تهذيب الأحكام، ج ٧، ص ٨٤. الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج ١٨، ص ٩٠.

وله من ذلك على حسب ما استثنى^(١)

المسألة الرابعة: مسألة من باع واستثنى نخلة أو نخلات فله المدخل إليها والمخرج منها.

وردت الرواية في حكم من باع واستثنى نخلة أو نخلات فله المدخل إليها والمخرج منها ومدى جرائدها إلا مع الشرط عن الآثار الفقهية للإمام عليه السلام الواصل إلينا عن طريق الروايات التي اعتمدها الفقهاء عن محمد بن الحسن بإسناده عن محمد بن الحسن يعني الصفار قال: كتبت إليه عليه السلام يعني الحسن بن علي العسكري عليه السلام في رجل باع بستانا له فيه شجر وكرم، فاستثنى شجره منها هل له ممر إلى البستان إلى موضع شجرته التي استثناه؟ وكم لهذه الشجرة التي استثناه إلى حولها بقدر أغصانها أو بقدر موضعها الذي هي ثابتة فيه؟ فوقع: له من ذلك على حسب ما باع وأمسك، فلا يتعدى الحق في ذلك إنشاء الله.

وعن محمد بن يعقوب، عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن النوفلي، عن السكوني، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قضى النبي صلى الله عليه وآله في رجل باع نخلاً واستثنى غلة نخلات فقضى له رسول الله صلى الله عليه وآله بالمدخل إليها والمخرج منها ومدى جرايدها.

ورواه الشيخ بإسناده عن علي بن إبراهيم. ورواه الصدوق بإسناده عن إسماعيل بن مسلم عن الصادق عليه السلام أقول: ويأتي ما يدل على ذلك في إحياء الموات.

(١) الكركي، جامع المقاصد، ج ٤، ص ٣٨٦. الأردبيلي، أحمد، مجمع الفائدة والبرهان، ج ٨، ص ٥٠٢. البحراني، الخدائق الناضرة، ج ١٩، ص ١٢٨ - ١٢٩.

المطلب الثالث: الآثار الفقهية عند الإمام الحسن العسكري عليه السلام في أحكام بيع

وشراء المتاع والدابة

عند دراسة الآثار الفقهية للإمام الحسن العسكري عليه السلام الواصل إلينا عن طريق الروايات الواردة عنه عليه السلام التي اعتمدها الفقهاء لبيان الآثار الفقهية في أحكام بيع وشراء المتاع والدابة، نذكر مسائل منها:

المسألة الأولى: مسألة في حكم مَنْ دفع متاعاً عن دين فتغير سعر المتاع

وردت الرواية في حكم مَنْ دفع متاعاً عن دين فتغير سعر المتاع عن الآثار الفقهية للإمام عليه السلام الواصل إلينا عن طريق الروايات التي اعتمدها الفقهاء عن محمد بن الحسن الصفار، قال: كتبت إليه عليه السلام في رجل كان له على رجل مال، فلما حلّ عليه المال أعطاه بها طعاماً، أو قطناً، أو زعفراناً، ولم يقاطعه على السعر، فلما كان بعد شهرين أو ثلاثة ارتفع الزعفران والطعام والقطن، أو نقص، بأيّ السعرين يحسبه قال: لصاحب الدين سعر يومه الذي أعطاه، وحلّ ماله عليه أو السعر الثاني بعد شهرين أو ثلاث يوم حاسبه؟ فوقع عليه السلام: «ليس له إلا على حسب سعر وقت ما دفع إليه الطعام، إن شاء الله»^(١).

دلالة الرواية: دلّت الرواية على أنّه لو دفع الدائن إلى المدين عوضاً عمّا في ذمته ولم يساعره وقت الدفع، ثم تغيرت الأسعار فإنّه يحتسب بقيمتها يوم القبض لأنّها تدخل في ملك القابض بمجرد القبض وإن لم يكن يحصل تحديد السعر^(٢).

(١) الطوسي، تهذيب الأحكام، ج ٦، ص ١٥٨. الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج ١٨، ص ٨٤.

(٢) الكركي، جامع المقاصد، ج ٥، ص ٣٧. الأردبيلي، أحمد، مجمع الفائدة والبرهان، ج ٩، ص ٩٩.

١٠٠ - البحراني، الحدائق الناضرة، ج ٢٠، ص ١٦٠ - ١٦١. الطباطبائي، علي رياض،

المسائل، ج ٩، ص ١٤٢.

المسألة الثانية: مسألة في حكم مَنْ اشترى دابة فأحدث فيها

وردت الرواية في حكم مَنْ اشترى دابة فأحدث فيها عن الآثار الفقهية للإمام عليه السلام الواصل إلينا عن طريق الروايات التي اعتمدها الفقهاء عن محمد بن الحسن الصفار قال: كتبت إلى أبي محمد عليه السلام: في الرجل اشترى من رجل دابة فأحدث فيها حدثاً من أخذ الحافر، أو نعلها، أو ركب ظهرها فراسخ، أله أن يردها في الثلاثة أيام التي له فيها الخيار بعد الحدث الذي يحدث فيها، أو الركوب الذي ركبها فراسخ؟ فوقع عليه السلام: «إذا أحدث فيها حدثاً فقد وجب الشراء إن شاء الله تعالى»^(١).

دلالة الرواية: دلت الرواية على أن الخيار يثبت للمشتري لو لم يتصرف بالحيوان في الثلاثة أيام التي له فيها الخيار، فإن تصرف المشتري فيه سقط الخيار^(٢).

المسألة الثالثة: مسألة التصرف في مَنْ اشترى بئمن مسروق

لا يجوز شراء البضائع المسروقة - ولو سرقت من كفار -، وهي من المال المحرّم لعينه، والذي لا يحل لأحد أن يملكه ولو بطريق مشروعة كالشراء والهبة والميراث. والواجب على من علم أنّ ما سيشتريه مسروق أن يُنكر على السارق، ويأمره بالتوبة من السرقة، وردّ البضاعة إلى أصحابها، وأن يحاول إرجاع البضاعة إلى أصحابها إن تمكن من ذلك وعلم أعيانهم أو يخبرهم بمكان بضاعتهم المسروقة، أو يخبر الجهات المسؤولة عن ذلك.

ومن اشترى بضاعة وهو يعلم أنّها مسروقة: أثم، ومن تمام توبته إرجاع

(١) الطوسي، تهذيب الأحكام، ج ٧، ص ٧١. الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج ١٨، ص ١٣.

(٢) الطوسي، الخلاف، ج ٣، ص ١٢. العلامة الحلي، تذكرة الفقهاء، ج ١٠، ص ٣٤، ٣٥. البحراني، الحدائق الناضرة، ج ١٩، ص ٢٥. الطباطبائي، علي رياض، المسائل، ج ٨، ص ٢٩٨ - ٢٩٩. النراقي، مستند الشيعة، ج ١٤، ص ٣٧٨. النجفي، محمد حسن، جواهر الكلام، ج ٢٣، ص ٢٩.

البضاعة لأصحابها والرجوع بالثمن على من باعه إيّاها.

والشراء من السارق فيه إعانة على الإثم والعدوان، وتشجيع للسارق بالاستمرار على فعله، وفيه ترك لإنكار المنكر، كما أنّ من شروط صحة البيع ملك البائع لما يبيعه، فإن كان سارقاً فهو غير مالك وهذا موجب لبطلان العقد.

وردت الرواية على حكم التصرف في مَنْ اشترى بثلثين مسروق عن الآثار الفقهية للإمام عليه السلام الواصل إلينا عن طريق الروايات التي اعتمدها الفقهاء عن محمد بن علي بن محبوب عن محمد بن عيسى عن عبد الله بن المغيرة عن إسماعيل السكوني عن جعفر عن أبيه عن آبائه عليهم السلام قال: لو أنّ رجلاً سرق ألف درهم فاشترى بها جارية أو أصدقها امرأة فإن الفرج له حلال وعليه تبعة المال.^(١)

وما رواه الصفّار قال: كتبت إلى أبي محمد الحسن عليه السلام رجل اشترى ضيعة أو خادماً بهال أخذه من قطع الطريق أو من سرقة، هل يحلّ له ما يدخل عليه من ثمرة هذه الضيعة؟ أو يحلّ له أن يطأ هذا الفرج الذي اشتراه من سرقة أو من قطع الطريق؟ فوقع عليه السلام: لا خير في شيء أصله حرام ولا يحل استعماله.^(٢)

فلا ينافي الخبر الأول؛ لأنّ الوجه فيه أن نحمله على ضرب من الكراهية دون الحظر والذي نقول: إنّهُ لا يجوز لمن هذه صفته أن يتمسك بالضيعة والخادم، بل ينبغي أن يبيعهما ويرد الثمن على من أخذه منه، والمعنى في هذا الخبر الأول أنّه لا يكون زانياً بوطء ذلك الفرج دون أن يكون المراد به جواز الاستمرار عليه واستدامته.^(٣)

دلالة الرواية: دلّت الرواية على أنّه لا يحل ما يشتري بالمكاسب المحرّمة إذا

(١) الطوسي، الاستبصار، ج ٣، ص ٦٧، ب ٤٠، ح ١.

(٢) الكليني، فروع الكافي، ج ٣، ص ١٢٠-١٢١. الطوسي، تهذيب الأحكام، ج ٦، ص ٣١٤.

الطوسي، الاستبصار، ج ٣، ص ٦٧، ب ٤٠، ح ٢، الكليني، الكافي، ج ٥، ص ١٢٥.

(٣) الطوسي، الاستبصار، ج ٣، ص ٦٧.

اشْتَرِيَ بَعِينَ الْمَالِ^(١). وَالْأَوَّلُ مَحْمُولٌ عَلَى الشَّرَاءِ بِعَيْنِ الْمَالِ وَالثَّانِي عَلَى الشَّرَاءِ فِي الذَّمَّةِ .

المسألة الرابعة: مسألة في حكم بيع ما لا يملك.

وردت الرواية في حكم بيع ما لا يملك عن الآثار الفقهية للإمام عليه السلام الواصل إلينا عن طريق الروايات التي اعتمدها الفقهاء، عن محمد بن الحسن الطوسي بإسناده عن محمد بن الحسن الصفار أنه كتب إلى أبي محمد الحسن بن علي العسكري عليه السلام في رجل باع قطاع أرضين فيحضره الخروج إلى مكة والقرية على مراحل من منزله، ولم يكن له من المقام ما يأتي بحدود أرضه، وعرف حدود القرية الأربعة، فقال للشهود: اشهدوا أنني قد بعت فلانا - يعني المشتري - جميع القرية التي حدّ منها كذا، والثاني والثالث والرابع، وإنّما له في هذه القرية قطاع أرضين، فهل يصلح للمشتري ذلك وإنّما له بعض هذه القرية وقد أقر له بكلّها؟ فوقع عليه السلام: لا يجوز بيع ما ليس يملك، وقد وجب الشراء من البائع على ما يملك.^(٢)

ورواه الصدوق بإسناده عن محمد بن الحسن الصفار.

دلالة الرواية: دلّت الرواية على عدم جواز البيع فيما لا يملك، ونفذيّعه وصحّ فيما يملك^(٣).

(١) المجلسي، محمد باقر، مرآة العقول، ج ١٩، ص ٩٠. البحراني، الحدائق الناضرة، ج ١٨، ص ٣٧٦.

(٢) الكليني، فروع الكافي، ج ٥، ص ٤٤٠. الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج ٣، ص ١٤٧-١٤٨. الطوسي، تهذيب الأحكام، ج ٦، ص ٢٣٤. الحر العاملي، وسائل الشيعة (آل البيت)، ج ١٧، ص ٣٣٩، ب ٢ ح ١.

(٣) الكركي، جامع المقاصد، ج ٤، ص ٧٨. البحراني، الحدائق الناضرة، ج ١٨، ص ٣٤٩. النراقي، مستند الشيعة، ج ١٤، ص ٢٧٠. النجفي، محمد حسن، جواهر الكلام، ج ٢٢، ص ٣١٠. السبزواري، مهذب الأحكام، ج ١٦، ص ٣٩٥.

نتائج البحث :

١. تنوع اهتمام الإمام الحسن العسكري عليه السلام وسعة علمه وإحاطته بمتطلبات المرحلة التي كانت تعيشها الأمة المسلمة في عصره المحفوف بالفتن والدواهي التي قلّ فيها من كان يعي طبيعة المرحلة ومتطلباتها إلا أن يكون محفوفاً برعاية الله وتسديده.
٢. خلف الإمام الحسن العسكري عليه السلام تراثاً فكرياً وعلمياً ثراً من خلال ما قدّمه من نصوص للأمة الإسلامية على شكل خطب أو وصايا أو احتجاجات أو رسائل أو أحاديث التي وصلت إلينا في فروع المعرفة المختلفة تحوي على العبادات التي تعتبر هي مادة غنية ومصدر يرجع إليه الفقهاء في استنباط الأحكام الشرعية .
٣. من الآثار الفقهية عند الإمام الحسن العسكري عليه السلام في أحكام بيع الأرض والسكن والبستان في أربع مسائل: منها في حكم ابتياع الأرض وما يتعلق بها. ومنها في حكم شراء المسكن وما يتعلق به. ومنها في حكم الممر لمن باع أرضاً واستثنى شجرة أو نخلات فله المدخل إليها والمخرج منه.
٤. من الآثار الفقهية عند الإمام الحسن العسكري عليه السلام في أحكام بيع وشراء المتاع والدابة. في أربع مسائل: منها في حكم مَنْ دفع متاعاً عن دين فتغير سعر المتاع، ومنها في حكم مَنْ اشترى دابة فأحدث فيها. ومنها التصرف في مَنْ اشترى بثمان مسروق. منها في حكم بيع ما لا يملك.

المصادر والمراجع :

- ١- ابن البراج، عبد العزيز بن البرّاج الطرابلسي، المهذب، تحقيق: مؤسسة سيد الشهداء العلمية، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي.
- ٢- أبْن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا (ت: ٣٩٥ هـ) معجم مقاييس اللغة، قم، مكتب الإعلام الإسلامي، ١٤٠٤ هـ.
- ٣- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ت (٧١١ هـ) لسان العرب: دار الكتب العالمية، بيروت، ط ١: ٢٠٠٥ م.
- ٤- الأردبيلي، أحمد بن محمد، مجمع الفائدة والبرهان، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤٠٥ هـ.
- ٥- الأنصاري، مرتضى الأنصاري (ت: ١٢٨١ هـ) كتاب الطهارة، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم.
- ٦- البحراني، يوسف بن أحمد (ت: ١١٨٦ هـ). الخدائق الناضرة، تحقيق: محمد تقّي الإيرواني، ط ٢، نش، دار الأضواء، بيروت.
- ٧- البهبهاني، محمد باقر محمد أكمل (ت: ١٢٠٦ هـ) مصابيح الظلام، ط ٢، ١٤٢٤ هـ، تحقيق ونشر: مجمع الفكر الإسلامي، قم، إيران.
- ٨- الحلي، ابن إدريس، محمد بن منصور بن أحمد، السرائر، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١٧ هـ.
- ٩- الحلي، العلامة الحسن بن يوسف بن المطهر، تذكرة الفقهاء، قم، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، ١٤١٤ هـ.
- ١٠- الحلي، العلامة الحسن بن يوسف بن المطهر، مختلف الشيعة في أحكام الشريعة، ط ٢، ١٤٢٣ هـ، نش: مؤسسة بوستان، قم، إيران.

- ١١- الحلي، العلامة الحسن بن يوسف بن المطهر، منتهى المطلب في تحقيق المذهب، ط ٢، ١٤٢٥هـ، تح ونشر: مجمع البحوث الإسلامية، مشهد، إيران.
- ١٢- الحلي، العلامة الحسن بن يوسف بن المطهر، نهاية الأحكام، ط ٢، ١٤٢٥هـ، تحقيق ونشر: مجمع البحوث الإسلامية، مشهد، إيران.
- ١٣- الخونساري جمال الدين، حاشية الروضة، الناشر: المؤسسة الجعفرية لإحياء التراث، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
- ١٤- الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد بن الفضل، المفردات في غريب القرآن، ط ١، ١٤١٠هـ، نش: مؤسسة النشر الإسلامي، قم، إيران.
- ١٥- الراوندي، الخرائج والجرائح، تحقيق مؤسسة الإمام المهدي، ط ١، سنة الطبع ذي الحجة ١٤٠٩.
- ١٦- السبزواري، مهذب الأحكام، تحقيق جمع من الفضلاء، مؤسسة سيد الشهداء، ١٤٠٥هـ، قم، إيران.
- ١٧- الصدوق، محمد بن علي بن بابويه القمي، الخصال، تحقيق عصام عبد السيد، ط ٢، ١٤١٤، نشر دار المفيد، قم، إيران.
- ١٨- الصدوق، من لا يحضره الفقيه، تصحيح علي أكبر الغفاري، ط ٢، ١٤٠٤هـ، منشورات جماعة المدرسين قم، إيران.
- ١٩- الصدوق، فضائل الأشهر الثلاثة، تصحيح علي أكبر الغفاري، ط ٢، ١٤٠٤هـ، منشورات جماعة المدرسين قم، إيران.
- ٢٠- الطباطبائي، السيد علي، رياض المسائل في بيان أحكام الشرع بالدلائل، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١٢هـ.
- ٢١- الطبرسي، مكارم الأخلاق، أوفسيت ١٤١٧هـ، رابطة الثقافة والعلاقات

الإسلامية، طهران، إيران .

٢٢- الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتعجب، ط ٣، دار الأندلس، بيروت، لبنان.

٢٣- الطوسي، محمد بن الحسن، الاستبصار، تحقيق محمد رضا الأنصاري، ط ١، ١٤١٧ هـ مطبعة ستارة، قم.

٢٤- الطوسي، المبسوط في الفقه، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤٢٨ هـ.

٢٥- الطوسي، محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام، ط ٤، ١٣٦٥ هـ، نشر دار الكتب العلمية الإسلامية، طهران، إيران.

٢٦- الطوسي، محمد بن الحسن، الخلاف، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١١ هـ.

٢٧- الطوسي، محمد بن الحسن، العدة في أصول الفقه، تحقيق محمد رضا الأنصاري، ط ١، ١٤١٧ هـ مطبعة ستارة، قم.

٢٨- الطوسي، محمد بن الحسن، إختيار معرفة الرجال المعروف به (رجال الكشي).

٢٩- العاملي، محمد بن الحسن الحرّ، هداية الأمة إلى أحكام الأئمة عليهم السلام، قسم الحديث في البحوث الإسلامية.

٣٠- العاملي، محمد بن مكّي الشهيد الأول (ت: ٧٨٦ هـ)، الدروس الشرعية، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١٤ هـ.

٣١- العاملي، محمد بن مكّي الشهيد الأول، ذكرى الشيعة، ط ١، ١٤١٩ هـ، تح ونش: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث - قم - إيران.

٣٢- العاملي، وسائل الشيعة (آل البيت)، ط ٢، ١٤١٩ هـ، تح ونش: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم، إيران.

٣٣- العاملي، حسن بن زين الدين، معالم الدين وملاذ المجتهدين، ط ٥، ١٣١٤ هـ،
نشر مكتبة المرعشي، قم، إيران.

٣٤- العطاردي، عزيز الله، مسند الإمام العسكري، الناشر المؤتمر العالمي للإمام
الرضا عليه السلام.

٣٥- الغروي، علي، التنقيح في شرح العروة الوثقى، دار الهادي للمطبوعات، قم
المقدسة، ط ٣: ١٤١٠ هـ.

٣٦- الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين، المحقق: مهدي المخزومي، إبراهيم
السامرائي، الناشر، دار ومكتبة الهلال.

٣٧- الفيومي، أحمد بن محمد، المصباح المنير، قم، مؤسسة دار الهجرة، ١٤٠٥ هـ.

٣٨- الكركي، علي بن حسين، حاشية إرشاد الأذهان، تحقيق علي أكبر الغفاري،
ط ٣، ١٣٨٨ هـ، نشر دار الكتب الإسلامية، قم، إيران.

٣٩- الكركي، علي بن حسين، جامع المقاصد، قم، مؤسسة آل البيت لإحياء
التراث، ١٤٠٨ هـ.

٤٠- الكليني، فروع الكافي، تحقيق علي أكبر الغفاري، ط ٣، ١٣٨٨ هـ، نشر دار
الكتب الإسلامية، قم، إيران.

٤١- الكليني، محمد بن يعقوب، أصول الكافي، تحقيق علي أكبر الغفاري، ط ٣،
١٣٨٨ هـ، نشر دار الكتب الإسلامية، قم، إيران.

٤٢- المجلسي، روضة المتقين، ط ٣، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

٤٣- المجلسي، محمد باقر بن محمد تقي (ت: ١١١١ هـ)، بحار الأنوار، ط ٢، نشر
دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

٤٤- المجلسي، محمد باقر، مرآة العقول، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت،

لبنان.

٤٥- المجلسي، محمد باقر، ملاذ الأخيار، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت،

لبنان.

٤٦- المرتضى، علي بن الحسين، علم الهدى (ت: ٤٣٦هـ)، الانتصار، تحقيق محمد

رضا الخرسان، نشر منشورات الرضي، قم، إيران.

٤٧- النجفي، محمد حسن الجواهري (ت: ١٢٦٦هـ)، جواهر الكلام، ط ١،

مؤسسة النشر الإسلامي، قم، إيران.

٤٨- النراقي، أحمد بن محمد مهدي، مستند الشيعة، تحقيق مؤسسة آل البيت

لإحياء التراث، مشهد، ط ١، ١٤١٥ هـ، مطبعة ستارة.

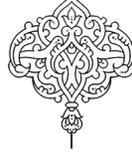
٤٩- الوهاب، حسين بن عبد، عيون المعجزات، منشورات المطبعة الحيدرية،

النجف، ١٣٦٩ هـ، ١٩٥٠ م.



البحوث الرجالية والحديثية





البحث الأول

دراسة التصنيفات المختلفة للأحاديث حول

علامات ظهور الإمام المهدي عليه السلام

السيد ضياء الدين عليان

أستاذ مشارك، قسم دراسات القرآن والحديث

جامعة حضرت معصومة، قم، إيران.



الملخص:

رويت العديد من الأحاديث عن الأئمة المعصومين عليهم السلام حول علامات ظهور الإمام المهدي عليه السلام. ويمكن تصنيف هذه الأحاديث بطرق مختلفة. حيث هدفت هذه الدراسة إلى تحليل التصنيفات التي يمكن أن تُدرج فيها هذه الروايات. وُجمعت البيانات من خلال البحث المكتبي وتم تحليلها بشكل وصفي وتحليلي. ونتج عن التحليل تحديد الأنواع التالية من التصنيفات للأحاديث:

١. من حيث سندها ومتنها.
 ٢. من حيث استمراريتها وعدم استمراريتها.
 ٣. من حيث نوع الأحداث.
 ٤. من حيث دور الإرادة البشرية في تشكيل العلامات.
 ٥. من حيث الزمان.
 ٦. من حيث كونها مكتومة (ظاهرة) أو غير مكتومة (غير ظاهرة).
 ٧. من حيث درجة اليقين بها.
 ٨. من حيث أهميتها.
- كل تصنيف له وظيفته الخاصة ويتم اقتراحه من وجهة نظر محددة.
الكلمات المفتاحية: علامات الظهور، الروايات، التصنيف.

- 21.Saduq. M. (1977). Al-Tawhid. Qom: Jami'i-i mudarrisin.
- 22.Surur, I. (2011). Musu'ih 'alamat al-zuhur. Beirut: Dar al-Muttaqin.
- 23.Tabarsi, F. (1996). 'Ilam al-wara bi 'Ilam al-huda. Qom: Al al-Bayt institute.
- 24.Tabataba'i. M. (1996). Al-Mizan fi tafsir al-Qur'an. Qom: Intisharat-i Islami-i Jami'i mudarrisin.
- 25.Tahiri. H. (2001). Sima-i Aftab. Qom: Za'ir.
- 26.Tusi. M. (1990). Al-Ghayba.Qom: Dar al-Ma'arif
- 27.Yazdi Ha'iri, 'A. (2001). Ilzam al-nasib fi ithbat al-Hujja al-Gha'ib (A.S.). Beirut: al-A'lami institute.

wal-mu'jizat. Beirut: A'lami publication.

11. Ibn Tawous, A. (1988). 'Iqbal al-a'mal. Tehran: Dar al-kutub al-Islamiya.
12. Ja'fari, A. (2009). Sabil al-khalas. Beirut: Dar al-muttaqin.
13. Kulayni, M. (1986). Al-Kafi. Tehran: Dar al-kutub al-Islamiya.
14. Majlisi, M. (1982). Bihar al-anwar al-jami'i li Durar al-Akhbar-i al-A'imah al-Athar. Beirut: Dar Ihya al-turath al-'Arabi.
15. Majlisi, M. (1983). Mirat al-'uqul fi sharh akhbar Al al-Rasul. Tehran: Dar al-kutub al-Islamiya.
16. Mazandarani. M. (1962). Shar-i kafi-al'usul wal-ruwza. Tehran: al-maktaba al-Islamiya.
17. Mufid, M. (1992). Al-Irshad fi ma'rifa Hujaj Allah ala al-'ibad. Mufid onference. (1st Ed.). Qom: Al al-Bayt institute.
18. Nu'mani, M. (1976). Al-Ghayba. Tehran: Saduq publication.
19. Rawandi, Q. (1088). Al-khara'ij wal-jara'ih. Qom: al-Imam al-Mahdi institute.
20. Saduq M. (1975). Kamal al-din wa tamam al-ni'ma. Tehran: Islamiya.

References

1. Arbali, A. (1961). Kashf al-ghimhe'i fi ma'rifa al-A'imah. Tabriz: Bani Hashemi.
2. 'Ayyashi. M. (nd.). tafsir al-'Ayyashi. (Hashim Rasuli Mahallati, researcher). Tehran: al-maktaba al-'ilmiya al-islamiya.
3. Bahrani Isfahani, 'A. (1992). 'Awalim al-ulum wal-ma'arif wal-ahwal min ayat wal-akhbar wal-aqwal. Qom: al-Imam al-Mahdi institute.
4. Bahrani, H. (1995). Al-burhan fi tafsir al-Quran. Qom: Bi'tha institute.
5. Feiz-i Kashani, M. (1985). Al-Wafi. Isfahan: Imam Amir al-mu'menin 'Ali (A.S.) library.
6. Fital Neishaburi, M. (1996). Rawza al-wa'zin wa basira al-muti'azin. Qom: Razi publication.
7. Hasani. N. (2003). Al-Muslih al-'alimi min al-nazaria ila al-tatbiq. Al-Kuthar institute.
8. Hurr Ameli, M. (1983). Al-Iqaz min al-hij'ih bi al-burhan 'ala al-rij'a. Tehran: Nawid publication.
9. Hurr Ameli, M. (1988). Tafsil wasa'il al-Shi'a ila tehsil masa'il al-shari'a. Qom: Al al-bayt (A.S.) institute.
10. Hurr Ameli, M. (2004). Ithbat al-huda bi al-nusus

These are the signs which have not proved to belong to the first group (the promised signs) or the second one (definite signs). This group is subject to *Badā'* and can be changed.

However, it must be said that the signs of the advent are classified as definite and indefinite, while Imam's (A.S.) very advent and Uprising are not signs to be divided into definite and conditioned. It may be said that Ja'far Murtaza meant to classify the signs of the apocalypse.

Conclusion

The analysis indicated that the hadiths on the signs of Imam Mahdi's (A.S.) advent can be classified in various forms, one of which being the classification based on the chain of transmission and content. Another classification is based on the signs' continuity and discontinuity of the hadith. They can also sometimes be categorized according to the type of event. The other possible classification is done in terms of Humans' will, i.e., the affairs in the occurrence of which humans have no role such as the loud cry in the sky, as well as those in the occurrence of which human will is involved such as usury and the conflict between people. Yet, hadiths can be grouped based on time. The other classification that was done by 'Allamah Sha'rani and some scholars is the appetency of the signs. Definiteness and indefiniteness of the signs also is another criterion for classification. Finally, the hadith can be grouped according to their importance.

the promise was bound to be fulfilled";⁽¹⁾ second, establishment of the universal Islamic government to be led by Imam Mahdi (A.S.), which is based the verse " Allah has promised those of you who have faith and do righteous deeds that He will surely make them successors in the earth, just as He made those who were before them successors, and He will surely establish for them their religion which He has approved for them, and that He will surely change their state to security after their fear, while they worship Me, not ascribing any partners to Me. Whoever is ungrateful after that—it is they who are the transgressors."⁽²⁾

2. The definite signs

These will happen in the years approaching the advent, such as the rising of Sufyani, al-Khasf bi-l-Bayda' (Earth swallowing [Sufyani's Army] in the land of Bayda), murder of al-Nafs al-Zakiyya (the purified soul), etc. Based on Dawud bn Abi al-Qasim, some scholars⁽³⁾ consider Badā' permissible. However, this hadith has a weak chain of transmission and is not taken into account.

3. conditioned signs

(1) Al-Isrā': 5

(2) An-nur: 55.

(3) E.g., Nu'mani, (1976). Al-Ghayba. p. 302; Majlisi, (1982). Bihar al-anwar al-jami'i li Durar al-Akhbar-i al-A'imah al-Athar, v. 52, p. 250; Hurr Ameli, M. (2004). Ithbat al-huda bi al-nusus wal-mu'jizat. v. 5, p. 369.

iths? Or does it refer to the signs which are considered certain because of their frequency in hadiths such that it is believed to be the sign of Advent, like the spread of oppression and corruption? Or yet, is it a sign which will doubtlessly happen? Or is it a sign that the time and place it is specified?

In the present article, we take the first definition as the meaning of the definite, i.e., the signs that have been interpreted as definite or so in hadiths. However, the discussion of the possibility of Badā' (alteration in the divine will) in the case of the definite signs is beyond the scope of the present study.

Classification based on their importance

Ja'far Murtaza Amuli classifies the signs into three groups based on their importance:

1. The promised signs

These signs cannot be changed, advanced, or delayed since they are the Divine promises: "Indeed Allah does not break His promise."⁽¹⁾ The most obvious signs of the advent are two events. First, the establishment of the pioneering government that paves the way for Imam Mahdi's (A.S.) advent as implied in the following verse: "So when the first occasion of the two [prophecies] came, We aroused against you Our servants possessing great might, and they ransacked [your] habitations, and

(1) Ar-Ra'd: 31

this group of the hadiths with the first group, we can apparently say that by conditioned signs, the narrators mean the indefinite signs since in the first group, conditioned signs are used against the definite signs and in the second category, the indefinite signs are compared with the definite ones.

3. Classification of the term into definite and conditioned Hamran's narration from Imam Baqir (A.S.)

Hamran bn A'in narrated from Imam Baqir (A.S.) that "There are two terms: the definite term and conditioned term. Hamran asks: what do you mean by definite?" Imam (A.S.) replies: "Definite is everything which God set as destined." Hamran hopes the rising of Sufyani to be conditioned. Imam says: "No, I swear to God, Sufyani is definite and inevitable."⁽¹⁾ In addition, Mus'ida bn Sadada narrates from Imam Sadiq (A.S.) in interpreting " then ordained the term [of your life]—the specified term is with Him..."⁽²⁾ that "the unspecified term is the conditioned one which is advanced or delayed by God. On the other hand, the specified term is realized at the set time- without any delay or advancement."⁽³⁾

In short, what do we mean by definite? Does it refer to the signs which have been interpreted as definite or so in had-

(1) Kulayni, (1986). Al-Kafi. v. 1, p. 147.

(2) Al-An'am: 2

(3) 'Ayyashi. M. (nd.). tafsir al-'Ayyashi. V. 1, p. 354.

conditioned and some are definite. The rising of Sufyani is definite."⁽¹⁾

Ayyashi and Bahrani⁽²⁾ narrate from Imam Baqir (A.S.) that "Imam Baqir (A.S.) states that among the events, some are definite which will inevitably happen. Among the events, some are conditioned and their occurrence is subject to God. They can be advanced, removed, or set by God's will. Nobody is aware of this (the latter). So, what has been brought by His prophets will occur. He doesn't deny Himself, His prophet, nor His angels."

Both hadiths divide the events into definite and conditioned. In the former, the events refer to the signs of the Imam's (A.S.) advent, while the latter refers to the general events and includes all events.

2. Classification of the events into definite and indefinite

Mu'ala bn Khanis quotes from Imam Sadiq (A.S.) that "some events are definite and some are indefinite, but rising of Sufyani is definite and will happen in Rajab."⁽³⁾ Comparing

(1) Nu'mani, (1976). Al-Ghayba. p. 301; Majlisi, (1982). Bihar al-anwar al-jami'i li Durar al-Akhbar-i al-A'imah al-Athar. v. 52, p. 249.

(2) 'Ayyashi, (nd.). tafsir al-'Ayyashi. v. 2, p. 217 and Bahrani Isfahani, (1992). 'Awalim al-ulum wal-ma'arif wal-ahwal min ayat wal-akhbar wal-aqwal. v. 3, p. 268.

(3) Nu'mani, (1976). Al-Ghayba. p. 300; Majlisi, (1982). Bihar al-anwar al-jami'i li Durar al-Akhbar-i al-A'imah al-Athar. v. 52, p. 249.

pretation as ""this is a definite event which is inevitable".⁽¹⁾

That's why when the narrator asked Imam Baqir (A.S.) the meaning of "*Mahtum*" (definite), Imam replied: "something other than which cannot happen". The word "*Mahtum*" (definite) has been mentioned in 16 hadiths. In five cases, the word occurs along with "*La yakunu ghayru*" (which is inevitable). In one case, the word "*Hatm*" (necessary) is used.

Indefinite signs: some events are considered the signs of Imam Mahdi's (A.S.) advent; however, their occurrence is not definite and inevitable. They may change or not happen at all. Accordingly, some hadiths refer to them as conditioned signs. These events are different and numerous and can be found in various forms in different sources.

Narratives dividing the signs into definite and indefinite contain the following interpretations:

1. Classification of the events into definite and conditioned.

For example Fazil bn yasar: "Among the events, some are

(1) Tusi. (1990). *Al-Ghayba*. p. 450; Hurr Ameli, (2004). *Ithbat al-huda bi al-nusus wal-mu'jizat*. v. 3, p. 728; Majlisi, (1982). *Bihar al-anwar al-jami'i li Durar al-Akhbar-i al-A'imah al-Athar*, v. 52, p. 214; Mufid, (1992). *Al-Irshad fi ma'rifa Hujaj Allah ala al-'ibad*. p. 360; Arbali, (1961). *Kashf al-ghimhe'i fi ma'rifa al-A'imah*. v. 2, p. 461; Tabarsi, (1996). *'Ilam al-wara bi 'Ilam al-huda*. V. 5, p. 429.

Classification based on their certainty

The most important classification of the events occurring before Imam Mahdi's (A.S.) Advent is categorizing them into the definite and indefinite ones. This classification was first presented in a hadith by Imam Baqir (A.S.): "among the events, some are conditioned and some are definite. The rising of Sufyani is definite."⁽¹⁾ Similarly, Imam Sadiq (A.S.) is quoted that "some events are definite and some others are indefinite. Among the definite ones is the rising of Sufyani in Rajab."⁽²⁾

Accordingly, there are some categories of the events occurring before Imam Mahdi's (A.S.) advent:

Definite signs which are going to happen before Imam's (A.S.) uprising and are inevitable. "he told: I hope the rising of Sufyani is not inevitable. He told: I swear to God, it is definite and inevitable."⁽³⁾ Some scholars also have focused on its inter-

(1) Nu'mani, (1976). Al-Ghayba. p. 301; Majlisi, (1982). Bihar al-anwar al-jami'i li Durar al-Akhbar-i al-A'imah al-Athar. v. 52, p. 249; 'Ayyashi, (nd.). tafsir al-'Ayyashi. v. 2, p. 64, verse 32; Bahrani Isfahani, (1992). 'Awalim al-ulum wal-ma'arif wal-ahwal min ayat wal-akhbar wal-aqwal. p. 268.

(2) Nu'mani, (1976). Al-Ghayba..p. 300; Hurr Ameli, M. (2004). Ithbat al-huda bi al-nusus wal-mu'jizat. v. 5, pp. 353, 363.

(3) Nu'mani, (1976). Al-Ghayba. p. 301; Majlisi, (1982). Bihar al-anwar al-jami'i li Durar al-Akhbar-i al-A'imah al-Athar. v. 52, p. 249; Hurr Ameli, (2004). Ithbat al-huda bi al-nusus wal-mu'jizat. v. 5, p. 363.

ing?"⁽¹⁾

Muhammad bn Muhammad Mufid states that "Some of these events are inevitable and some are conditioned".⁽²⁾ Similarly, Ali bn 'Isa Arbali argues that "Some of these events are inevitable and some are conditioned".⁽³⁾ Fital Neishabouri also has used indefinite and conditioned pair.⁽⁴⁾

This classification seems to be based on Imam Baqir's (A.S.) hadith who divided it into definite and conditioned. Nu'mani's last statement in the chapter of the Signs of the advent shows that he considered them conditioned signs. According to Habib-Allah Taheri,⁽⁵⁾ the definite signs are free of any conditions and must occur before Imam's (A.S.) advent, while the indefinite signs are conditioned on a term that is not definite sign of the advent; rather, if the condition is not fulfilled, it cannot be realized. This sign has expediently considered as a sign of the advent.

(1) Tabataba'i. (1996). Al-Mizan fi tafsir al-Qur'an. v. 11, p. 38.

(2) Mufid, (1992). Al-Irshad fi ma'rifa Hujaj Allah ala al-'ibad. v. 2, p. 370.

(3) Arbali, (1961). Kashf al-ghimhe'i fi ma'rifa al-A'imah. v. 2, p. 458)

(4) Fital Neishaburi, (1996). Rawza al-wa'zin wa basira al-muti'azin. v. 2, p. 264.

(5) Tahiri, (2001). Sima-i Aftab. p. 270.

To criticize this view, it can be said that according, no one must be aware of indefinite affair since God has not informed His angels and those close to Him about them, whereas the definite ones have been narrated in hadiths.

Mulla Sahih Mazandarani classifies God's knowledge into three types: 1. the one is only known by God, of which nobody is aware of; 2. The Divine definite knowledge that was revealed to His prophets and messengers and is not changeable or reversible; 3. the indefinite knowledge that can be altered in the divine will.⁽¹⁾ Accordingly, a third meaning is inferred based on which, some affairs are inevitable revealed by God and some revelation of which is not necessary.

Nazir⁽²⁾ claims that "Sayyid Muhammad Hussain Tabataba'i also considers this meaning, saying "definite and unchangeable divine decree and stop trying and acting" while Allameh said this to reject the illusion of questioner of the Infallible since he states "should we rely on God and His written definite and unchangeable divine decree and stop trying and act-

(1) Mazandarani. (1962). Shar-i kafi-al'usul wal-ruwza. v. 6, p. 19.

(2) Hasani. (2003). Al-Muslih al-'alimi min al-nazaria ila al-tatbiq.

there is no non-apparent knowledge, whether definite or indefinite."⁽¹⁾ There is also a narrative confirming this, which reads: "al-Reza said.... O Solomon! For the Almighty God, some affairs are conditioned and can be advanced or delayed by His will. O Solomon! Ali (A.S.) said: "knowledge is of two kinds. First, the one which God taught to His Messengers and angles, which will be realized since God does not deny Himself, His Messengers, and His angles. Second, the one which is kept before God. No creature of Him is aware of it. He will advance, delay, remove or stable whichever He wants."⁽²⁾ Narrating from Imam Sadiq (A.S.) in interpretation of the verse " then ordained the term [of your life]—the specified term is with Him" (6: 2), Hasani says: "the first term is the one revealed to the angels, prophets, and messengers, while the specified term is kept non-apparent from all creatures."⁽³⁾ This can also confirm the above view.

According to this view, the affairs which God makes His angels and those close to Him aware of are definite.

(1) Nu'mani, (1976). Al-Ghayba. p. 301.

(2) Saduq, (1977). Al-Tawhid. p. 123.

(3) 'Ayyashi. (nd.). tafsir al-'Ayyashi. v. 1, p. 355.

be realized by God in their due time and will never be disappeared are considered definite. The indefinite affairs refer to the ones the certainty of their occurrence depends on God's will and providence, which will occur in their own time.⁽¹⁾ In other words, in first case, God wants them to basically happen in a certain time. However, the occurrence of the second group in their own time is subject to the Divine providence. This may be understood from the hadith which Hamran bn A'in narrated from Imam Baqir (A.S.).⁽²⁾

Criticizing this view, Sha'rani argues that it is better to divide the affairs in to apparent and non-apparent.⁽³⁾

3. Apparent and non-apparent signs: sing Imam Baqir's (A.S.) hadith, Nazir Yahya Hasani⁽⁴⁾ divided the signs into apparent and non-apparent. "Since God knows something, but He does want to reveal them to angels and those close to Him, tough those are bound to occur. In addition, there some knowledge which God has revealed to those close to Him. For God,

(1) Hasani. (2003). Al-Muslih al-'alimi min al-nazaria ila al-tatbiq. p. 189.

(2) Nu'mani, M. (1976). Al-Ghayba. p. 301.

(3) Hasani. (2003). Al-Muslih al-'alimi min al-nazaria ila al-tatbiq. p. 189 (quoting Sha'rani)

(4) Hasani. (2003). Al-Muslih al-'alimi min al-nazaria ila al-tatbiq.

author implies that his criterion in dividing the signs in to definite and indefinite was the possibility of *Badā'* (alteration in the divine will). This classification of the signs into general signs of the middle Islamic period and the signs occurring years close to the advent is ambiguous. It is not clear that which years are considered as middle Islamic period since Imam Mahdi's (A.S.) advent may happen thousands of years later. Thus, classification of the signs based on time is subjective, not based on the narratives. Proponents of this view didn't present any evidence for their classification method.

Classification of the signs into Maktūm (apparent) and Ghair-i Maktūm (none-apparent)

Perhaps one of the factors leading to the differentiation of the classifications is scholars' differing interpretations of hadiths, who divide the signs into definite and indefinite. There are different views on *Mahtum* (definite) and *Muqūf* (conditioned) events mentioned in hadiths:

1. The definite events are those happened in the past. Conditioned events are those that will happen in the future.⁽¹⁾
2. The affair the certainty of their occurrence is confirmed by God before their occurrence and which will

(1) Ja'fari, (2009). Sabil al-khalas. p. 159.

groups:

General signs that are about the deviations of middle Islamic period and so causing the corruption of the human society. These are not the signs of the advent and may occur years before the advent.

The signs that will occur the year approaching the advent, but do not indicate the possibility of occurrence of the advent in the same very year; rather they indicate the occurrence of *malāḥim* and *fitan* (fierce battles and trials) that happened long before the issuance of these hadiths.

The signs talking about the year of Imam Mahdi's (A.S.) advent or the year before that are classified into two categories:

1. Indefinite signs the occurrence of which is not evitable, rather they may or may not occur.
2. Definite signs that are unquestionable and inevitable.⁽¹⁾

According to this view, there is a big difference between the signs of advent and *malāḥim* and *fitan*. Signs only refer to the events occurring on the verge of the advent.

In *Sabil al-khalas*, the same view is presented. The author classifies the special signs in to definite and indefinite.⁽²⁾ The

(1) Surur, (2011). Musu'ih 'alamat al-zuhur. p. 179.

(2) Ja'fari, (2009). Sabil al-khalas. p. 159.

However, the traditional signs of the advent are changeable due to their origin. It is likely that these signs do not realized, as the signs were revealed for Hazrat-i Yunus' (A.S.) people, but no calamity was sent to them.⁽¹⁾

3. The traditional signs of the advent can also be the cause of the advent and lead to the fall or rise of the society. The fate of Thamud, Lut, 'Ad, and Noah nation show that oppression is both the cause and sign of the descent of torment. However, the unseen signs of the advent, particularly the definite ones, are not the cause of advent, though are the signs of its occurrence (adopted from Mustafa Sadeqi's (A.S.) article published in ww.futureisbright.net.)

It seems that some of the conditions of the advent, which have causal relationship with the advent itself, has integrated in this view since the causes of the advent are in causative stage, while the signs are only related to discovery aspect and are sometimes occur simultaneously with the occurrence of the advent, and are not the causes of the advent itself.

Classification based on Time

Some scholars divide the signs of the advent into three

jami'i li Durar al-Akhbar-i al-A'imah al-Athar. v. 52, p. 204.

(1) Al-Araf: 84

deniers",⁽¹⁾ and "the guilty!"⁽²⁾

Therefore, any nation engaged in corruption will face Divine punishment. The signs of advent which indicate the occurrence of social corruption, troubles, wars, and earthly and heavenly disasters are derived from historical traditions that are general and have several examples.

2. The unseen signs of the advent are *Mahtum* (definite) and unchangeable. There are five hadiths referring to them as "*Mahtum la budun Minh*" (evidently definite): "it is evidently definite";⁽³⁾ "this is a definite event which is inevitable";⁽⁴⁾ "Sufyani will definitely rise in Rajab".⁽⁵⁾

(1) Al Imran: 137, Al-An'am: 11

(2) Al-Araf: 84

(3) Nu'mani, (1976). Al-Ghayba. p. 301; Majlisi, (1982). Bihar al-anwar al-jami'i li Durar al-Akhbar-i al-A'imah al-Athar. v. 52, p. 249; Tabarsi, (1996). 'Ilam al-wara bi 'Ilam al-huda. V. 5, pp. 363, 269.

(4) Tusi. (1990). Al-Ghayba. p. 450; Hurr Ameli, (2004). Ithbat al-huda bi al-nusus wal-mu'jizat. v. 3, p. 728; Majlisi, (1982). Bihar al-anwar al-jami'i li Durar al-Akhbar-i al-A'imah al-Athar. v. 52, p. 214; Mufid, (1992). Al-Irshad fi ma'rifa Hujaj Allah ala al-'ibad. p. 360; Arbali, (1961). Kashf al-ghimhe'i fi ma'rifa al-A'imah. v. 2, p. 461; Tabarsi, (1996). 'Ilam al-wara bi 'Ilam al-huda. v. 5, p. 429.

(5) Nu'mani, (1976). Al-Ghayba. p. 300; Saduq (1975). Kamal al-din wa tamam al-ni'ma v. 2, pp. 650, 652; Majlisi, (1982). Bihar al-anwar al-

Army] in the land of Bayda).

Third, the signs indicating unusual and supernatural events such as Shriek (loud cry) in the sky.

What the three have in common is their definite connection to the time of Imam Mahdi's (A.S.) Advent. Although the time of Imam Mahdi's (A.S.) Advent is unspecified, the time interval between each of these events and the time of advent is quite clear,⁽¹⁾ though some of these hadiths' chain of transmissions and content are problematic.

Differences between the (indefinite) traditional signs and (definite) unseen signs of the advent

1. The traditional signs of the advent are general and have a large number of examples. One of these historical traditions mentioned in the Qur'an is the occurrence of disaster and torment due to oppression: "observe how the fate of the agents of corruption was",⁽²⁾ "the

(1) Mufid, (1992). Al-Irshad fi ma'rifa Hujaj Allah ala al-'ibad. v. 2, p. 375; Tusi. (1990). Al-Ghayba. p. 447; Tabarsi, (1996). 'Ilam al-wara bi 'Ilam al-huda. V. 2, p. 284; Rawandi, (1088). Al-khara'ij wal-jara'ih p. 1163; Arbali, (1961). Kashf al-ghimhe'i fi ma'rifa al-A'imah. v. 2, p. 460; Majlisi, (1982). Bihar al-anwar al-jami'i li Durar al-Akhbar-i al-A'imah al-Athar. v. 52, p. 210; Yazdi Ha'iri, (2001). Ilzam al-nasib fi ithbat al-Hujja al-Gha'ib (A.S.). v. 2, p. 122)

(2) Al-A'raf:86, 103.

implicitly points to the Divine *Sunna* and subversion of every nation and ruling- which one of the traditions of the history- and predict the future of such ruling. However, this does not render the advance, delay, or reversion of future events impossible. That's why Imam (A.S.) uses "*iser*"(easier) instead of "*mahal*" (impossible) since one of the Divine Sunan is that the destiny of no people is changed unless they change themselves: "Indeed Allah does not change a people's lot unless they change what is in their souls."⁽¹⁾ "Unseen signs of the advent" have nothing to do with historical traditions. They result from the knowledge of the unseen and present a general perspective on the destiny of the human and future nations, just as the traditional signs of the advent do. Accordingly, these types come to the same results, though having different origins.

The unseen signs of the advent- which are considered definite- are three kinds:

First, the signs indicating the emergence of such people as Sufyani, Yamani, and the murder of al-Nafs al-Zakiyya (the purified soul).

Second, the signs indicting the occurrence of natural disasters such as al-Khasf bi-l-Bayda' (Earth swallowing [Sufyani's

al-'uqul fi sharh akhbar Al al-Rasul. v. 26, P. 281; Majlisi, (1982). Bihar al-anwar al-jami'i li Durar al-Akhbar-i al-A'imah al-Athar, v. 47, p. 297.

(1) Ar-Ra'd:11

the advent). Some of such signs include the conflict among the people, the abundance of usury, decreasing benefits, increasing corruption, and unbridled Arabs.

Here, two points should be kept in mind. First, the inherent possibility of prediction is different from the occurring possibility. These kinds of predictions are not definite, just like their origin-i.e., historical traditions. There can be advanced, delayed, or reversed as a result of human will and power. However, this doesn't mean maximal specification. As the historical traditions are general, the signs derived from them are also general. For example, the hadith transmitted by Fazl Katib can be evidence of the existence of the traditional signs of Imam Mahdi's (A.S.) Advent: " he said: ... O Fazl! God does not hasten because of His servants' haste. Verily, it is easier to move a mountain from its place is much easier than the subversion of a ruling that has not come to its end."⁽¹⁾ "Then he said: son of so and so who was the son of so and so and the list goes on to reach the seventh son of so and so..."⁽²⁾ According to this hadith, Imam Sadiq (A.S.)

(1) Kulayni, (1986). Al-Kafi.vv. 7, 15, pp. 274, 623; 5.Feiz-i Kashani, (1985).Al-Wafi. v. 2, p. 462; Hurr Ameli, (1988). Tafsil wasa'il al-Shi'a ila tehsil masa'il al-shari'a. v. 15, P. 52; Majlisi, (1983). Mirat al-'uqul fi sharh akhbar Al al-Rasul. v. 26, P, 281; Majlisi, (1982). Bihar al-anwar al-jami'i li Durar al-Akhbar-i al-A'imah al-Athar. v. 47, p. 297; 3. Bahrani Isfahani, (1992). 'Awalim al-ulum wal-ma'arif wal-ahwal min ayat wal-akhbar wal-aqwal. v. 20, p. 393.

(2) Kulayni, (1986). Al-Kafi.V. 8, 15, pp. 274, 623; Majlisi, (1983). Mirat

people from Abu Tahib descendants,⁽¹⁾ religious factionalism, and ...

5. The appearance of such people as Khurasani, Hasani, Maghrebi, etc.⁽²⁾

Classification based on Human will in the formation of the signs

Signs of Imam Mahdi's (A.S.) Advent are divided into two groups in terms of the role of human will in their formation:

1. Events in the occurrence of which human will plays no role, such as shriek (loud cry) in the sky which is beyond human power and cannot be predicted. They can only be predicted by the knowledge of the unseen. These signs are most appropriately called as "al-'ala'im al-Zuhur al-gheybi" (unseen signs of the advent).
2. The general events in the occurrence of which human will and act play a role and are the result of historical traditions. These are predictable and can be called "al-'ala'im al-Zuhur al-sunnati" (traditional signs of

370; Arbali, (1961). *Kashf al-ghimhe'i fi ma'rifa al-A'imah*. v. 2, p. 457.

(1) Hurr Ameli, M. (2004). *Ithbat al-huda bi al-nusus wal-mu'jizat*. V. 5, p. 370; Arbali, (1961). *Kashf al-ghimhe'i fi ma'rifa al-A'imah*. v. 2, p. 457.

(2) Nu'mani, (1976). *Al-Ghayba*. p. 290; Majlisi, (1982). *Bihar al-anwar al-jami'i li Durar al-Akhbar-i al-A'imah al-Athar*. v. 52, p. 119.

- sets, decreasing profits,⁽¹⁾ and prevalence of usury.⁽²⁾
2. Political events such as Turks and Romans' settlement in the island and Ramleh, respectively,⁽³⁾ the arrival of the black flags from Khurasan,⁽⁴⁾ unbri-dled Arabs, and the conflict between three flags in Syria and ...⁽⁵⁾
 3. Natural disasters like earthquakes,⁽⁶⁾ solar and lunar eclipse,⁽⁷⁾ flooding of the Euphrates River.⁽⁸⁾
 4. Religious events such as the appended of 60 claim-ants of Prophecy,⁽⁹⁾ the claim of *Imamate* by 12

(1) Arbali, (1961). *Kashf al-ghimhe'i fi ma'rifa al-A'imah*. v. 2, p. 457.

(2) Rawandi, (1088). *Al-khara'ij wal-jara'ih*. v. 3, p. 1133).

(3) (Arbali, (1961). *Kashf al-ghimhe'i fi ma'rifa al-A'imah*. v. 2, p. 457.

(4) Fital Neishaburi, (1996). *Rawza al-wa'zin wa basira al-muti'azin*. v. 2, p. 262; Hurr Ameli, (1988). *Tafsil wasa'il al-Shi'a ila tehsil masa'il al-shari'a*.

(5) Fital Neishaburi, (1996). *Rawza al-wa'zin wa basira al-muti'azin*. v. 2, p. 262.

(6) Fital Neishaburi, M. (1996). *Rawza al-wa'zin wa basira al-muti'azin*. v. 2, p. 484; Hurr Ameli, (1988). *Tafsil wasa'il al-Shi'a ila tehsil masa'il al-shari'a*. v. 7, p. 457; Majlisi, (1982). *Bihar al-anwar al-jami'i li Durar al-Akhbar-i al-A'imah al-Athar*. v. 88, p. 147 & v. 88, p. 156,

(7) Arbali, (1961). *Kashf al-ghimhe'i fi ma'rifa al-A'imah*. v. 2, p. 457.

(8) Arbali, (1961). *Kashf al-ghimhe'i fi ma'rifa al-A'imah*. v. 2, p. 457.

(9) Hurr Ameli, (2004). *Ithbat al-huda bi al-nusus wal-mu'jizat*. v. 5, p.

Classification based on their Continuity and discontinuity

The signs of Imam Mahdi's (A.S.) advent are divided into connected and disconnected ones in terms of their continuity and discontinuity. The connected signs are the signs occurring at the very time of his advent, including the descent of Jesus and the coincidence of Imam Mahdi's (A.S.) Advent with Muharram, or Saturday and Ashura (10th of Muharram, the day of mourning the martyrdom of Imam Hussain and his supporters).

The disconnected signs of the advent are divided into three categories:

1. Extraordinary signs: the solar eclipse in Ramadan.
2. Signs related to the situation of the societies in general: oppressive rulers, increasing corruption, and so forth.
3. Signs related to leaders of the right and the wrong: Sufyani, Yamani, khurasani.

Classification based on the type of events

The events occurring before Imam Mahdi's (A.S.) Advent are five types:

1. Social and economic events such as decreasing as-

Different categorizations of the signs of Imam Mahdi's (A.S.) Advent.

Various classifications have been presented in explaining the signs of Imam Mahdi's (A.S.) Advent. Some were derived from hadiths. Some are classified based on reason. Some others are categorized conventionally. Yet, other classifications are based on personal, perhaps irrational, *istihsan* (discretion). There will occur a large number of events before Imam Mahdi's (A.S.) uprising, some of which are generally, perhaps mistakenly, considered as the signs of his advent. These signs have been classified in different ways, some of which are as follows:

Classification based on the chain of transmission and content

Habib-Allah Taheri has classified the signs of advent into 5 categories: unreliable single narratives (reported only by one source) from unknown individuals, narratives dividing the signs into definite and none-definite, narratives linking the signs to the advent, narratives not mentioning such a connection. The extraordinary signs and the miracles, narrative containing unusual signs such as the sun rising from the West.⁽¹⁾ This classification is not logical and based on a single criterion, rather is subjective.

(1) Tahiri. Sima-i Aftab.

- The signs of advent in Quran verses.⁽¹⁾
- The semiotics of the advent (signs and conditions of advent and intrigues of Apocalypse) and the world after the advent.⁽²⁾
- Hadithology: A reflection on the hadiths on the signs of advent.⁽³⁾
- The signs of advent from the popular commentators' viewpoints.⁽⁴⁾

Obviously, none of the given authors attempted to classify the hadith on the signs of Imam Mahdi's (A.S.) Advent. Thus, the present study seems to be the first of its kind.

of advent in al-Ghaibah by Shaykh Tusi. International conference on Doctrine of Mahdaviat. 12. 272292-.

- (1) Khirallahi, Z. & Musavi, F. (2014). The signs of advent in Quran verses. Bayyinat, 82240-229, 83/.
- (2) Yadallah Panbeh-zari, Z. (2016). The semiotics of the advent (signs and conditions of advent and intrigues of Apocalypse) and the world after the advent. International Conference on Doctrine of Mahdaviat. 12. 55129-.
- (3) Sadeqi, M. (2003). Hadithology: A reflection on the hadiths on the signs of advent. Entizar-i Zuhur, 3(8334-317), 9/.
- (4) Varmarzyar, M. & Pur Sayyid Aqaie, M. (2015). The signs of advent from the popular commentators' viewpoints. Pazuheshhaie Mahdavi, 4(14), 127159-.

- Historical analysis of the hadiths about the signs of the advent.⁽¹⁾
- The Signs of Advent, Khazra' Island or Bermuda Triangle?⁽²⁾
- The relationship between Bani 'Abbas and the signs of the advent.⁽³⁾
- History: historical traditions and the signs of Advent.⁽⁴⁾
- Expressing the signs of Imam Mahdi's (A.S.) advent.⁽⁵⁾
- Identifying the sources of the hadiths on the signs of advent in al-Ghaibah by Shaykh Tusi.⁽⁶⁾

(1) Hussaini, B. Bakhtiari, A., & Izadi, T. (2018). Historical analysis of the hadiths about the signs of the advent. Mashriq-i Mu'ud, 46(1), 137-162.

(2) (1992). The Signs of advent, Khazra' island or Bermuda triangle? Tarbiat, 8(5). 3641-

(3) Hashemi, 'A. (2016). The relationship between Bani 'Abbas and the signs of the advent. International conference on Doctrine of Mahdaviat. 12. 115148-.

(4) Razawi, R. (2006). History: historical traditions and the signs of Advent. Mashriq-i Mu'ud, 1, 7598-.

(5) Khandaq Abadi, J. (nd.)(Expressing the signs of Imam Mahdi's (A.S.) advent. Jame'i Ja'fariyeh, 13, 6971-.

(6) Barari, M. (2016). Identifying the sources of the hadiths on the signs

Introduction

One of the definite promises of God that has been emphasized in Islam is Hazrat-I Mahdi's (A.S.) Advent. According to some narratives, some events will precede this advent, which are known as the signs of his advent. Many books and writings have mentioned some of these signs including 1. The rising of Sufyani, 2. Al-Khasf bi-l-Bayda' (Earth swallowing [Sufyani's Army] in the land of Bayda), 3. The murder of al-Nafs al-Zakiyya (the purified soul), and 4. shriek (loud cry) in the sky.

Signs of Imam Mahdi's (A.S.) advent have been extensively mentioned in hadiths. Ahl al-Bayt (A.S.) spoke about these signs a lot. These narratives can be analyzed and classified differently. The present study sought to answer the following question:

What categories the narratives of the signs of Advent can be classified into?

Literature review

The following writings have been published about the signs of Imam Mahdi's (A.S.) Advent:

- The Mu'ud for whom the world is waiting: part of the signs of the advent of Imam Mahdi (A.S.).⁽¹⁾

(1) Dawani, 'A. (1968). The promised one for whom the world is waiting: part of the signs of advent of Imam Mahdi (A.S.). Journal of Darshaia az Maktab-i Islam, 9(11), 2630-.

Abstract

Ample hadiths have been quoted from the infallible Imams (A.S.) about the signs of Imam Mahdi's (A.S.) Advent. These hadiths can be classified in different ways. The present study aimed to investigate the categories into which these narratives can be classified. The data were collected through library research and were analyzed descriptively and analytically. The analysis led to the following types of classifications of the hadiths: 1. Their chain of transmission and content, 2. Their continuity and discontinuity, 3. Type of events, 4. Human will in the formation of the signs, 5. Time, 6. Being Maktūm (apparent) or Ghair-i Maktūm (non-apparent), 7. Their certainty, 9. Their importance. Each classification has its own function and is proposed from a specific viewpoint.

Keywords: signs of Advent, narratives, classification.



البحث الأول

Examining different
classifications of the hadiths
about the signs of Imam Mahdi's
(A.S.) Advent

Sayyid Ziaoddin Olyanasab

Department of Quran and Hadith
Sciences, hazrat-e Masoumeh
University, Qom, Iran





بحوث الحوزة العلمية
في
سامراء المقدسة





البحث الأول
ملامح حوزة سامراء ومعطياتها

م. قاسم عبد الزهرة حسب
جامعة ميسان - كلية التربية



الملخص:

لا يخفى أنّ لكل مدرسة دينية كانت أم غير دينية، ملامح عامة، وأخرى خاصة، تتميز بهما عن بقية المدارس الأخرى، كما أنّ لها معطياتها وثمراتها التي تعود بهما بالفائدة على المجتمع والبيئة التي تنشأ فيها على وجه الخصوص، وعلى الأمة الإسلامية على وجه العموم. ولم تكن حوزة سامراء الدينية بعيدة عن تلك الأمور، فقد كان لنشأتها عوامل وأسباب وأهداف وغايات وأهمية تنعكس من خلال بيان ملامحها ومعطياتها؛ إذ كان لها من المكانة والأهمية ما يجعلها محل نظر العلماء والباحثين، فقد أصبحت معلم من معالم التراث الإسلامي والحضاري، بعدما شدّ إليه الرحال من أقصى المدن والبلدان، فخرجت كبار العلماء ومراجع الدين، بل وأصبحت منطلق للإصلاح والتغيير، بالإضافة إلى ما تتسم به من سمات أخرى؛ فكانت منطلق لازدهار الحركة العلمية على يد المجدد الكبير محمد حسن الشيرازي الذي انتقل إليها سنة ١٢٩١هـ، ثم توافد إليها طلبته وطلبة العلوم الدينية من مختلف البلدان الإسلامية، وهكذا بقيت تنعم بالازدهار والتقدم إلى سنة (١٣١٢هـ) السنة التي توفي فيها المجدد الكبير، وانتقال المرجعية والزعامة إلى حوزة النجف الأشرف، فبدأ يتضاءل دورها ويطفأ نورها شيئاً فشيئاً.

وقد كان لانتقال الزعامة إليها آنذاك عوامل كثيرة، سيأتي ذكر بعضها في متن البحث هذا لاحقاً، كان من بين أهمها وضوح معالم الحوزة العلمية في هذه المدينة التي احضنت مرقدي الإمامين العسكريين عليهما السلام، ومولد الإمام المهدي عليه السلام، بالإضافة إلى ما نعمت به من الازدهار العمراني والحضاري.

العتبة العسكرية المقدسة في سامراء حاضرة الفكر والتراث (وقائع المؤتمر العلمي الدولي الثالث) / ج ٢

الكلمات المفتاحية: عوامل ازدهارها حوزة سامراء، معطيات حوزة سامراء،
ملاحح حوزة سامراء، نشأة حوزة سامراء.

٢١٤

م. قاسم عبد الزهرة حسب

المقدمة:

من مبادئ وأسس مدرسة أهل البيت عليهم السلام طلب العلم والانفتاح الفكري، فالانفتاح الفكري المتجدد يمنح الحوزة العلمية وطالب الحوزة روحاً جديدة وعقلاً رصيناً، من هنا تنطلق المسيرة العلمية الشاملة في مختلف ميادينها الفكرية والعلمية. فمدرسة أهل البيت عليهم السلام تمتلك من ذوي العلم والحكمة والرؤية الدقيقة والنافذة للأمور، مثل المجدد الشيرازي مؤسس الحوزة العلمية في مدينة تشرفت ذرات تراها عندما واطتتها أقدام أهل البيت عليهم السلام فشح نورها وشمخت قامتها بمحمد وآل محمد (صل الله على محمد وآل محمد). فالبحث يدور حول هذه الشخصية الكبيرة والمجددة عليه السلام والمدينة المقدسة.

فجاء المبحث الأول، أهمية المرجعية ومكانتها على الساحة الإسلامية، والمبحث الثاني - مبادئ الانفتاح في حوزة سامراء، المبحث الثالث - ريجي وداعش.

لهذا المجدد الكبير الشيرازي عليه السلام جعل التجديد الفكري، هو القاعدة والأساس لجميع مفاصل الحوزة العلمية والدينية، لأن الأفكار الصادرة عن الأذهان المتوقدة بضياء منهج أهل البيت عليهم السلام تتجدد في كل زمان ومكان، فيشح نورها ويشمخ بقامته ليكون السد المنيع والصمام الأمين أمام الأفكار والتيارات المنحرفة.

المبحث الأول: أهمية المرجعية ومكانتها على الساحة الإسلامية

مدخل:

٢١٦

تاريخ الحوزة العلمية والمرجعية الدينية حافل بالعطاء العلمي والأخلاقي والسياسي، فالدور العلمي الكبير لفقهاء أهل البيت عليهم السلام وما تضمنه من رؤى فقهية وأفكار عميقة ودراسات ومناهج في التفسير والاجتهاد والتجديد إلى أن أصبح صرحاً علمياً شامخاً في كل زمان ومكان.

وهناك فكرة غُرس في أذهان بعض الناس أنّ دور المرجعية يقتصر على الناحية الفقهية فقط، لكن في الحقيقة إنّ دور المرجعية لم يقتصر على الجانب العلمي والفقهي، بل شمل الجانب الأخلاقي والسياسي والفكري، ويشهد على ذلك التاريخ المُشرف للمرجعية من خلال تصديها للتيارات الفكرية المنحرفة والمعادية للإسلام والتي بثت سمومها في المجتمع الإسلامي. ناهيك عن الجانب الاجتماعي المُشرف الذي قامت به المرجعية، وقد أخذت على عاتقها الاهتمام بمشاكل وهموم المجتمع الإنساني، خصوصاً مرجعية سامراء في ذلك الوقت العصيب، إضافة إلى الأدوار السياسية الشجاعة التي تبنتها اتجاه السلطة الاستعمارية وتحديداً الدول الكبرى آنذاك مثل؛ روسيا القيصرية وبريطانيا المتعالية، في حين أنّ البلاد الإسلامية، كانت تأنّ تحت سطوة هذه الدول الاستعمارية؛ لأنها لا تمتلك انظمة سياسية متماسكة، ولا مرجعية لها القدر على تحريك الشارع الإسلامي ضدّ أعداء الدين من السلطات الحاكمة والدول المستعمرة، في حين المرجع الشيعي يستطيع بكلمة واحدة تحريك الشارع الإسلامي.

فمدرسة أهل البيت عليهم السلام تمتلك من ذوي العلم والحكمة والرؤية الدقيقة والنافذة للأُمور، مثل المجدد الشيرازي، ولعل بعضهم ينسب نفوذ شخصية المرجع الكبير السيد الشيرازي (قدس سره الشريف) من خلال فتوى تحريم التبغ في

إيران، أو ما يسمى "فتوى التباكو"، في الحقيقة هذا غير صحيح، بل العنوان الأبرز لشخصيته (قدس سره الشريف) هي الروح الأبوية الكبيرة التي أسداها لجميع البشر وليس للمسلمين فقط، هذا جانب، والجانب الآخر رؤية الحوزة الحضارية في تعاملها مع الواقع الاجتماعي، فالمرجع الشيرازي عندما أسس الحوزة العلمية في مدينة سمراء هو على علم أن مدينة سامراء ليست مدينة النجف الأشرف، فرغم وجود مرقد إمامين من أئمة أهل البيت عليهم السلام؛ الإمام الهادي، والإمام العسكري، فإن الغالبية من سكان المدينة هم من المدرسة المخالفة فقهيًا لأهل البيت عليهم السلام وكذلك ديانات أخرى. والجانب الثالث إنسانية هذا المرجع الكبير وسوف نتكلم عن ذلك إن شاء الله تعالى.

١ - شخصيته:

آية الله العظمى السيد محمد حسن الشيرازي، المشهور بالمجدد، عميد أسرة الشيرازي. ولد في ١٥ جمادي الأولى سنة ١٢٣٠ هجرية، وتوفي عام ١٣١٢ هجرية. هاجر إلى مدينة النجف الأشرف سنة ١٢٥٩ هجرية ثم إلى مدينة سامراء المشرفة عام ١٢٩١ هجرية. تربى في حجر خاله المفضل السيد الجليل الميرزا حسين الموسوي طاب ثراه. تتلمذ عند العلماء الأعلام أمثال: السيد حسن المدرس، والمحقق الكلباسي وصاحب الجواهر، والشيخ مرتضى الأنصاري رضوان الله تعالى عليهم.

آلت إليه المرجعية سنة ١٢٨١ هجرية بعد وفاة أستاذه الشيخ مرتضى الأنصاري قدس سره.

كان لا يحضر درس آية الله العظمى السيد الشيرازي إلا المحصلون الكبار، حيث تخرج على يده عدد كبير من الأئمة الأعلام وربى خلقاً كثيراً، ومنهم جماعة من المجتهدين، فمن بعض الأسماء البارزة الذين كانوا من تلامذة المجدد الكبير هم: السيد إبراهيم الداغاني، والسيد إبراهيم ورودي الخراساني، والميرزا إبراهيم الشيرازي،

والميرزا إبراهيم المحلاتي، والملا أبو طالب السلطان آبادي، والميرزا أبو الفضل كلنتر الطهراني، والشيخ إسماعيل الترشيري، والسيد إسماعيل الشيرازي، والميرزا حسين السبزواري، والميرزا حبيب الله الخراساني، والشيخ شريف الجواهري، والشيخ علي الرشتي اللاري، والشيخ فضل الله النوري الطهراني، والميرزا محمد تقي الشيرازي، والسيد محمد الهندي، والميرزا مهدي الشيرازي، وغيرهم ممن يعسر عددهم^(١).

٢- نبذة عن مخرصة مدينة سامراء

سامراء، مدينة عراقية تاريخية، وهي رابعة المدن المقدسة لدى الشيعة من بعد: النجف الأشرف، و كربلاء المقدسة، والكاظمية؛ لاحتوائها على مرقد الإمامين الهادي والحسن العسكري عليهما السلام

قال الحموي: بناها سام بن نوح فنسبت إليه فليل "سام راه" وتعني طريق عبور ومرور سام بن نوح^(٢) ويرى ابن بطوطة أنه من (سام را) بمعنى المدينة التي بُنيت لأجل سام، ونقل أن هناك من يرى أن تسميتها تعود إلى الاسم القديم "شوم"^(٣). وهناك تسميات أخرى لهذه المدينة ومنها: «سامرة» و «سامرة» و «سراء» و «سراء» من رأي " و «سرور من رأي" و «ساء من رأي" و «عسكر"^(٤)

بالرجوع إلى المدونات التاريخية ينكشف لك أن مدينة سامراء أُسست في عصور قديمة فقد ذكرها المؤرخ الروماني أميانس مرقليس (٣٢٠ - ٣٩٠م) بصيغة سومرا "sumera" ونوه عنها المؤرخ اليوناني زوسيمس بصورة سوما "saoma" وفي التدوينات الآشورية جاء ذكر اسمها بصيغة سمرارتا "suurmrtā" في حين ورد

(١) الحموي، ياقوت، معجم البلدان، ج ٣، ص ١٧٢ ١٧٣.

(٢) المصدر نفسه، ج ٣، ص ١٧٢ ١٧٣.

(٣) ابن بطوطة، تحفة النظائر في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ج ١، ص ١٤٧.

(٤) الحموي، ياقوت، معجم البلدان، ج ٣، ص ١٧٢ ١٧٣.

اسم "سامراء" في مصنفات السريان على كونه "شومرا" وتم كل ذلك قبل أن يبنيتها مجدداً المعتصم العباسي.^(١)

بناها المعتصم العباسي سنة ٢٢١ هـ / ٨٣٥ م لتكون عاصمة دولته، وبعد أن تم بناء المدينة انتقل مع قواته وعسكره إليها، ولم يمض إلا زمن قليل حتى قصدها الناس وشيدوا فيها المباني.

وبقيت سامراء عاصمة للسلطة العباسية فترة تقرب من ٥٨ عاماً، امتدت من سنة ٢٢٠ هـ / ٨٣٤ م إلى سنة ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م.^(٢)

وأكثر من نصف قرن من السلطة العباسية فيها، ضمت المدينة بين ظهرانيها سكانها الأصليين من النصارى إلى جانب المسلمين بفرقهم ومذاهبهم المختلفة، وقد تناوب عليها الاساقفة النسطوريين لأهميتها^(٣) مع تناوب سلاطين بني العباس الثمانية فيها بدءاً من (المعتصم) مروراً بـ (الواثق) و(المتوكل) و(المنتصر) و(المستعين) و(المعتز) و(المهتدي) ف(المعتضد)، واستمر الحال كذلك حتى بعد سقوط الخلافة العباسية^(٤).

وقد واصلت المدينة ازدهارها منذ تأسيسها كعاصمة للدولة العباسية، حتى صارت على حد تعبير (القزويني): (أعظم بلاد الله بناءً وأهلاً)^(٥)، وقد زادها تشریفاً ورفعة إقامة الإمامين العسكريين عليهما السلام، وضم ثراها لرفاتها الطاهر، فاحتلت منزلة رفيعة في قلوب المسلمين بعامه والشيعة منهم بخاصة.

(١) الخليلي، جعفر، موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، قسم سامراء.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) الأمانة العامة للعتبة العسكرية المقدسة، سامراء في التاريخ واللغة.

(٤) دائرة الآثار القديمة، الآثار القديمة في العراق: سامراء، ص ١٦.

(٥) القزويني، زكريا بن محمد، آثار البلاد وأخبار العباد، ص ٣٨٦.

ويذكر (المسعودي) في (مروج الذهب) أنّ سامراء كانت آخر المدن العظيمة التي شيدها المسلمون إلى جانب البصرة والكوفة والفسطاط وواسط والرملة وبغداد، ثم ساء حالها بعد مقتل (المتوكل)، ولم تنزل في نقصان إلى زمن (المعتضد) الذي هجرها إلى بغداد^(١) فلم يبق فيها كما يقول (القزويني): (إلا كرخ سامرا وموضع المشهد والباقي خراب بباب يستوحش الناظر إليها بعد أن لم يكن في الأرض أحسن ولا أجمل ولا أوسع ملكاً منها)^(٢)، وبعد كلّ هذا الجمال والعمران وإذا بها قرية صغيرة مهملة، ولكن مع كلّ هذا احتفظت بمكانتها الرفيعة لوجود المرقدين الشريفيين فيها، إلى أن أحيها من جديد قدوم المرجع الديني الكبير (محمد حسن الشيرازي)^(٣)، لتدبّ فيها الحياة من جديد، وتستعيد الكثير من مجدها الحضاري والعلمي والعمراني، وطبيعتها السكانية التي عكست روح التعايش الديني والمذهبي والقومي جعلت منها منارة للإشعاع الحضاري والإسلامي ومكانتها الإسلامية المرموقة على يدّ المجدد الشيرازي.

المطلب الأول: المنهج التجديدي في حوزة سامراء:

الحوزة العلمية مصطلح يحمل في معناه ميراث يمتد إلى ألف عام، حيث اصطلح عليه العلماء إشارة إلى المؤسسة الدينية التي تحمل منهجية العلوم الإسلامية (الأصول والفروع) بكل ما ينفع العالم والمتعلم.^(٤)

ديمومة بقاء الصرح العظيم للحوزة العلمية الشيعية برغم كلّ محاولات السلطات المتعاقبة والذي كان هدفها القضاء على هذا الشجرة المحمدية العلوية

(١) المسعودي، علي بن الحسن، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج ٤، ص ٣٥٧.

(٢) القزويني، زكريا بن محمد، المصدر السابق، ص ٣٨٦.

(٣) الأمين، محسن، أعيان الشيعة، ج ١، القسم الثاني، ص ٣٦٧.

(٤) فقه أهل البيت، مؤسسة دائرة المعارف، ج ٣٥، ص ١٧٣.

المُسَدَّدة من قبل الله تعالى وأهل البيت عليهم السلام ومداد العلماء ودماء الشهداء والفكر المنفتح والثابت والمتجدد والمنسجم مع الواقع الإنساني، تم استأصال جذور شجرة الزقوم التي غرستها السقيفة المشؤومة، فالآفاق المعرفية التي تروت من المنبع الصافي النقي الخالص والأصيل الخالي من الشوائب، هي التي تروي الأرواح المتيمة الوهية في كل آن ومكان فتغمرها حيويةً وألقاً.

وعندما أقرّ علماء الحوزة العلمية بدور الانفتاح الفكري المتجدد لأنهم على علم أن هذا الانفتاح يمنح الحوزة العلمية وطالب الحوزة روحاً جديدة وعقلاً رصيناً، من هنا تنطلق المسيرة العلمية الشاملة في مختلف ميادينها الفكرية والعلمية.

لهذا المجدد الكبير الشيرازي قده جعل التجديد الفكري، هو القاعدة والأساس لجميع مفاصل الحوزة العلمية والدينية، لأنّ الأفكار الصادر عن الأذهان المتوقدة بضياء منهج أهل البيت عليهم السلام تتجدد في كلّ زمان ومكان، فيشع نورها ويشمخ بقامته ليكون السد المنيع والصمام الأمين أمام الأفكار والتيارات المنحرفة.

وفي ظل الفكر المتجدد لدى السيد الشيرازي، استطاعت حوزة سامراء أن تستقطب أساطين العلماء والطلاب العلم، فأصبحت قبلة لجميع العلماء والمفكرين والباحثين برغم من صغر المدينة والفقر المهيمن عليها وقاطنيها أغلبهم سنة من أهل الجماعة.

وهذا يرجع إلى الإصرار والفكر المتوقد والطاقة الفريدة التي كان يحملها السيد المجدد (قدس سره الشريف)، فرفع لواء التجديد على بوابة الحكمة والمعرفة بكل ثقة واقتدار، ودونها خوف من الحراب المشرعة من قبل الدولة العثمانية والقنصلية البريطانية والروسية والمذاهب السنية، والمكائد والدسائس، فوقف بحزم لمقاتلة جيوش الجهل بكلّ شجاعة وإقدام وروح أبوية، فتجاوزت حوزة سامراء الفتية بمؤسسها الكبير كلّ التحديات التي حاولت إعاقة مسيرتها، نهض بهمته العالية

المؤثرة وبمواجهة شاملة، ضد من يصنعون المستنقعات الآسنة، وينشرون الخرافات والجهل، والضرب على وتر المذهبية والطائفية.

وهذا هو ديدن الحوزة العلمية الشيعية ومسؤوليتها الكبيرة الملقاة على عاتقها، بأن تعتمد إلى الحد من نسج خيوط الجهل والمذهبية والطائفية المقيتة، بل لا يوجد في زوايا ذهنها وبيئتها الفكرية من هذا، وهذا بفضل اعتصامها بكهف الحكمة والعقلانية الحصين وهم أهل البيت عليهم السلام.

فالمنهج التجديدي للحوزة العلمية في سامراء، من الإرث العظيم الذي يستحق أن يستنطق أهل الفكر والرأي كل صغيرة وكبيرة، وإلقاء الضوء على مختلف جوانبه، بالبحث والتمحيص، والكشف عما يجب وما لا يجب القيام به لديمومة هذا الفكر والاستفادة من ذلك الصرح الكبير.

المطلب الثاني: دور المرجعية في الوسط السياسي والاجتماعي.

تتميز الحوزة العلمية في النجف الأشرف أو في كربلاء المقدسة أو سامراء أو في قم المقدسة بكونها كياناً مستقلاً، بمعنى أن علاقتها بالسلطة الحاكمة في أي عصر وفي أي مصر استقلالاً كاملاً، فالحوزة العلمية كيان مستقل تماماً.

وأكبر دليل على ذلك المرجعية الدينية العليا في سامراء وبقيادة زعيمها المجدد الشيرازي إعلان فتواه في تحريم التبناك، وذلك عندما حصلت شركة "ريجي" البريطانية ومن شروط هذا العقد الفاسد هو انحصار التبغ والتبناك الإيراني لهذه الشركة فقط، فبدأت الاحتجاجات في أربعة من المدن الإيرانية الكبيرة، وكان العلماء في مقدمتهم حيث قاد هذه الاحتجاجات الشيخ فضل الله النوري في طهران، والآغا نجفي الأصفهاني في أصفهان، والسيد على أكبر فال أسيري في شيراز، والميرزا جواد مجتهد التبريزي في تبريز،^(١) الأمر الذي أدى إلى صدور فتوى تحريم التبناك من قبل

(١) الكربلائي، تاريخ الدخانية، ص ١٠٤، ١٠٨.

زعيم التشيع ومن سامراء المقدسة انطلقت الفتوى وفي عهد الشاه القاجاري ناصر الدين شاه، وأجبر الشاه على إلغاء هذا الاتفاق^(١)، أما نص الفتوى على نحو الآتي:

(بسم الله الرحمن الرحيم اليوم يُعدّ استعمال التتن والتنباك بأيّ نحو كان في حكم محاربة الإمام صاحب الزمان سلام الله عليه. حرره الأقل محمد حسن الحسيني).^(٣)

وقد وصف أحد الكتاب الانكليز وقع هذه الفتوى قائلاً: (في نهاية عام ١٨٩١ وصلت رسالة من مرجع في سامراء هو الميرزا محمد حسن الشيرازي تدعو الناس إلى التخلي التام عن التبغ حتى يتم إلغاء الامتياز، وفجأة أُغلق تجار التبغ حوانيتهم، ولم يعد أحد في المدينة أو في حاشية الشاه ولا حتى حجرات النساء يدخن، فيا للانضباط والطاعة عندما يتعلق الأمر بالخضوع للأوامر التي يصدرها المجتهدون)^(٤).

ووقعت في سامراء نفسها حادثة كادت أن تتطور إلى فتنة طائفية لولا حنكة هذا المرجع الكبير، فقد حصل اعتداء من مكون على مكون آخر، فجاء الدور الأبوي والروحي والمسؤولية الدينية، ولم يستفزه ذلك الموقف مطلقاً فستطاع دفن تلك الفتنة التتنة، وأرادت جهاتٌ أجنبية طامعة أن تستغل الموقف لصالحها، ومن هنا قام القنصلان البريطاني والروسي في بغداد بالسفر إلى سامراء لإعلان تأييد حكومتيهما للسيد الشيرازي لكسب وده ولتحقيق غاياتهما في النكاية بالحكومة العثمانية، بل من أجل إثارت الفتنة وهذا ديدنهم، وعندما وصل القنصلان إلى سامراء رفض المرجع

(١) الكربلائي، حسن، علي، تاريخ الدخانية، ج ١، ص ٣٣٨، ص ١٧٢-١٧٣.

(٢) النوري، الميرزا، النجم الثاقب، ج ١، ص ٢٨.

(٣) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٨.

(٤) نظمي، وميض جمال عمر، ثورة ١٩٢٠: الجذور السياسية والفكرية والاجتماعية للحركة القومية العربية الاستقلالية في العراق، ص ١١٧.

العتبة العسكرية المقدسة في سامراء حاضرة الفكر والتراث (وقائع المؤتمر العلمي الدولي الثالث) / ج ٢

الكبير السيد الشيرازي استقبلهما والاجتماع بهما وأبلغهما بالواسطة أن ليس هناك ما يدعو للقلق، لقد حصل شيء ما بين أبنائنا ونحن قادرون على تجاوزه بالحسنى ولسنا بحاجة لمساعدة أحد. فصدّ محاولة القنصل الانكليزي والروسي في بغداد التدخل لإشعال فتيل الفتنة، قائلاً: (أرجو أن تفهموا أن لا دخل لكم ببلادنا مطلقاً وما هذه القضية إلا حادث بسيط بين أخوين)^(١).

فضلاً عن ذلك، يمكن القول إنّ حوزة سامراء بمؤسسها المجدد (الشيرازي) كانت قد جسدت عبر فتواها ومواقفها، مشروعاً إسلامياً إصلاحياً تحريراً استهدف بالأساس مقارعة المستعمر من جهة، وإرساء معالم تعايش سلمي وتحقيق وحدة الجماعة الإسلامية وحماية هويتها من جهة أخرى.

من كلمات معدودة دونها المرجع الشيرازي نستنتج أنّ دلالة هذا المصطلح وتشعبه (الفتوى) هي حقيقة هذا الحدث الكوني التاريخي على الساحة الإسلامية، وتكمن أهميته بالمصدقية التوثيقية التي استوعبت كلّ حيثياته وعناصره التي كونت صورة كاملة من تاريخ بلد ورجالات تصدوا لتحقيق الأمن ونشر السلام وتوفير رغيّف الخبز للفقراء من خلال المواقف المشرفة والتضحيات التي كسرت شوكة الاستعمار والإرهاب بفضل فتوى حوزة سامراء المقدسة.

أمّا الجانب السياسي فلا يقل عن الجانب الأبوي، بل كان المرجع الشيرازي يذوب حرقة على الشعب العراقي وهو يعيش تحت الظلم والاستبداد والعنصرية والحرمان وتفشي الأمراض ونهب الأموال فصدر الفتوى وهو يخاطب العراقيين.

وهذا نص فتوى المجدد الكبير (قدس سره الشريف) للعراقيين: (المطالبة بالحقوق واجبة على العراقيين، ويجب عليهم في ضمن مطالبتهم، رعاية السلم

(١) الورددي، علي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج ٣، ص ٩٨.

والأمن، ويجوز لهم التوسل بالقوة الدفاعية، إذا امتنع الانكليز عن قبول مطالبهم^(١).

المبحث الثاني - مبادئ الانفتاح في حوزة سامراء:

المطلب الأول - محاربة الطائفية والعصبيات التقليدية:

لفظ الطائفية يطلق في هذا العصر بكثرة ويراد به التعصب والولاء لجماعة معينة -لرابط عقدي- دون غيرها، لهذا حوزة سامراء طلبت من الجميع، بل المسلمين جميعاً أن يعتصموا بكتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ وينبذوا الطائفية التي مزقتهم وفرقت جمعهم وجعلتهم شيعاً وأحزاباً.

وقد تمثلت هذه الوظيفة الدينية التي قامت بها المرجعية الدينية استناداً إلى من كلمة أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام التي خاطب بها جماعة من جيش العراق سمعهم يسبون أهل الشام في قتاله في صفين حيث قال: (إني أكره لكم أن تكونوا سبابين ولكنكم لو وصفتم أعمالهم وذكرتم حالهم كان أصوب في القول وأبلغ في الضرر، وقتلتم مكان سبكم إيتاهم، اللهم احقن دماءنا ودماءهم وأصلح ذات بيننا وبينهم واهدهم من ضلالهم حتى يعرف الحق من جهله ويرعوي من الغي والعدوان من لهج به)^(٢).

وكذا الأمر فقد روي عن الامام جعفر الصادق عليه السلام انه أوصى أصحابه بأن يتألفوا الناس ويعايشونهم ويتسالموا معهم: (صلوا عشائركم، واشهدوا جنائزهم، وعودوا مرضاهم، وأدوا حقوقهم، فالرجل منكم إذا ورع في دينه وصدق الحديث وأدى الأمانة، وحسن خلقه مع الناس حتى قيل هذا جعفري، يسرني ذلك ويدخل علي منة السرور، وقيل: إن هذا أدب جعفر)^(٣).

(١) حرز الدين، معارف الرجال، ج ٢، ص ٢١٧.

(٢) الريشهري، محمد، ميزان الحكمة، ج ٢، ص ١٢٣٦.

(٣) البحراني، عوالم الإمام الصادق، ج ٢، ص ٦٣٥.

المطلب الثاني - قراءة الفكر الآخر:

قال الإمام الصادق عليه السلام: (إنَّ العلماء ورثة الأنبياء. وذاك أنَّ الأنبياء لم يورثوا درهماً ولا ديناراً، وإنَّما أورثوا أحاديث من أحاديثهم، فمن أخذ شيئاً منها فقد أخذ حظاً وافراً. فانظروا علمكم هذا عمَّن تأخذونه فإنَّ فينا أهل البيت في كلِّ خلف عدولاً ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين).^(١)

جميع الكتب والمصادر والنصوص الإسلامية، يجب الاستفادة منها في ميدان الأبحاث والدراسات الإسلامية، ويجب أن تخضع بأجمعها للمراجعة؛ لأن من العوامل التي تشدُّ الأواصر بين أبناء الأمة الإسلامية هي قراءة الفكر الآخر. وهذا ما طبقتة الحوزة العلمية في سامراء، تحت إشراف المجدد الكبير السيد الشيرازي ولا بد لنا من السعي إلى فهم جميع النظريات الإسلامية، فمن أين تأتي خراجها وثمرتها للجميع.

المطلب الثالث - الروح الكبيرة ووحدة المسلمين:

إنَّ المرجعية العليا تنظر إلى روح الوثام والتسامح والتفاهم بين مختلف مكونات المجتمع، وإخماد الروح العدائية الموجودة بين مجاميع غير مسؤولة في المجتمع. فهذه الحقائق التي أكدها القرآن الكريم والسنة النبوية وأهل البيت عليهم السلام بحاجة إلى جهود كبيرة ومستديمة.

إذاً اللحمة المجتمعية فيما يتعلق بالروابط والأواصر بين المجتمع المسلم هذا الموضوع له أهمية بالغة لأنه يؤثر على مسألة التجديد الفكري للحوزة العلمية؛ لأنَّ التجديد الفكري يستلزم ألا يتحدد الفكر داخل مجموعة معينة أو مذهب معين، بل أن حوزة سامراء تصرَّ على الاهتمام بالفكر والرأي في كلِّ العالم الإسلامي على اتساع رقعته. إنَّ الشخصية الكبيرة لها الدور المهم في صنع التاريخ، وإدارة الأحداث،

(١) الكليني، الكافي، ج ١، ص ٣٤.

وكلّما كان نفوذه وتأثيره قوياً في أتباعه وأنصاره ومقلّديه سيؤدّي لا محالة إلى ازدهار الحركة العلمية وتوفر الجذب القوي لكبار العلماء، وكان ذلك متمثلاً بتوجه الميرزا الشيرازي المجدد الكبير إلى سامراء، حيث كان ذلك عصر ازدهار الحركة العلمية في حوزة سامراء هذا من جانب، ومن جانب آخر إنّ الحوزة في سامراء سعت لتمتين الاواصر والوشائج بين المسلمين على اختلاف مذاهبهم من خلال توطيد العلاقات الاجتماعية بعدة طرق منها، دفع رواتب ومعاشات ومساعدات مادية لطلبة وعلماء السنة، مساعدات مادية لبناء المدارس والتصدي للذين يثون الخلافات بين المسلمين.^{(١)(٢)}

وكذلك موقفه عندما حلت أزمة الغلاء، حين بادر إلى توزيع الحبوب على المتعفين حين بلوغ موسم الحصاد التالي^(٣)

فسامراء كانت في الأساس قبل قدوم (المرجع الشيرازي) قرية صغيرة منذ ان هجرها العباسيون عام ٨٩٢ م، ولكن عادة الحياة إلى هذه القرية الصغيرة المهملة، عندما استقرّ فيها المجدد الشيرازي (قدس سره الشريف) بدء الإعمار بها بعد نزوله في سامراء، فتحوّلت من قرية صغيرة إلى مدينة عامرة، إذ قام المرجع الكبير ببناء سوق كبير وجسر يربط بين ضفتي دجلة لتيسير عبور الزوار إليها، ومدرستين دينيتين تدرسان الفقه الجعفري، فضلاً عن العديد من الدور الخاصة بالطلبة العزاب والزائرين^(٤)،

(١) ماذا حدث في ثورة الدستور؟، ج ١، ص ٦٣٨، الطبعة الأولى، مؤسسة قدر الولاية الثقافية الفنية .

(٢) كلشن إبرار (فارسي)، ج ١، ص ٣٨٨.

(٣) الورددي، علي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج ٣، ص ٨٦، ٨٩.

(٤) نصار، صاحب محمد حسين، "المرجعية الدينية في مدينة سامراء"، مجلة ينابيع، النجف، العدد

٥٦، ١٤٣٥ هـ، ص ١١٠، ص ١١٢-١١٣: الخليلي، جعفر، موسوعة العتبات المقدسة، ج ١،

قسم سامراء، ص ١٠٩.

وقد احبّه أهالي سامراء هذه الروح الأبوية المنفتحة على الجميع، ومواقفه النبيلة حتى أنهم كانوا يشاركونه مواكبه وتعازيه الحسينية.

المطلب الرابع - كرامة الإنسان قبل كل شيء:

الله تعالى خلق الإنسان وفضّله على جميع خلقه وسخّر له كل شيء، بل إنَّ العناية بالإنسان وما يتعلق به من الأمور التي اعتنى الله تعالى بها وذكرها، وذكرها، وأشار إليها تصريحاً وتلويحاً، وهذا يشمل المؤمن بالعقيدة الإلهية ومن لم يؤمن بها، يعرفه أم لم يعرفه، يسأله أم لم يسأله، وقد أشار القرآن الكريم في أكثر من آية إلى ذلك، وكذا والسنة النبوية الشريفة، وأحاديث المعصومين عليهم السلام، ويكفي في ذلك قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾^(١)، ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾^(٢)، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾^(٣) وغيرهما من الآيات التي تؤكد ذلك، وكذلك حرص النبي والأئمة عليهم السلام وقد ترجم أهل البيت عليهم السلام تلك المعاني التي أنزلها الله تعالى في القرآن من خلال سيرتهم في المنهج التربوي خاص، وبيان ذلك قولاً وعملاً وفعلاً عن منهجهم في تربية أصحابهم على ذلك؛ ليؤدوا رسالتهم إلى الناس كلهم.

لقد جعل النبي صلى الله عليه وآله على سلم أولياته تربية الناس وزرع في نفوسهم ثقافة أن يحترموا بعضهم بعضاً. ولعلها أكثر من أن تحصى تلك النصوص الدينية التي تؤكد على احترام حقوق الناس، يقول النبي صلى الله عليه وآله: «الخلق عيال الله فأحب الخلق إلى الله من

(١) سورة لقمان، الآية ٢٠ .

(٢) سورة التين، الآية ٤ .

(٣) سورة الاسراء، الآية ٧٠ .

نفع عيال الله»^(١)، وعنه صلى الله عليه وآله: «خير الناس من انتفع به الناس»^(٢)، وقال صلى الله عليه وآله: «أذل الناس من أهان الناس»^(٣)، لاحظوا هنا استعمال النبي صلى الله عليه وآله لكلمة (الناس) في حديثه، ولم يقل المسلمين أو المؤمنين، ومضمون ذلك أن إهانة أي إنسان وجرح كرامته أمر يغضب الله تعالى.

فكانت حوزة سامراء بمرجعها (أعلى الله مقامه) بمثابة المصلح والمجدد الديني الذي منح الحوزات والمحافل الدينية والمجتمع العراقي عامةً في سامراء خاصةً دفعاً قوياً إلى الأمام من السلم والأمان والأخوة والتواد فيما بينهم، فكانت الحركة العلمية على أشدها فأوجد لنفسه مكانة دينية فاقت الآخرين من أقرانه بفضل ما تحلّى به من إمام عالم فقيه محقق، وورع نقي، ثاقب الفكر، بعيد النظر، مصيب الرأي، صائب الفراسة، يوقر الكبير ويحنو على الصغير، ويرفق بالضعيف، أعجوبة في أحاديثه وسعة مادته وجودة قريحته وبُعد نظر وعقل راجح ورأي صائب فاجتمعت كلمة المسلمين حوله فكان خير خلف لخير سلف.

المبحث الثالث: ريحي وداعش:

(ريحي)، هي الهيئة الإدارية التي كانت تحمل هذا الاسم والتي تشكلت في طهران بعد عدة أشهر من الحصول على الامتياز الذي منحه الشاه في ٨ آذار ١٨٩٠م إلى المايجور تالبوت (Major Talbot) وشركائه في الشركة المعروفة باسم (شركة التبناك الحكومة الإيرانية) ولمدة خمسين عاماً، وبرأس مال (٦٥٠) ألف ليرة إنكليزية، وكان يطلق على هذا الامتياز اسم ريحي (Regie)، وكان صاحبها من المقربين لرئيس الوزراء البريطاني حينها؛ اللورد سالزبوري، عام ١٨٩٠.

(١) الكليني، الكافي، ج ٢، ص ١٦٤.

(٢) النوري، حسين، مستدرک الوسائل، ج ١٢، ص ٣٨٨، حديث ١٤٣٧١.

(٣) المجلسي، بحار الأنوار، ج ٧٢، ص ١٤٢.

مهمة هذه الشركة وهي أحد أذرع الاستعمار لانتزاع حق بيع وشراء التبغ والمنتجات المرتبطة به من أيدي الإيرانيين، في وقت كان فيه نحو ٢٠ في المئة من الإيرانيين يعملون في قطاع التبغ، وبمقتضى هذه الاتفاقية تشتري الشركة المحكرة وحدها كل المحصول من المزارعين، كما بات على تجار التبغ الحصول على إذن من الشركة صاحبة الامتياز والدفع فوراً لها.^(١)

أمّا داعش هي مجموعة إرهابية سلفية تتبنى أيديولوجية عنيفة حيث تطلق على نفسها اسم الخلافة وتدعي السلطة الدينية على كل المسلمين.

لم يشهد التاريخ المعاصر جرائم وأباده جماعية منظمة كتلك التي قام بها تنظيم داعش السلفي الإرهابي من قتل وتهجير وأساليب وحشية في التعذيب والإعدامات، ومنها ارتكابه جريمة استرقاق النساء واستغلالهن جنسياً.

ومن أكثر الجرائم بشاعة وغرابة التي ارتكبتها تنظيم داعش الإرهابي في العراق، هي جريمة الاسترقاق أو ما يسميه داعش بـ(سبي النساء) أو (سوق النخاسة) وهي جريمة مكتملة الأركان يبررها داعش بوجود نصوص شرعية في القرآن الكريم والسنة النبوية وعلماء الوهابية^(٢)

(١) المشايخي، علي خضير، إيران في عهد ناصر شاه ١٨٤٨ - ١٨٩٦ م.

(٢) تقرير للأمم المتحدة عن جرائم داعش بحقوق الأقليات في العراق، الدولة الإسلامية في العراق والشام قد تكون ارتكبت جرائم حرب وجرائم ضد الإنسانية بادة جماعية، جنيف ١٩ آذار/ مارس، ٢٠١٥ متاح على الموقع التالي.

المطلب الأول: فتوى التنباك إلى فتوى الجهاد الكفائي

منعطف تأريخي كوني:

في الأول من شهر جمادي الأول عام ١٨٩١ م، اليوم الذي أصيب الاستعمار البريطاني وذيلوه بالذهول عندما أفتى المجدد الشيرازي الكبير آية الله العظمى السيد محمد حسن الشيرازي رحمته الله بتحريم اتفاقية التنباك. حيث ألغيت هذه الاتفاقية المصحفة فأدّت إلى إفلاس الشركة البريطانية المتاجرة بالتبغ، والتي كانت غطاء التغلغل في إيران والسيطرة على الحكم والاقتصاد في سنة ١٨٩١ م.

ويقول الباحث ستيفن بولسون في كتابه (الحركة الاجتماعية في القرن العشرين في إيران: الثقافة والإيديولوجية وأطر الحشد) في مارس سنة ١٨٩٠ وقّع شاه إيران ناصر الدين شاه اتفاقاً يمنح احتكار تجارة التنباك الإيراني لشركة بريطانية يرأسها أحد المقربين من رئيس الوزراء البريطاني في ذلك الوقت اللورد ساليزبوري.

يقول ستيفن في نفس الكتاب: إنّه وفقاً لذلك الاتفاق تم سحب حق بيع وشراء التبغ والمنتجات المرتبطة به من أيدي الإيرانيين ومنحه للشركة البريطانية، في الوقت الذي كان فيه نحو ٢٠ في المئة من الإيرانيين يعملون في قطاع التبغ.

فبمقتضى هذه الاتفاقية تشتري الشركة المحكرة وحدها كلّ المحصول من المزارعين، كما بات على تجار التبغ الحصول على إذن من الشركة صاحبة الامتياز والدفع فوراً لها.

كما نصت هذه الاتفاقية أيضاً على حصول الشاه على ١٥ ألف جنيه استرليني من الشركة و٢٥ في المئة من صافي الأرباح.

وبعد عشرات السنين وفي النجف الأشرف أفتى المرجع الكبير السيد السيستاني (حفظه الله تعالى) فتوى الجهاد الكفائي، لقد شخّص المرجع الكبير السيد السيستاني (حفظه الله) مكامن المؤامرة الدولية على الإسلام والخطر والخلل الكبيرين

العتبة العسكرية المقدسة في سامراء حاضرة الفكر والتراث (وقائع المؤتمر العلمي الدولي الثالث) / ج ٢

الذين حصلوا آنذاك والإجراءات الخاطئة، فضلاً عن التوظيفات الخاطئة وغيرها من الأمور. وإن المرجعية العليا كانت تدرك بعمق ما الذي تريده الدول الغربية وما الذي تخطط له أمريكا وبريطانيا وإسرائيل.

إنّ الفتوى شكلت منعطفاً كونياً وتاريخياً وسياسياً في ملمة الأوراق وإعادة البوصلة الأمنية لصالح الأمة الإسلامية بصورة عامة والعراق بصورة خاصة. إذ رسّخت مبدأ الثقة والاندفاع العقائدي والاندفاع الوطني باتجاه العراق، وبثت روح الشجاعة لكلّ أبناء الشعب، لذلك هبّ الصغير والكبير والمرأة والشاب كلّ هؤلاء حملوا السلاح وهبوا للدفاع عن الوطن والمقدسات والأعراض.

سلاح الفتوى:

الفتوى سلاح لا يقوى عليه أحد ولا يفهمه إلا أهله، يقول أمير المؤمنين عليه السلام (الجهاد باب من أبواب الجنة فتحه الله لخاصة أوليائه وهو لباس التقوى ودرع الله الحصينة وجنته الوثيقة).

أهله عشاق التضحية في سبيل الدين والعقيدة، لأنّه مفتاح الجنة، إنّه سلاح التكليف، من لا يؤمن بالمرجعية أصلاً، ﴿فَأَمَّهُ هَاوِيَةٌ﴾^(١) فهناك حكم وهناك تكليف، كما هنا فرق بين الحكم والفتوى، فالحكم خاصّ بواقعة خارجية شخصية والفتوى بيان للحكم الشرعي الكلي.

ويقول الباحث ستيفن بولسون في كتابه إنّ زعيم الحوزة الشيعية ميرزا محمد حسن الشيرازي، الذي كان يتخذ من سامراء في العراق مقراً له، بعث رسالة إلى الشاه^(٢). ولكن الشاه يعتقد أنّ سلطته اقوى من سلطة المرجعية. وتكررت الرسائل

(١) سورة الفارعة، الآية ٩.

(٢) ستيفن بولسون، الحركة الاجتماعية في القرن العشرين في إيران: الثقافة والإيديولوجية وأطر الحشد.

دون أن يهتم بها الشاه، فأصدر المرجع الأعلى السيد الشيرازي فتواه الشهيرة التي حرّم فيها التباك، فعرف الشاه ضعف سلطته أمام سلطة المرجعية. واستجاب الإيرانيون للفتوى فتوقفوا عن استعمال التبغ وحطّموا الأراجيل، وبلغ الأمر إلى حد أن زوجات الشاه وخدمه توقفوا عن التدخين.

الخاتمة

٢٣٤

١- وحدة العقيدة فالبعد الزماني والمكاني لا يؤثر، لأن عقيدة الجهاد حاضرة في فتوى التنبك الزمن ١٨٩١ م المكان سامراء المقدسة، وفتوى الجهاد الكفائي الزمن ٢٠١٤ م المكان النجف الأشرف.

٢- عند استنطاق الفتوى الأولى والفتوى الثانية لا يوجد تشابه في العلل والمسببات، بل هناك فارق كبير، ولكن دراسة الأحداث وتحليلها ومعرفة ما تصبو إليه (ريجي وداعش)، وصل السيد الشيرازي والسيد السيستاني إلى القرار الحاسم والإجراء المناسب وهو إصدار الفتوى، فبدء الانعطاف الكوني والتاريخي، فوقف العالم مذهول امام هذا الحدث الكبير.

٣- ومن المعروف أن إدارة المواجهة تحتاج إلى خارطة طريق لتوجيه خطوات العمل الجهادي، وهذا لا يتم إلا من خلال وضع الآليات والخطط التنفيذية والإشراف المباشر في سبيل الوصول إلى النتائج وتحقيقها على أرض الواقع، وهذا ما خطط له المرجع الشيرازي في فتوى التنبك وتم إلغاء الامتياز وانسحاب الشركة البريطانية، إذن المجدد الشيرازي وقف أمام دولة واحدة، أما المرجع السيد السيستاني الكبير وقف أمام داعش التي تمثل كل العالم الاجرامي، فالمخطط كبير بمعنى الكلمة، فلا يمكن نسيان التضحيات المتمثلة بفتوى الجهاد الكفائي، إذ هبَّ العراقيون من كل المحافظات العراقية لتنظيم صفوفهم دفاعاً عن الوطن والمقدسات والأعراض، قضت على الدواعش التكفيرين وأذناهم البعثيين والمرترقة السلفين وتم إبعاد الخطر عن العتبات المقدسة والعاصمة بغداد.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

نهج البلاغة

١- ابن بطوطة، (ت ٧٧٩هـ)، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، الناشر، دار الشرق العربي.

٢- الأمانة العامة للعتبة العسكرية المقدسة، سامراء في التاريخ واللغة.

٣- الأمين، محسن، أعيان الشيعة، تحقيق حسن الأمين، دار المعارف للمطبوعات، بيروت، ١٩٨٣م.

٤- البحراني، عبد الله، عوالم الإمام الصادق، الناشر مدرسة الإمام المهدي، قم.

٥- تقرير للأمم المتحدة عن جرائم داعش بحقوق الأقليات في العراق، الدولة الإسلامية في العراق والشام قد تكون ارتكبت جرائم حرب وجرائم ضد الإنسانية بادة جماعية، جنيف ١٩ آذار/ مارس، ٢٠١٥ متاح على الموقع التالي.

٦- حرز الدين، محمد، معارف الرجال، الناشر: مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم، ١٤٠٥ - ١٩٨٤م.

٧- الحموي، ياقوت عبد الله، (ت، ٦٢٦هـ)، معجم البلدان، دار صادر، لبنان، بيروت، ٢٠١٥.

٨- الخليلي، جعفر، موسوعة العتبات المقدسة - قسم سامراء، منشورات مؤسسة الأعلمي .

٩- الخليلي، جعفر، موسوعة العتبات المقدسة، ط ٢، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٩٨٧م.

- ١٠- دائرة الآثار القديمة، الآثار القديمة في العراق: سامراء بغداد، مطبعة الحكومة، ١٩٤٠.
- ١١- الريشهري، محمد، ميزان الحكمة، طبع مكتب الاعلام الإسلامي، قم، ١٩٨٤م.
- ١٢- السامرائي، يونس، تاريخ علماء سامراء، الناشر، الدار البصري، بغداد، ١٩٦٦م.
- ١٣- ستيفن، بولسون، الحركة الاجتماعية في القرن العشرين في إيران: الثقافة والإيديولوجية وأطر الحشد.
- ١٤- فقه أهل البيت، مؤسسة دائرة المعارف، ط ١، الناشر بهمن، ٢٠٠٤م.
- ١٥- القزويني، زكريا بن محمد، (ت ٦٨٢)، آثار البلاد وأخبار العباد، الناشر: دار صادر، بيروت.
- ١٦- كربلائي، حسن علي، تاريخ الدخانية، الناشر الهادي، ١٣٧٧هـ، طهران.
- ١٧- الكليني، محمد بن يعقوب، (ت ٣٢٩هـ)، الكافي، الناشر، إسماعيليان، ط ١، قم المقدسة.
- ١٨- ماذا حدث في ثورة الدستور، ط ١، مؤسسة قدر الولاية الثقافية الفنية.
- ١٩- المجلسي، محمد باقر، (١٠٣٧هـ-١١١١هـ)، بحار الأنوار، الناشر، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
- ٢٠- المسعودي، علي بن الحسن، (ت ٣٤٦)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، الناشر: دار الرجاء للطبع والنشر.
- ٢١- المشايخي، علي خضير، إيران في عهد ناصر شاه ١٨٤٨ - ١٨٩٦م.

٢٢- موسوعة العتبات المقدسة، قسم سامراء.

٢٣- نصار، صاحب محمد حسين، «المرجعية الدينية في مدينة سامراء»، مجلة يناير، مؤسسة الحكمة للثقافة الإسلامية، النجف، العدد ٥٦، جمادي الأولى - جمادي الثانية ١٤٣٥ هـ.

٢٤- نظمي، وميض جمال عمر، ثورة ١٩٢٠: الجذور السياسية والفكرية والاجتماعية للحركة القومية العربية الاستقلالية في العراق، ط ٢، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

٢٥- النوري، حسين، النجم الثاقب، الناشر: أنوار الهدى، قم المقدسة.

٢٦- النوري، حسين، مستدرك الوسائل، الناشر: دار الخلافة، ط ١.

٢٧- الورددي، علي، (ت ١٩٩٥م)، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، الناشر، دار الوراق للنشر، بيروت.



البحث الثاني

التعايش السلمي في سامراء ابان مرجعية

المجدد الميرزا محمد حسن الشيرازي

١٨٧٤ - ١٨٩٥ م

م.د. علي عبد حمادي

جامعة واسط / وحدة حوار الأديان



الملخص

كانت سامراء قبل وفود آية الله المجدد محمد حسن الشيرازي عبارة عن بلدة صغيرة، وتكرر فيها حوادث الاعتداءات على زوار العتبات المقدسة، لكن مع تولي الشيرازي للمرجعية الشيعية بعد وفاة المرجع مرتضى الأنصاري في عام ١٨٦٥ م، وانتقاله إلى سامراء واستقراره فيها للمدة (١٨٧٤-١٨٩٥ م)، وتأسيس أول حوزة فيها إلى جانب حوزة النجف الأشرف، شهدت البلدة تطوراً ملحوظاً واستقراراً واضحاً، وقلت فيها الحوادث والاعتداءات، بفضل سياسة المجدد الشيرازي في التأكيد على مبدأ التعايش السلمي بين أبناء المدينة من المسلمين.

الكلمات المفتاحية: الشيرازي، المجدد، سامراء، التعايش السلمي، الحوزة العلمية.

المقدمة

عدت مرجعية المجدد السيد محمد حسن الشيرازي (١٨١٥-١٨٩٥م) انعطافة تاريخية مهمة في تاريخ المرجعيات الدينية الشيعية، تستحق الوقوف عندها ودراستها من مختلف جوانبها، إذ إن أغلب الدراسات التي تناولتها ركزت بصورة عامة على الجانب الفقهي والعلمي، وانتقاله إلى مدينة سامراء في عام ١٨٧٤م، وجعلها مقراً للمرجعية والحوزة العلمية إلى جانب حوزة النجف الأشرف، فضلاً عن دوره في فتوى التنبك عام ١٨٩١م، وعلى الرغم من أهمية الحدثين، إلا أن الجانب الأبرز للمجدد الشيرازي يمكن أن يكون تمكنه من تقديم نموذج للزعامة الإسلامية الأبوية بغض النظر عن وجهتها المذهبية في مدينة سامراء، وردم الهوة بين سكانها، وتقبله بصورة واضحة من الشحن والاصطفاف الطائفي بين اتباع الدين الواحد من المذهبين الشيعي والسني، علاوة عن دعم عدد من المشاريع ذات النفع العام بغض النظر عن كون المستفيد منها من الطائفة السنية أم الشيعية، على مختلف الأصعدة العمرانية والاقتصادية والدينية، الأمر الذي قاد إلى زيادة التقارب والتعايش بين أبناء المدينة.

وبهدف الإحاطة بذلك الجانب قُسمت الدراسة على مبحثين، تناول الأول توطئة تاريخية عن مدينة سامراء، ونبذة عن حياة المرجع الشيرازي، وتاريخ الوجود الشيعي في سامراء، فيما درس المبحث الثاني مدينة سامراء في عهد المرجع الشيرازي (١٨٧٤-١٨٩٥م)، والمشاريع المدنية التي دعمها المرجع، ودوره في مواجهة الفتن الطائفية التي حدثت في سامراء.

أولاً: تقديم

أ- توطئة تاريخية عن مدينة سامراء

تقع سامراء على ضفة نهر دجلة اليسرى شمال بغداد بنحو (١٣٠) كم بالطريق البري، و(١٧٥) كم بالطريق النهري، والمدينة الحالية تقع على أطلال مدينة سامراء العباسية التي بناها الحاكم العباسي المعتصم بن هارون الرشيد (١٧٩-٢٢٧هـ)، سنة (٢٢١ هـ / ٨٣٦ م) واتخذها عاصمة لدولته، التي استمرت حتى وفاة الحاكم المعتمد (٢٥٦-٢٧٩هـ)، إذ تم بعدها إعادة مقر الدولة إلى بغداد^(١).

ولا يمكن تحديد تاريخ المدينة بزمن معين، إلا أنّ كثيراً من الدلائل تؤكد أنّها كانت أهلة بالسكان قبل الفتح الإسلامي، ولسامراء أكثر من معنى، ومن بينها طريق سام، عندما مر بها سام ابن نوح في فصل الشتاء وهو في طريقه إلى جوحى، وأيضاً يعود معناها إلى أصول فارسية، إذ كان الملك الساساني كسرى (٥٠١-٥٧٩ م)، يأخذ الخراج في ذلك الموضع، وتتكون من مقطعين هما "سا" وتعني أتاوة الملك، و"مرا" وتعني عدد، وكذلك جاءت من "سر من رأى" عندما اختارها المعتصم عاصمة لدولته سر بها من رآها من عسكره، وكذلك سميت "ساء من رأى" بعد هجرها وانهدام أبنيتها^(٢)، والمدينة محاطة بسور له أربعة أبواب تم بناؤه في عام ١٨٤٣ م من قبل بعض الهنود الشيعة من أجل الحفاظ عليها من هجمات القبائل البدوية المحيطة بالمدينة^(٣).

(١) للمزيد ينظر: السامرائي، يونس الشيخ إبراهيم، دليل سامراء، ص ٦؛ السامرائي، يونس الشيخ إبراهيم، تاريخ مدينة سامراء، ج ١، ص ٢١-٢٤.

(٢) الخليلي، جعفر، موسوعة العتبات المقدسة، قسم سامراء ١٢، ج ١، ص ١٣٩.

(٣) المنصوري، سامي ناظم حسين، سامراء في السالنامات العثمانية دراسة في أوضاعها العامة ١٨٤٩-١٩١٧، ص ٢٤.

في العصر الحديث اقدم اشارة إلى سامراء كانت مطلع القرن التاسع عشر عندما اشار إليها الدبلوماسي والرحالة البريطاني جون ماكدونالد كينير (Sir Macdonald Kinnear) (١٧٨٢-١٨٣٠ م) الموظف في شركة الهند الشرقية البريطانية أثناء رحلته للهند عبر العراق عام ١٨١٣ م^(١)، فيما ورد أول ذكر للمدينة في السالنامات العثمانية بحسب ما ذكر الباحث سامي المنصوري كان ذلك في سنة ١٨٤٩ م، حينما تناولت الوضع الإداري للمدينة، وأشارت إحدى تلك السالنامات إلى أن سامراء قضاء ارتبط إدارياً بلواء بغداد، ضمن ايالة بغداد وشهرزور، وفي عام ١٨٥٣ م رفعت سامراء إلى درجة لواء ارتبط بولاية بغداد وشهرزور، وتبع لها اقصية تكريت وزبيد والدجيل، وإمام دور، وفي عام ١٨٦٩ م خفضت إلى درجة قضاء تبعت إدارياً للواء بغداد أثناء ولاية الوالي مدحت باشا (١٨٦٩-١٨٧٢ م) للعراق، وتطبيقه لقانون الولايات العثماني لعام ١٨٦٤، واستمرت سامراء على ذلك الحال حتى عام ١٩١٧ م بعد أن خضعت لسيطرة القوات البريطانية التي اتمت احتلال العراق في عام ١٩١٨ م^(٢).

ب- تاريخ التشيع في سامراء

مر تاريخ التشيع في سامراء بمراحل عدّة، وفقاً لطبيعة الأحداث التي شهدتها المدينة والتقلبات السياسية، ويعود تاريخ التشيع في سامراء إلى عهد الإمامين، الإمام علي الهادي (٢١٢-٢٥٤ هـ) والإمام الحسن العسكري (٢٣٢-٢٦٠ هـ) عليهما السلام، وسرداب غيبة الإمام المهدي عليه السلام (٢٥٥- هـ)، فضلاً عن ذلك وجود عدد من المراقدين الأخرى كقبر، حكيمة بنت الإمام محمد الجواد (١٩٥-٢٢٠ هـ) عليه السلام، التي توفيت في سنة (٢٧٤ هـ)، وقبر السيدة نرجس أم الإمام المهدي عليه السلام^(٣)، على الرغم من

(١) ينظر: الخليلي، جعفر، المصدر السابق، قسم سامراء ١٢، ج ١، ص ٢٩٣-٢٩٥.

(٢) المنصوري، سامي ناظم حسين، المصدر السابق، ص ٢٦-٢٧.

(٣) آل قاسم، عدنان فرحان، تاريخ الحوزات العلمية والمدارس الدينية عند الشيعة الإمامية منذ

مضايقات العباسيين ومحاولات منعهم من السكن فيها، وأول عمارة لمرقد الإمامين كانت في عهد الحاكم العباسي المعتضد (٢٧٩-٢٨٩هـ) في سنة ٣٢٨هـ^(١)، وبعقب ذلك تكرار بناء تلك المراقد في مراحل مختلفة^(٢)، وبعد وفاة الإمامين عليهما السلام لم ينقطع الوجود الشيعي عن المدينة، إذ استمر توافد زوار الإمامين العسكريين عليهما السلام.

ونتيجة رجوع مركز العاصمة إلى بغداد سنة ٢٧٩هـ هجر سامراء أغلب سكانها لاسيما من أهل المصالح، وخربت أغلب محلاتها ما عدا محلة العسكر التي كانت تقع جوار مرقد الإمامين عليهما السلام وهي المحلة الخاصة ببني هاشم، وسكانها من اتباع أهل البيت^(٤).

وخلال الدولة البويهية (٣٢١-٤٤٧هـ)، قوي التشيع في سامراء بصورة خاصة والعراق بصورة عامة، وزاد عدد الشيعة في المدينة، إذ شجع أمراؤهم نشر التشيع، وشجعوا على نشر علوم أهل البيت، وممن زار سامراء والقى الدرس فيها الشيخ المفيد (٣٣٦-٤١٣هـ)، والشريف الرضي (٣٥٩-٤٠٦هـ)^(٥)، وأيضاً في عهد الدولة الحمدانية (٩٣٠-١٠٠٣هـ)، وعلى الرغم من اشتداد المضايقات التي تعرض لها الشيعة في مراحل مختلفة تخللت تلك المدة، لاسيما أثناء عهد صلاح الدين الأيوبي (٥٣٢-٥٨٩هـ)^(٦)، وبعد زوال الدولة العباسية (٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م) تحولت

نشأتها حتى القرن الرابع عشر الهجري، ج ٤ تاريخ حوزة سامراء والحلة وكر بلاء، ص ١٦.

(١) الغريفي، محمود، فاجعة سامراء، ص ٤٦-٤٧.

(٢) للمزيد عن عمليات بناء المراقد المقدسة في سامر، وتطور عمارتها على مختلف السنوات، ينظر: النقيب، امثال كاظم، تخطيط وعمارة العتبة العسكرية في سامراء المقدسة، صفحات متعددة.

(٣) آل قاسم، عدنان فرحان، المصدر السابق، ج ٤، ص ١٦.

(٤) الكرخي، نبيل محمد حسن، الوجود الشيعي في سامراء عبر التاريخ، ص ٥.

(٥) البلداوي، أياد عيدان، تاريخ التشيع في سامراء، ص ٢١-٢٢.

(٦) الغريفي، محمود، المصدر السابق، ص ٤٦-٤٧.

سامراء إلى مدينة دينية، يؤمها الزوار لزيارة العتبات المقدسة الموجودة فيها، ولم يعرف عنها أنها مدينة سياسية أو اقتصادية، لذلك حتى سنوات متأخرة كان أغلب سكان المدينة من الشيعة^(١).

وفي السنوات التي تلت سقوط الدولة العباسية شهد التشيع في مراحل مختلفة انتعاشاً واضحاً لاسيما في عهد الدولة الجلائرية (١٣٣٥-١٤١١م)، ومن ثم الدولة الصفوية في إيران (١٥٠١-١٧٣٦م)، وهم جميعهم يدينون بمذهب التشيع^(٢)، إلا أن ذلك لم يستمر، فقد شهد التشيع في المدينة خلال سيطرة الدولة العثمانية على العراق (١٥٣٤-١٩١٧م) انحساراً واضحاً، إذ مارست فيه سياسة متشددة تجاه الشيعة في العراق بصورة عامة ومدينة سامراء بصورة خاصة، لاسيما في عهد السلطان مراد الرابع (١٦٠٩-١٦٤٠م)، مما اضطر كثيراً من سكان المدينة إلى الهجرة، الأمر الذي قاد إلى تراجع عدد السكان الشيعة في المدينة إلى نسب تكون شبه معدومة^(٣).

ومن الجدير بالذكر، وبما أن الدولة القاجارية في إيران كانت الدولة الوحيدة على المستوى العالمي الإسلامي قد اتخذت من التشيع مذهباً رسمياً للدولة، الأمر الذي جعلها تبدي اهتماماً واضحاً في العراق، لاسيما في المدن التي تركز فيها الشيعة، والمدن التي انتشرت فيها العتبات المقدسة، وهي النجف الأشرف و كربلاء وبغداد، فضلاً عن مدينة سامراء، وبدى ذلك واضحاً من خلال التمثيل الدبلوماسي الذي ظهر منذ عام ١٨٤٧م، على أثر توقيع معاهدة ارضروم بين الدولتين، التي تعهدت الدولة العثمانية بموجبها بالاعتراف بالتمثيل الدبلوماسي الإيراني في العراق، وجاء اهتمام إيران بمدينة سامراء كونها من مدن العتبات المقدسة التي كان يزورها الإيرانيون، مما جعل من الضروري وجود من يمثلها في تلك المدينة لرعاية الزوار وتلبية متطلباتهم،

(١) الكرخي، نبيل محمد حسن، المصدر السابق، ص ١٠.

(٢) البلداوي، اياد عيدان، المصدر السابق، ص ٢٢.

(٣) الكرخي، نبيل محمد حسن، المصدر السابق، ص ١١.

وحمايتهم من الاعتداءات المتكررة وأعمال السلب والنهب التي كانوا يتعرضون لها باستمرار، وأول إشارة للتمثيل الدبلوماسي الإيراني في سامراء كان في عام ١٨٨٧ م، وشغل ذلك المنصب أحمد بك حتى عام ١٨٩٢ م، وجاء بعده محمود بك^(١).

ومما تقدم يظهر جلياً أن مدينة سامراء من وجهة نظر أتباع أهل البيت تعد من المدن الدينية المقدسة، الأمر الذي جعلها محط اهتمام المؤسسة الدينية الشيعية، وبمستوى لا يقل عن المدن الدينية المقدسة الأخرى، لذلك حظيت باهتمام أغلب زعماء الحوزة العلمية، ومن بينهم المجدد الميرزا محمد حسن الشيرازي.

ج- نبذة عن حياة السيد المجدد الشيرازي

السيد محمد حسن الشيرازي هو بن السيد محمود بن السيد إسماعيل بن فتح الله بن عابد بن لطف الله بن محمد مؤمن الحسيني الشيرازي النجفي، الذي ينتهي نسبه إلى الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، وهو بذلك شيرازي المولد، غروي المنشأ، عسكري المهجر، نجفي المدفن^(٢)، كما ارتبط اسم الشيرازي باهم الأحداث التي حصلت أثناء حياته، ألا وهي قضية الغاء امتياز التبغ والتبناك عام ١٨٩١ م، لصالح شركة رزي (Razzi Company) البريطانية في إيران في عهد ناصر الدين شاه (١٨٤٨-١٨٩٦ م)، وتدخله من خلال إصداره الفتوى الشهيرة التي حرمت تعاطي التبغ حتى الغاء الامتياز، وحظيت بدعم شعبي واسع منقطع النظير من مختلف الفئات الاجتماعية، وبذلك تمكن من إفشال تمرير ذلك الامتياز^(٣).

(١) للمزيد ينظر: المنصوري، سامي ناظم حسين، المصدر السابق، ص ١٠٩-١١٢.

(٢) الجبوري، كامل سلمان، المجدد الشيرازي السيد محمد حسن الحسيني (٢٢٣٠-١٣١٢ هـ)،

مجلد ١، ص ١٩-٢٢؛ الشاهرودي، نور الدين، أسرة المجدد الشيرازي، ص ١٧-١٨.

(٣) للمزيد: البديري، خضير، إيران في ظل أحداث التبغ والتبناك ١٨٩٠-١٨٩٢ دراسة في

السياسة الداخلية.

العتبة العسكرية المقدسة في سامراء حاضرة الفكر والتراث (وقائع المؤتمر العلمي الدولي الثالث) / ج ٢

ولد في مدينة شيراز جنوبي شرقي إيران وأمه العلوية أخت السيد الميرزا حسين الموسوي، ولد في بيكو زابل إحدى نواحي شيراز، في حدود ١٥ جماد الأولى ١٢٣٠هـ الموافق لعام ١٨١٥م، وتولى تربيته خاله السيد ميرزا حسين الموسوي، كونه فقد والده وهو طفل صغيره، الذي عنى تربيته علمياً ودينيّاً^(١)، عندما بلغ الشيرازي سن الأربع سنوات عيّن له خاله معلماً في بيته عام (١٢٣٤هـ/ ١٨١٩م)، وخلال سنتين تعلم القراءة والكتابة، إذ درس القرآن الكريم واللغة العربية والحساب، وكانت رغبة خاله أن يكون خطيباً، إذ كلف أشهر الخطباء في شيراز بأن يتولى تدريبه، لكن الشيرازي كانت رغبته أن يواصل تعليمه الديني، والانخراط في الدروس الحوزوية التي بدأ يدرسها في غرة شوال (١٢٣٦هـ/ ١٨٢١م)، وابتدأ بدراسة علوم اللغة العربية، وأكمل المقدمات والسطوح في شيراز، ثم انتقل إلى دراسة الفقه والأصول، ودرس كتاب اللمعة وهو في عمر (١٥) سنة^(٢).

في سن (١٧) سنة انتقل إلى أصفهان، في (١٧ صفر ١٢٤٨هـ/ ١٨٣٢م)، وكانت آنذاك فيها حوزة علمية مزدهرة هي امتداد للحوزة التي شهدتها المدينة أيام حكم الصفويين التي كانت عاصمة لهم^(٣)، وتبعد عن شيراز نحو (٤٠٠) كم، وكانت آنذاك العاصمة العلمية في إيران، ودرس في مدرسة الصدر الدينية وحضر الدرس عند المجتهد محمد تقي آقا النجفي الأصفهاني صاحب الحاشية، الذي خصه ببحث مع المير محمد حسين الخاتون آبادي، وبعد وفاته في عام (١٢٤٨هـ/ ١٨٣٢م)، درس عند السيد حسن البيدآبادي المدرس الذي أجاز له بالاجتهاد وهو في سن الـ (٢٠)، كما حضر بحث العلامة المحقق محمد إبراهيم الكلباسي، حتى صار من أفضل

(١) الجبوري، كامل سلمان، المصدر السابق، ص ١٩-٢٢.

(٢) الطهراني، آقابزرگ، هدية الرازي إلى الإمام المجدد الشيرازي، ص ١٦-١٧؛ الجبوري، كامل سلمان، المصدر السابق، ص ٢٢.

(٣) الشاهرودي، نور الدين، المصدر السابق، ص ١٨.

أساتذة اصفهان درس علي يديه عدد كبير من طلبة العلوم الدينية^(١).

وفي حدود عام (١٧٨٥/١٨٤٢م) توجه الشيرازي إلى العراق للدراسة واستقر أولاً في كربلاء، ومن كربلاء توجه إلى النجف الأشرف، وحضر الدرس عند الفقيه الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر (١٨٧٥-١٨٤٩م)، الذي أجاز له بالاجتهاد بخط يده، ومن بين ما ذكره "انه ممن اختاره الله عَلِمًا للعباد وأمينًا في البلاد ومروّجاً للمذهب الشيعة وكضلاً لابنائهم"^(٢)، والشيخ حسن بن جعفر كاشف الغطاء، والشيخ مشكور الحولاوي والسيد التستري، ولمدة قصيرة درس عند السيد إبراهيم القزويني الحائري، وعندما اراد العودة إلى شيراز، أبلغ أستاذه صاحب الجواهر برغبته، فكتب استاذة رسالة إلى حاكم ولاية فارس حسين خان طلب منه الاعتناء به، لكن فيما يبدو أنّ الشيرازي عدل عن رأيه وفضل البقاء في النجف لمواصلة دراسته الحوزوية عند كبار الفقهاء والعلماء فيها^(٣).

وبعد وفاة صاحب الجواهر عام (١٢٦٦هـ / ١٨٤٩م)، الذي تتلمذ الشيرازي علي يديه مدة سبع سنوات، تولى الشيخ مرتضى الأنصاري (١٨٠٠-١٨٦٤م) شؤون المرجعية، كان جل حضور الشيرازي عند الأنصاري، إلى درجة أنّ الشيخ الأنصاري نفسه كان يبجله ويهتم به، ويقدر مكانته العلمية، وأشار في أكثر من مناسبة إلى أهليته الكاملة للاجتهاد والزعامة^(٤).

وعلى أثر وفاة الشيخ الأنصاري في ١٨ جماد الآخر سنة ١٢٨١هـ / ١٧ تشرين

(١) الجبوري، كامل سلمان، المصدر السابق، ص ٢٢-٢٥.

(٢) الطهراني، آقابرک، المصدر السابق، ص ١٨-١٩.

(٣) الكاظمي، محمد مهدي الموسوي الأصفهاني، أحسن الوديعه في تراجم مشاهير مترجمي الشيعة أو الباقيات الصالحات في تميم روضات الجنات، ج ١، ص ١٣٢؛ الجبوري، كامل سلمان، المصدر السابق، ص ٢٦-٣٠.

(٤) الجبوري، كامل سلمان، المصدر السابق، ص ٣٠-٣٣.

الثاني ١٨٦٤م عقدت جلسة في منزل آية الله حبيب الله الرشتي لاختيار زعيم للحوزة العلمية، اتجهت فيها الانظار إلى أربعة مرشحين، فضلاً عن الشيرازي، وهم الميرزا محمد حسن الاشتياني والآقا حسن النجم آبادي والميرزا عبد الرحيم النهاوندي والشيخ حبيب الله الرشتي، وقع الاختيار على الشيرازي لرئاسة المرجعية لما له من المؤهلات التي تمكنه من تحمل مسؤولية زعامة الحوزة العلمية وإدارة شؤون الناس على الرغم من تردده وامتناعه في أول الأمر لكن الفقيه الآقا حسين النجم آبادي ألزمه بالحكومة الشرعية التي يجب أن يتولى مسؤوليتها، ومما يؤكد ذلك تقديمه للصلاة والدرس بعد وفاة الشيخ مرتضى الأنصاري^(١)، ومما زاد من اتساع مرجعيته، انحصار رئاسة المرجعية به بعد وفاة جميع المراجع الآخرين، ولم يبق سواه^(٢).

اشتهر الشيرازي بلقب كان جديراً به واجمع المؤرخون والنسابة على ذلك اللقب وصاروا يطلقونه عليه، حتى أصبح مشتهراً به أكثر من اسمه الحقيقي وهو "المجدد الشيرازي"، لرفعه من مكانة الحوزة العلمية والمؤسسات الدينية، بالصورة التي فاقت فيها المؤسسات الحكومية في هيبتها ونفوذها وسلطتها في توجيه الناس وانصياعهم لأوامرها، حتى أنّ الحكام والولاة كانوا لا يتوانون في تنفيذ ما يصدر عن المؤسسة الدينية، وفي عهده لم يكن للدين طابعه الروحي والعبادي فقط، بل كان له طابعه السياسي، وارتبط اسم الدين بكل جوانب الحياة البشرية^(٣).

ومما عرف عن الشيرازي أيضاً بعد نظره وكياسته، وتجنب إقحام نفسه في الأمور التي تضر بالمؤسسة الدينية، لكنّه في الوقت نفسه لم يكن يتوانى عن التدخل حينما يرى مصلحة في تدخله أو اتخاذ موقف معين، وعلى سبيل المثال إنّه عندما زار ناصر الدين شاه النجف عام ١٨٧٠م رفض استقباله، مخالفاً بذلك أغلب رجال

(١) الجبوري، كامل سلمان، المصدر السابق، ص ٣٤-٣٩

(٢) الطهراني، آقابزرگ، المصدر السابق، ص ٤٤.

(٣) الجبوري، كامل سلمان، المصدر السابق، ص ٣٩-٤٠.

الدين، وبعد إلحاح الشاه قبل اللقاء به على أن يكون ذلك في ضريح الإمام علي عليه السلام، وفي أثناء ذهابه للحج في عام ١٨٧١ م، اضطر شريف مكة لزيارته في مقر إقامته بعد أن رفض الشيرازي زيارته في قصره، وأطلق مقولته المشهورة: "إذا رأيتم العلماء على أبواب الملوك فقولوا بئس العلماء وبئس الملوك، وإذا رأيتم الملوك على أبواب العلماء فقولوا نعم العلماء ونعم الملوك"، ومن جانب آخر لم يردّ الشيرازي على رسالة جمال الدين الأفغاني (١٨٣٨-١٨٩٧ م) الذي اراد الحصول على دعمه ضد شاه إيران، ويبدو أنّه لم يشأ الخوض في أمور غير معروفة الأهداف والعواقب، لكنه في الوقت نفسه كان صريحاً وقويّاً في مواقف أخرى، فعلى سبيل المثال إنّه كان موقفه شديداً مع حاكم أفغانستان بسبب موقفه العدائي من الشيعة، إذ طلب من ناصر الدين شاه إنذاره للكف عن محاربة الشيعة، كما طلب من بريطانيا منعه من التماهي في ظلم الشيعة، الأمر الذي اضطرها الطلب منه بالكف عن الأعمال التعسفية ضد الشيعة^(١).

وبعد نحو (٣٠) سنة من العلم والعمل توفي السيد المجدد الشيرازي وذلك في مدينة سامراء في (٢٤ شعبان ١٣١٢ هـ / ١٩ شباط ١٨٩٥ م)، عن عمر ناهز الـ (٨٢) عاماً، ودفن في مدينة النجف الأشرف في مكان خاص أُعدّ له بحسب وصية أوصى بها^(٢).

ومّا تقدم نلاحظ أنّ السيد الشيرازي ملك من المؤهلات التي جعلته جديراً بالألقاب التي أُطلقت عليه، ومن بين ما تميز به عن بقية المرجعيات الشيعية جرئته في اتخاذ القرارات المصيرية التي اعتقد أنّها تصب في صالح الإسلام بصورة عامة والشيعة بصورة خاصة، لذلك لم يكن أمراً مستغرباً قرار انتقاله إلى سامراء والاستقرار فيها.

(١) الشاهرودي، نور الدين، المصدر السابق، ص ٢٢-٢٤.

(٢) الطهراني، آقابزرگ، المصدر السابق، ص ٤٥-٤٨.

ثانياً: مدينة سامراء في عهد السيد المجدد الشيرازي

أ- أسباب وظروف انتقال الشيرازي إلى سامراء في عام ١٨٧٤ م

إنّ قرار الشيرازي في الانتقال إلى سامراء عد انعطافاً مهماً في تاريخ الحوزة العلمية بصورة عامة والنجفية بصورة خاصة، وصارت محور حديث العامة والخاصة، وموضع تساؤل عن الأسباب والدوافع التي دفعت السيد الشيرازي لاتخاذ مثل هكذا خطوة^(١).

قرر السيد الشيرازي بعد أن وصلت إليه زعامة المرجعية التوجه إلى سامراء، حيث مرقد الإمامين علي الهادي والحسن العسكري عليهما السلام، ومكان غيبة الإمام المهدي عليه السلام، لم يعلن السيد الشيرازي في البداية قراره بنقل مقر المرجعية إلى سامراء خشية ضغط العلماء ورجال الدين عليه ومنعه، بل اكتفى بقصد الزيارة، ففي منتصف شعبان عام (١٢٩١هـ / ١٨٧٤م) توجه أولاً إلى كربلاء ومنها إلى الكاظمية، ومن ثم توجه إلى سامراء التي وصلها أواخر (شعبان ١٢٩١هـ / تشرين الأول ١٨٧٤م)، ورافقه إلى سامراء ثلاثة أشخاص هم كلٌّ من الميرزا عبد الحسين التستري، والسيد علي السجستاني، والشيخ هاشم الكاظمي، وقرر الإقامة فيها لأداء فريضة الصيام، وبعد انقضاء شهر رمضان أعلن عن عزمه السكن في سامراء فلقق به مجموعة من رجال الدين أولهم الميرزا حسين النوري، وصهره الشيخ فضل الله النوري، وفتح علي السلطان آبادي وآخرون، وفي أوائل سنة (١٢٩٢هـ / ١٨٧٥م)، لحقت بهم عوائلهم وعدد من طلبة العلوم الدينية وبعض الأسر الشيعية^(٢).

وعن أسباب توجه السيد الشيرازي إلى سامراء وإقامته فيها، تضاربت الآراء

(١) الجبوري، كامل سلمان، المصدر السابق، ص ٤٤.

(٢) الطهراني، آقابرک، المصدر السابق، ص ٢٠؛ الذهبي، ريم هادي مرهج والدعيمي، غفران محمد عزيز، الشيرازي ودوره في تأسيس حوزة سامراء، ص ٢٣٨-٢٣٩.

وتعددت، فضلاً عن قراره المعلن وهو أداء فرض الصيام خلال شهر رمضان، يبدو أنه كان يريد تشجيع زوار العتبات المقدسة على الزيارة في هذا الشهر لكي لا تخلو من الزائرين بسبب غلق المراقد المقدسة ليلاً، مما يحرم الزائرين من أداء الزيارة ليلاً، لذلك فور وصوله عمل على فتح الحرم ليلاً^(١).

ومن الأسباب الأخرى، ولعل أهمها رغبته في التخلص من قيود الزعامة والعزلة لبعث سامراء عن مجتمع العلماء ومن يدعي العلم منهم، والابتعاد عن المنافسين ومكايدهم، وأيضاً الابتعاد عن معارك الزكركت والشمرت^(٢)، وكذلك إنه كان مصاباً بمرض السل واختار سامراء لطيب هوائها^(٣)، وبسبب القحط الذي واجهته مدينة النجف سنة (١٢٨٨هـ / ١٨٧١م)، جعل الناس يكثرون الطلب عليه، فتضايق من كثرة الحاحهم وعدم قدرته في تلبية جميع حاجاتهم، ومن الآراء الأخرى إنه أراد إعمار البلدة ورفع مكانتها، ومما لا شك فيه أن للشخصيات الكبيرة أثر في صنع الأحداث، وكل ذلك كان متمثلاً في شخصية السيد الشيرازي لما يملكه من قوة ونفوذ، الأمر الذي غير من حال سامراء وكسب قلوب الأهالي والعشائر الساكنة في البلدة^(٤).

ومما ذهب إليه السيد حسن الصدر أحد تلامذة السيد الشيرازي، أن هجرة

(١) الشاهرودي، نور الدين، المصدر السابق، ص ٣٧؛ محمود الغريفي، المصدر السابق، ص ٤٨؛ الذهبي، ريم هادي مرهج والدعيمي، غفران محمد عزيز، المصدر السابق، ص ٢٤٢.

(٢) وهم سكان محلات النجف الأشرف الأربع، إذ كان يسكن الزكركت محلات العمارة والحويش، فيما كان يقطن الشمرت محلات البراق والمشراق، وكانت دائماً في تصادم، وحالة صراع مستمرة للسيطرة على المدينة، للمزيد ينظر: شكر، كاظم محمد علي، حركة الزكركت والشمرت في النجف الأشرف.

(٣) الجبوري، كامل سلمان، المصدر السابق، ص ٤٤-٤٥.

(٤) الذهبي، ريم هادي مرهج والدعيمي، غفران محمد عزيز، المصدر السابق، ص ٢٣٩-٢٤٠.

الشيرازي إلى سامراء كانت بسبب ضغط بعض أعيان النجف الأشرف لاطلاق سراح اولادهم من التجنيد، من خلال دفع البديل النقدي البالغ (١٠٠) ليرة عثمانية، وكان ذلك على اثر المساعدة في سنة الغلاء (١٢٨٨هـ / ١٨٧١م)، ورأى الشيرازي أن لا سبيل أمامه للتخلص من هذا الضغط إلا بالخروج من مدينة النجف^(١).

وأضاف السيد بحر العلوم رأياً آخر، فضلاً عن الأسباب السابقة فهو كان يرى أن مقصد السيد الشيرازي في هجرته إلى سامراء وحدة المسلمين، وبث روح الألفة بين سكانها.

والقضاء على المشاكل التي كانت تستغلها دائماً الحكومة العثمانية والقنصلية البريطانية في بغداد^(٢).

وفي الحقيقة أن جميع ما ذكر قد يكون من الأسباب المشجعة للانتقال إلى سامراء، أمّا أن تكون هي الأسباب الحقيقية فلا يمكن الجزم بذلك؛ لأنه على ما يبدو أن السيد الشيرازي أراد تأسيس حوزة علمية في سامراء إلى جانب الحوزة العلمية في النجف الأشرف وسائر الحوزات في مختلف المدن الإسلامية، على مستوى عال، زاخرة بكبار العلماء والمجتهدين وطلبة العلوم الدينية، فضلاً عن رغبته بتطوير هذه البلدة وتعميرها^(٣).

ومهما يكن من أسباب هجرة السيد الشيرازي إلى سامراء، وعدم الاتفاق عليها، إلا أن تلك الخطوة كانت في صالح المسلمين بصورة عامة وبلدة سامراء

(١) آل قاسم، عدنان فرحان، تاريخ الحوزات، ج ٤، ص ٢٢.

(٢) الروزدي، محمد علي، تقارير المجدد الشيرازي، ج ١، ص ١٣٣؛ آل سيف، فوزي، أعلام من الإمامية بين الفقيه العماني وآغا بزرك الطهراني، ص ٢٦٣؛ الجبوري، كامل سلمان، المصدر السابق، ص ٤٥.

(٣) الشاهرودي، نور الدين، المصدر السابق، ص ٣٨.

بصورة خاصة، التي شهدت تطوراً ملحوظاً في مختلف الجوانب، لم تشهده في السنوات التي سبقت وجود السيد الشيرازي، والتي كانت سبباً في التعايش الأهلي بين سكان البلدة.

ب- سامراء في عهد المجدد الشيرازي

من المعروف أنّ سامراء كانت - وكما أسلفنا قبل وفود الشيرازي إليها - بمنزلة بلدة صغيرة تفتقر إلى أبسط الخدمات^(١)، وفي هذا الشأن يصفها ذبيح الله في مآثر الكبراء "كصومعة في برية"^(٢) وكانت من أهم مهام السيد الشيرازي الوقوف ضد أي عمل يمس النسيج الاجتماعي في البلدة، فهو على علم ويقين أنّ القوى الاستعمارية والسلطات العثمانية كانت تربص وتتحين الفرص لاستغلال أيّ حدث بين المسلمين لتحقيق مصالحها، لذلك كان حريصاً على وحدة العالم الإسلامي^(٣).

ففي أثناء وجود السيد الشيرازي في سامراء وعدد من علماء وأساتذة الحوزة العلمية الذين اخذوا يفدون إلى المدينة تباعاً، وقيمون حلقات دروسهم ازدهرت الحركة العلمية^(٤)، إذ بلغ عدد طلبة العلوم الدينية الذين هاجروا إلى سامراء قرابة (٥٠٠) طالباً، بينهم (٤٠) أستاذاً، بعضهم استقر في سامراء، وبعضهم الآخر أخذ منها العلوم ورجع إلى بلاده^(٥)، ومن أسباب ازدهار المدينة أيضاً تدفق الأموال عليها من شتى المدن الإسلامية بعد أن صارت مقاليد أمور الشيعة بيد الشيرازي، ونصب

(١) الذهبي، ريم هادي مرهج والدعيمي، غفران محمد عزيز، المصدر السابق، ص ٢٤٠

(٢) المحلاقي، ذبيح الله، مآثر الكبراء، المصدر السابق، مجلد ٢، ص ٥٠.

(٣) الشاهرودي، نور الدين، المصدر السابق، ص ٤٠؛ محمود الغريفي، المصدر السابق، ص ٤٧-

٤٨.

(٤) الذهبي، ريم هادي مرهج والدعيمي، غفران محمد عزيز، المصدر السابق، ص ٢٣٩.

(٥) الجشعبي، محسن عدنان صالح، طلبة الحوزة العلمية في سامراء (١٨٧٤-١٩٢٠) دراسة،

ص ٢٠٠؛ المنصوري، سامي ناظم حسين، المصدر السابق، ص ١٢٤ - ١٢٥.

العتبة العسكرية المقدسة في سامراء حاضرة الفكر والتراث (وقائع المؤتمر العلمي الدولي الثالث) / ج ٢

في كلّ بلد إسلامي من يمثله، لقبض الحقوق الشرعية وصرّفها على مستحقيها، ومّا تميز به أنّه كان يباشر أموره بنفسه، ولا يسمح لاحد أن يطلع على أمور المراجعين مهها أمكن^(١)، إذ ضرب به المثل في أخلاقه، ورحابة صدره، فلم يسمع منه كلمة سوء لاحد، ولا عيب في وجه أحد قط^(٢)، وفي هذا الشأن ذكر الطهراني في كتاب هدية الرازي "تتكاثر عليه الزوار والواردون وفيهم الغث والسمين والخائن والأمين والصالح والطالح والإنسان وجلث اللسان والمؤمن والمنافق، وكلّ يتكلم على شاكلته فلا والله لا يسمع منه كلمة سوء لمستحقها ولا غير في وجه أحد، ولا جازى مسيئاً إلاّ بالاحسان ولا خاطبه إلاّ باحسن لسان مع التهمس في وجهه والاعتذار منه"^(٣).

كما وصف السيد الشاعر حيدر الحلي (١٨٣١-١٨٨٦م) سامراء في عهد السيد الشيرازي قائلاً:

"زان سامراء وكانت عاطلاً تشتكي من محليها الجفاء
وغدت أفناؤها آنسة وهي كانت أوحش الأرض فضاء"^(٤)

ومّا ذكره الطهراني عن سامراء في عهد السيد الشيرازي، إذ قال: «حتى صارت سامراء مثل الجزيرة الخضراء في الروحانية، وأعلى الله فيها ذكره وأعز نصره وصارت سامراء دار العلم وبيضة الإسلام والمرجع العام لأهل الدين والدنيا"^(٥)، وفي السياق ذاته تطرق علي الوردي إلى سامراء في عهد الشيرازي "إنّ سامراء بعد

(١) حرز الدين، محمد، معارف الرجال في تراجم العلماء والأدباء، ج ٢، ص ٢٣٤؛ الشاهرودي، نور الدين، المصدر السابق، ص ٢٢.

(٢) المحلاقي، ذبيح الله، مآثر الكبراء، المصدر السابق، مجلد ٢، ص ٦٤.

(٣) الطهراني، آقابزرگ، المصدر السابق، ص ٢٢.

(٤) المصدر نفسه، ص ٢٩.

(٥) المصدر نفسه، ص ٤٤.

أن كانت عبارة عن مدينة شبه قرية، تحولت إلى مدينة عامرة، وكاد الناس يذوبون في هذا النمو السريع، وبذل لهم الشيرازي العطاء بغية تأليف قلوبهم، فاحبه أغلبهم، حتى أنّهم وقعوا تحت تأثير طقوس الشيعة في ذكرى استشهاد الإمام الحسين، لاسيما وأنّ تلك الطقوس كانت لها أثر عاطفي عميق في النفوس، لذلك وقع أهل سامراء تحت تأثيرها، وخرج بعضهم ولاسيما من أبناء العشائر في مواكب تعزية خاصة بهم مشابهة لمواكب الشيعة^(١)، وفي هذا الشأن أشار رشيد الخيون والطهراني إلى مشاركة أهالي سامراء هذه الطقوس، وخروجهم في مواكب خاصة بهم أسوة بالمواكب الشيعية لاسيما وأن سامراء وبعد انقطاع طويل بدأت تشهد شعائر التشيع مثل الآذان والصلاة وإقامة مجالس اللطم والنوح والعزاء، ومواكب التعزية الحسينية في أيام محرم ذكرى استشهاد الإمام الحسين عليه السلام^(٢).

إنّ من أهم أعمال السيد الشيرازي الخاصة في سامراء هو بناء المدرسة الجعفرية أو الشيرازية في عام ١٨٧٥ م، وكان الهدف منها هو تأسيس حوزة علمية في المدينة على غرار ما موجود في النجف الأشرف وكربلاء المقدسة، والمدرسة قبل تأسيسها كانت عبارة عن خان لاستراحة زوار العتبات المقدسة مكون من (١٧) غرفة، وكان ملكا لشخ يدعى الحاج عبدالكريم كبة البغدادي، اشتراه السيد الشيرازي منه، وقام بتوسعته، حتى صارت المدرسة تتكون من طابقين، و(٧٥) غرفة، وبني إلى الشمال منها مدرسة ملاصقة لها تتكون من (١٥) غرفة، واحتوت المدرسة على ثلاثة سراديب، سكن فيها نحو (٢٠٠) طالباً من طلبة العلوم الدينية، وخصص لهم رواتب شهرية، وفي عام ١٨٧٩ م توسعت المدرسة حينما تبرع الحاج مصطفى صالح كبة البغدادي أحد مقلدي السيد الشيرازي بشراء عدد من المنازل والحقاها بالمدرسة، الأمر الذي سمح باتساع المدرسة وقدرتها على استيعاب الأعداد المتزايدة

(١) الوردى، علي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج ٣، ١٩٧٢، ص ٩٠.

(٢) الطهراني، آقابر، المصدر السابق، ص ٢١؛ الخيون، رشيد، القبة العسكرية، ص ٦٧.

العتبة العسكرية المقدسة في سامراء حاضرة الفكر والتراث (وقائع المؤتمر العلمي الدولي الثالث) / ج ٢

من طلبة العلوم الدينية الوافدين للمدينة الذين بلغ عددهم قرابة (٥٠٠) طالباً في عام ١٨٩٢م، أمّا أبرز أساتذتها هم كلٌّ من الشيخ محمد تقي الشيرازي، والشيخ محمد حسين النائيني، والسيد إسماعيل النائيني والسيد محمد حسن الموسوي الشيرازي^(١)، كما أمر الشيرازي ببناء دار للمآتم الحسينية والمناسبات الدينية^(٢).

ومن الجدير بالذكر عندما شرع الشيرازي ببناء المدرسة الجعفرية في سامراء، تشجع أبناء الطائفة السنية لتأسيس مدرسة خاصة بهم، وهي المدسة العلمية التي افتتحت عام ١٨٩٢م، وبسبب عدم توفر المال الكافي لأكملها، طلبوا المساعدة المالية من المرجع الشيرازي، الذي أسرع بتقديم مساعدة مالية سخية تساعدهم في إتمام بناء المدرسة، وتلك الالتفاتة كانت من عوامل الانسجام والوئام بين سكان المدينة^(٣).

وعلى أية حال إنّ من ثمار شد الرحال إلى سامراء والاستقرار فيها التفاف الشيعة حول السيد الشيرازي، وازدياد عدد المسافرين والزوار من مختلف البلدان الإسلامية، لاسيما وأن السيد الشيرازي كانت من ضمن أولوياته في البلدة معالجة وضع سكانها بصورة عامة من أجل أن يؤكد لهم ما يكنه الشيعة للسكان والبلد من الاهتمام والتقدير والمحبة، ومما لا شك فيه أنّ تلك الخطوة تحسب للحوزة العلمية الشيعية، وسبباً في تفاعل أهالي المدينة مع مشروع الشيرازي، وسبباً لخطوات لاحقة^(٤).

(١) المنصوري، سامي ناظم حسين، المصدر السابق، ص ١٢٢-١٢٤.

(٢) المحلاقي، ذبيح الله، المصدر السابق، مجلد ٢، ص ٦٣.

(٣) الشاهرودي، نور الدين، المصدر السابق، ص ٤٠-٤١.

(٤) الجبوري، كامل سلمان، المصدر السابق، ص ٤٥-٤٦.

ج- المشاريع المدنية التي ساعد السيد الشيرازي إقامتها في مدينة سامراء

ركز السيد الشيرازي جهوده على الاهتمام بالمدينة وإقامة بعض المشاريع ذات النفع العام، ومن بينها جسر المدينة، إذ لم يكن في سامراء قبل وصول الشيرازي جسر يربط جانبي المدينة الغربي والشرقي، فكانت الناس تلجأ إلى "القفف" للعبور ونقل أحمالهم ودوابهم، وكان أصحاب القفف يرفعون الأجور، لاسيما على زوار العتبات المقدسة، فأمر السيد الشيرازي ببناء جسر من السفن على نهر دجلة على طريقة الجسور العراقية تسهيلا للعبور، وكلف الجسر قرابة (١٠٠٠) ليرة ذهبية عثمانية^(١) وهذا الجسر عدّ أول جسر في سامراء تم في عام ١٨٧٨ م^(٢)، ليتمكن الناس الذين يعيشون خارج سامراء والوافدين إليها من بغداد والمدن الأخرى من العبور بسلاسة ومن دون عناء أو إعطاء الأموال مقابل العبور، وبعد إتمام الجسر سلمه للدولة، وكانت تتقاضى أجور زهيدة مقابل العبور لغرض صيانتها^(٣).

ومن ضمن المشاريع الأخرى التي نفذها السيد الشيرازي في مدينة سامراء والتي كانت تتعلق بجانب مهم من حياة السكان أنه أمر ببناء حمام عام خاص بالرجال وآخر خاص بالنساء^(٤).

وفي سبيل تطوير الأوضاع الاقتصادية في مدينة سامراء، أمر السيد الشيرازي ببناء سوق كبير خاص بالمدينة، من خلال الأموال التي بذلها أغنياء الهند^(٥)، والهدف من تشييد ذلك السوق تجتمع فيه جميع المحلات والحوانيت التجارية التي توفر

(١) الشاهرودي، نور الدين، المصدر السابق، ص ٣٩.

(٢) الكرخي، نبيل محمد حسن، المصدر السابق، ص ٢٧.

(٣) نصار، صاحب محمد حسين، المرجعية الدينية في سامراء، ص ١١٢.

(٤) المحلاقي، ذبيح الله، المصدر السابق، مجلد ٢، ص ٦٣.

(٥) القاسم، عدنان فرحان خميس، تاريخ الحوزات العلمية والمدارس الدينية عند الشيعة الإمامية،

حاجات السكان الضرورية، وخدماتهم اليومية^(١).

وفي الجانب الاجتماعي، قدّم السيد الشيرازي المساعدات للفقراء والمحتاجين مرتين في السنة، ممّا يحتاجونه من ألبسه وأطعمة من دون الالتفات إلى الطائفة أو المذهب الذي كانوا ينتمون إليه^(٢).

وممّا تقدم يمكن أن نستنج أنّ السيد الشيرازي أراد تطوير المدينة عمرانياً، ليرتقي بها مستوى المدن المقدسة الأخرى، كالنجف وكربلاء والكاظمية، وعلى ما يبدو أنّ السيد الشيرازي استغل حالة الصلح بين الدولتين القاجارية والعثمانية لإرساء الاستقرار والسلم الأهلي في سامراء ذات الخليط السكاني المتنوع^(٣)، وهكذا فإنّ المشاريع الخدمية التي أقامها السيد الشيرازي في سامراء انعكست على سكان المدينة ورعايته لهم بالصورة التي جعلت سكانها الأصليين يأترفون مع المجتمع الجديد، وامتزجوا مع القادمين الجدد، الأمر الذي قلل من شدة الشحن الطائفي^(٤)، ويمكن اختصار ذلك الواقع الجديد من خلال وصف الشاهرودي لواقع سامراء قبل وبعد وصول السيد الشيرازي، إذ قال: «عندما هاجر الشيرازي كانت سامراء بمثابة قرية صغيرة تخلو من مظاهر العمران والنماء، فلما سكنها عمرت عمراناً فائقاً وبنيت فيها الدور والأسواق وسكنها الغرباء ومن يطلب المعاش وكثر الوافدون إليها وأمّها التجار ورجال الأعمال من أقطار الدنيا وأقيمت فيها حلقات الدرس وشيدت المدارس العلمية وقصدها طلاب العلم من كل مكان»^(٥).

(١) الغريفي، محمود، المصدر السابق، ص ٤٧.

(٢) القاسم، عدنان فرحان خميس، المصدر السابق، ص ١٣٠.

(٣) الكرخي، نبيل محمد حسن، المصدر السابق، ص ٢٦.

(٤) آل قاسم، عدنان فرحان، تاريخ الحوزات، ج ٤، ص ٢٧؛ القاسم، عدنان فرحان خميس، تاريخ الحوزات والمدارس، ص ١٣٠.

(٥) الشاهرودي، نور الدين، المصدر السابق، ص ٣٨-٣٩.

وبذلك يمكن القول: إن مدينة سامراء في عهد السيد الشيرازي لم تكن كسامراء قبل عهده، لكن تبقى المشكلة التي أثرت على النسيج الاجتماعي أكبر تحدي يمكن للسيد الشيرازي مواجهته في ظل الصراع المستمر بين القوى الاستعمارية التي لم يكن في صالحها أن تستقر الأوضاع في البلاد، وطالما استغلت الاختلافات المذهبية والطائفية لتحقيق مصالحها وفق سياسة "فرق تسد".

د-مواجهة المشاكل التي تؤثر على النسيج الاجتماعي في المدينة

إنّ الوضع الحساس لمدينة سامراء بسبب كونها مدينة ذات نسيج اجتماعي متنوع جعل المهمة ليست سهلة أمام السيد الشيرازي، لاسيما وأنّ كثيراً من الأطراف الداخلية والخارجية كانت تغذي المواجهات الطائفية بين المسلمين التي وصل بعضها إلى درجة التحدي والمصادمات^(١) بين بعض سكان المدينة من المسلمين وقد حاولت بعض الأطراف الداخلية والخارجية التي أرادت استغلال الحادثة لتحقيق مصالحها، ولتحقيق ذلك سافر القنصلان البريطاني والروسي إلى سامراء، وأعلنا تأييدهما للسيد الشيرازي، لغرض كسب وده، ونكاية بالحكومة العثمانية، إلا أنّ السيد الشيرازي رفض استقبالهما، وأبلغهما من خلال وسيط ليس هناك ما يدعو للقلق، وأنّ ما حصل أمر بسيط بين اتباع دين واحد يمكن لهم تجاوزه بالحسنى، وفي هذا الصدد ردّ السيد الشيرازي على العرض قائلاً: "أن لا حاجة لدس أنف بريطانيا في هذا الأمر الذي لا يعينها؛ لأنّه والحكومة العثمانية على دين واحد وقبلة واحدة وقرآن واحد"، ويبدو ذلك بجلاء أنّه كان حريصاً على وحدة المسلمين بمختلف مذاهبهم، على الرغم من الاختلاف المذهبي مع الدولة العثمانية، كما أنّه أراد قطع الطريق أمام تدخلات قناصل الدول الاستعمارية، وعلى الأخص بريطانيا التي كانت تسعى لتوسيع نطاق علاقاتها

مع القيادات الاجتماعية والوجهاء في المدن والريف تمهيداً لاحتلال العراق^(١).

كما حاولت الدولة القاجارية التدخل لصالح السيد الشيرازي، وأعلنت عن دعمها له، ولأجل ذلك توجه القنصل الإيراني في بغداد إلى سامراء، وطلب من السيد الشيرازي واتباعه من طلبة العلوم الدينية مغادرة سامراء خوفاً على حياتهم، لكن السيد الشيرازي أبى ذلك وأصر على البقاء، وأبلغه أنه وبمساعدة أهالي سامراء تم تجاوز تلك الفتنة^(٢).

وعندما علم والي بغداد حسن باشا (١٨٩٠-١٨٩٦م) بموقف السيد الشيرازي وتمكنه من تجاوزه ذلك الخلاف بالطرق السلمية، سافر إلى سامراء ومعه كتاب شكر من السلطان العثماني عبد الحميد الثاني، وحالما وصل سامراء استقبله السيد الشيرازي، فيما أعرب له الوالي عن شكر حكومته على مساعيه في تجنب البلاد الوقوع في فتنة طائفية لا تحمد عقباهها، مما تؤثر على السلطات العثمانية، لاسيما وأنها كانت في صراع مع القوى الاستعمارية بريطانية وروسية، بالصورة التي كانت فيه الدولتان تحاولان استغلال أي حدث لمصالحهما، ويظهر أن استقبال السيد الشيرازي للوالي العثماني على اعتبار أنه فرد مسلم، بالضد من التدخل البريطاني والروسي، ومن جانب آخر لم يشأ الدخول في محاور ضد الحكم العثماني، على الرغم من موقف الوالي العثماني السلبي تجاه الشيعة، كما يعتقد أنه منشأ المنازعات والفتن في العراق بصورة عامة، وسامراء بصورة خاصة، وهذا ناتج من حقد دفين للوالي من السيد الشيرازي بسبب عدم الاهتمام به أثناء زيارته لسامراء، جرياً على عادة الشيرازي في عدم الاهتمام بمسؤولي السلطات الحكومية^(٣)، ففي بداية الخلاف لم يعر الوالي حسن باشا أي اهتمام لشكاوي طلبة العلوم في سامراء، بل منع إعلام السلطان عبد الحميد

(١) الشاهرودي، نور الدين، المصدر السابق، ص ٤١-٤٣.

(٢) المحلاتي، ذبيح الله، المصدر السابق، مجلد ٢، ص ٩٩.

(٣) الشاهرودي، نور الدين، المصدر السابق، ص ٤٢.

الثاني بما حدث، لذلك اضطر جماعة السفر إلى إيران من أجل الحصول على دعم ناصر الدين شاه، وإعلام السلطان عبد الحميد بأحداث ذلك الخلاف^(١).

وفي هذا الصدد، وعن جهود المجدد الشيرازي في وأد ذلك الخلاف الذي كاد أن يتطور ويمتد لهيبه إلى بقية أجزاء البلاد، اشار الاديب العلامة محمد بن طاهر السماوي (١٨٧٦ - ١٩٥٠ م) قائلاً:

"وسادس الأحداث من
جدال بين المجاورين والأهالي
حتى لقد ساءت به الظنون
وكاد أن يكون ما يكون
وجاءت الولاة والقناصل
ليرفعوا ما هم فيهم نازل
فاصلح الحال محمد الحسن
برايه الواري وخلقته الحسن
وذلك لإحدى عشر سنينا
بعد ثلاث عشرة مئينا"^(٢).

وهكذا تمكن السيد الشيرازي بفضل حنكته وبعد نظره من تجاوز تلك الأزمة بهدوء ومن دون ضجيج، وتطويقها قبل أن تمتد آثارها إلى المناطق المجاورة، وتستغل من قبل القوى الاستعمارية والإقليمية في تحقيق مصالحها، تلك السياسية التي ختم حياتها فيها، وصارت نموذجاً يحتذى لكثير من رجال الدين.

(١) حرز الدين، محمد، المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٣٦.

(٢) نقلاً عن: المحلّاتي، ذبيح الله، المصدر السابق، مجلد ٢، ص ٩٩-١٠٠.

الخاتمة

إنَّ أهم ما توصلت إليه الدراسة الصورة الحقيقية التي عكسها المرجع المجدد آية الله الشيرازي عن أتباع مذهب أهل البيت، ومما لا شك فيه أنَّ ذلك الأمر ساهم في تقريب وجهات النظر بين المسلمين بمختلف طوائفهم، وكان سبباً للتعایش بينهم، ونقل مدينة سامراء من بلدة صغيرة أشبه بقرية إلى مدينة مزدهرة علمياً وعمراً، لاسيما وأنَّ الشيرازي وخلال الـ (٢٠) سنة التي قضاها في سامراء انجز كثير من المشاريع المهمة التي خدمت سكان المدينة، وكانت سبباً في تطور المدينة.

ويظهر أنَّ الصعوبات التي واجهها الشيرازي في سامراء كانت من جهات لها مصالح في عدم استقرار الأوضاع سواء أكان ذلك في عموم البلاد أم في مدينة سامراء نتيجة الأوضاع المعقدة في المدينة كونها ذات نسيج اجتماعي متنوع.

ومن الجدير بالاهتمام أنَّ المنهج الأبوي الذي اتبعتة السيد الشيرازي مع جميع سكان المدينة كان له أثر في التقليل من حوادث التصادم وتكرار الاعتداءات على زوار العتبات المقدسة، بل وصلت الأمور إلى مشاركة أهالي سامراء من أبناء السنة في المناسبات الدينية للشيععة ولاسيما في أيام محرم الحرام، وتأسيس مواكب تعزية خاصة

المصادر والمراجع:

١. آل سيف، فوزي، اعلام من الإمامية بين الفقيه العماني وآغا بزرك الطهراني، دار الصفوة، القطيف، ٢٠١٢.
٢. آل قاسم، عدنان فرحان، تاريخ الحوزات العلمية والمدارس الدينية عند الشيعة الإمامية منذ نشأتها حتى القرن الرابع عشر الهجري، ج ٤ تاريخ حوزة سامراء والحلة وكربلاء، دار السلام، بيروت، ٢٠١٦.
٣. البديري، خضير، إيران في ظل أحداث التبغ والتبناك ١٨٩٠-١٨٩٢ دراسة في السياسة الداخلية، ط ٢، شركة العارف للأعمال، بيروت، ٢٠١٩.
٤. البلداوي، إياد عيدان، تاريخ التشيع في سامراء، مؤسسة البلداوي الثقافية للطباعة والنشر، ١٤٢٩ هـ / ق / ٢٠٠٨ م.
٥. الجبوري، كامل سلمان، المجدد الشيرازي السيد محمد حسن الحسيني (٢٢٣٠-١٣١٢ هـ)، مجلد ١، مؤسسة المواهب للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠١٨.
٦. الجشعمي، محسن عدنان صالح، طلبة الحوزة العلمية في سامراء (١٨٧٤-١٩٢٠) دراسة تاريخية، مجلة تراث سامراء، العدد ٦، ٢٠٢٢.
٧. حرز الدين، محمد، معارف الرجال في تراجم العلماء والأدباء، ج ٢، مطبعة الولاية، قم، ١٤٠٥ هـ ق.
٨. الخليلي، جعفر، موسوعة العتبات المقدسة، قسم سامراء ١٢، ج ١، ط ٢، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٩٨٧.
٩. القاسم، عدنان فرحان خميس، تاريخ الحوزات العلمية والمدارس الدينية عند الشيعة الإمامية، مجلة دراسات تاريخية، العدد ٤٩، ٣١ كانون الأول ٢٠١٩.
١٠. الخيون، رشيد، القبة العسكرية، جريدة المدى، العدد ٦١٠، ٢٨ شباط

١١. الذهبي، ريم هادي مرهج والدعيمي، غفران محمد عزيز، الشيرازي ودوره في تأسيس حوزة سامراء، مجلة مركز دراسات الكوفة، جامعة الكوفة، ملج ٢، عدد ٦، ١٧٠-٩-٢٠١٩.

١٢. الروزدي، محمد علي، تقارير المجدد الشيرازي، ج ١، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث.

١٣. السامرائي، يونس الشيخ إبراهيم، تاريخ مدينة سامراء، ج ١، المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٦٨.

١٤. السامرائي، يونس الشيخ إبراهيم، دليل سامراء، دار منشورات البصري، بغداد، ١٩٦٢.

١٥. السامرائي، يونس، تاريخ مدينة سامراء، ج ٢، بغداد، ١٩٧١.

١٦. الشاهرودي، نور الدين، أسرة المجدد الشيرازي، دار العلوم، بيروت، ١٩٩٠.

١٧. شكر، كاظم محمد علي، حركة الزكركت والشمرت في النجف الأشرف، النجف الأشرف، ١٩٩٢.

١٨. الطهراني، آقابزرگ، هدية الرازي إلى الإمام المجدد الشيرازي، مكتبة الميقات، طهران، ١٤٥٣ هـ.ق.

١٩. علي، عبد الرحيم محمد، آغابزرگ الطهراني حياته وآثاره ١٩٩٣-١٣٨٩ هـ / ١٨٧٥-١٩٧٠، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، ١٩٧٠.

٢٠. الغريفي، محمود، فاجعة سامراء، شبكة الفكر، ٢٠٠٧.

٢١. الكاظمي، محمد مهدي الموسوي الأصفهاني، أحسن الوديعه في تراجم

مشاهير مترجمي الشيعة أو الباقيات الصالحات في تميم روضات الجنات، ج ١، ط ٢، مؤسسة تراث الشيعة، مطبعة زيتون، قم، ١٤٣٧ ق/ ١٣٩٤ ش.

٢٢. الكرخي، نبيل محمد حسن، الوجود الشيعي في سامراء عبر التاريخ، الإصدار الأول، ١٤-١١-٢٠١٥.

٢٣. لغة العرب (مجلة)، ج ٤، الرابع من شوال ١٣٢٩ / تشرين الأول ١٩١١، السنة الأولى.

٢٤. المحلاتي، ذبيح الله، مآثر الكبراء، مجلد ٢، انتشارات المكتبة الحيدرية، ١٣٨٤ ق/ ١٤٢٦ هـ.

٢٥. المنصوري، سامي ناظم حسين، سامراء في السالنامات العثمانية دراسة في أوضاعها العامة ١٨٤٩-١٩١٧، مركز تراث سامراء، مطبعة دار الكفيل، النجف الأشرف، ٢٠١٧.

٢٦. نصار، صاحب محمد حسين، المرجعية الدينية في سامراء، مجلة ينابيع، العدد ٥٦، جمادى الأولى-جمادى الثانية ١٤٣٥.

٢٧. النقيب، امثال كاظم، تخطيط وعمارة العتبة العسكرية في سامراء المقدسة، مجلة لآك، كلية الآداب، جامعة واسط، العدد ٤٦، نيسان ٢٠٢٢.

٢٨. الوردي، علي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج ٣، ١٩٧٢.

٢٩. النقيب، امثال كاظم، تخطيط وعمارة العتبة العسكرية في سامراء المقدسة، صفحات متعددة.



البحث الثالث

الأبعاد الفقهية والاجتماعية عند

المجدد الشيرازي قائماً في سامراء

(فتوى التباك إنموذجا)

م. د. سلام باقر كاظم

جامعة القادسية - كلية التربية



الملخص :

يقدم هذا البحث أنموذجا حضارياً لتفاعل المرجعية الدينية مع المجتمع وتصديها للمخططات الاستعمارية من خلال سلاح الفتوى، وهذا ما حدث في مدينة سامراء في العراق حينما أصدر فتواه التاريخية لمناهضة الاستعمار البريطاني. إنَّ الأحكام الولاية التي يستبطنها الفقيه تخضع للظروف الزمانية والتي تعالج واقعا ما أو مشكلة معينة تواجه المجتمع .. إنَّ ثورة التنبك التي كانت على يد المرجعية في سامراء آنذاك قد جعلت الأواصر الدينية عابرة للقومية والمناطقية لأنها تمس جوهر المسلمين، وهذا ما يحققه البحث من مطالب فقهية وأبعاد سياسية .

الكلمات المفتاحية: ثورة التنبك، حوزة سامراء العلمية، المجدد الشيرازي.

المقدمة:

إنّ العطاء المعرفي والعلمي لمدينة سامراء والذي لايزال صداه مؤثراً على الساحات والحلقات العلمية والاجتماعية باعتبار وجود علمين من أعلام الدين والمذهب متجسد بالإمامين الهامين علي الهادي والحسن العسكري عليهما السلام انبثق ذلك العطاء بأنوارهما المتثلثة إلى السماء وبتلامذتهما من علماء مذهب أهل البيت عليهم السلام، ولاسيما العالم والمرجع السيد محمد حسن الشيرازي تبرك الذي غير وجهة الأنظار العلمية من النجف إلى سامراء بجوار الإمامين عليهما السلام.

من أكثر الفترات الزمنية تأثيراً في الواقع العراقي على الصعيد الفقهي والسياسي والاجتماعي هي ما حققه الميرزا الشيرازي تبرك من حركة فقهية نوعية بتأسيس مدرسته العلمية في سامراء، وبالفتوى التاريخية التي أطلقها مناهضا بها الاستعمار البريطاني على أرزاق الشعب الإيراني بما تسمى (ثورة التبناك)، لذا ينزع هذا البحث للإجابة عن الأسئلة الآتية: كيف حقق السيد الشيرازي الأثر العلمي الفقهي في مدينة سامراء بتأسيسه لحوزته هناك؟ كيف تفاعل المجتمع الإسلامي عموماً مع النتاجات العلمية للمرجع الشيرازي، لاسيما في مسألة التبناك؟ ماهو التكييف الفقهي لإصداره تلك الفتوى بتحريم الحلال؟ فكان البحث متقسماً إلى مبحثين وعدة مطالب ومن ثم عدة نتائج.

المبحث الأول: نشأة الحركات العلمية في المجتمع الشيعي و بروز حوزة سامراء

وعلمائها

٢٧٣

المطلب الأول: نشأة الحركات والحوزات العلمية في المجتمع

لقد كانت الحركة العلمية على طوال التاريخ متزامنة مع بروز عدد من العلماء والفقهاء الذين كان دأبهم تنشيط الفكر الإنساني بالعلم والمعرفة، بل إن العمق التاريخي لتلك الحركة العلمية تمتد إلى زمن المعصومين عليهم السلام في أواخر القرن الثاني للهجرة، ففي عهد الأئمة الثلاثة - الإمام الجواد، والهادي، والعسكري عليهم السلام نشأت عدّة مراكز وحوزات علمية^(١)، ومن أبرزها:

١- حوزة النجف: تأسست الحوزة العلمية في النجف على يد الشيخ الطوسي وذلك عند سفره إليها من بغداد سنة ٤٤٩هـ قد شكّلت مرحلة مهمة ومركزاً للحوزة العلمية في الفقه والحديث وسائر العلوم الإسلامية، وذلك أثر توافد طلاب العلوم الدينية إليها، وشكّلوا النواة الأولى للحوزة العلمية منذ الأيام الأولى بعد تخفيف الطوق على مرقد الإمام علي عليه السلام، وكان التحاق وهجرة الشيخ الطوسي سنة ٤٥٠هـ إليها كإطلالة بدر منير على النجوم المضيئة في السماء العلمي في النجف، حيث بعث فيها روحاً جديدةً وأوجد نهضةً علمية لم تعهدها من قبل^(٢).

٢- حوزة قم: على يد الشيخ عبد الكريم الحائري سنة (١٣٤٠هـ - ١٩٢١م) حيث حوت التدوين والتأليف والنشر والتدريس والتلمذ والتي لا تزال تحتفظ إلى اليوم بآثار الأجلاء، فتخرج من هذه الحوزة ثلّة من المحدثين والرواة والمؤلفين، كالشيخ العياشي، والشيخ الكشي، والسمرقند، وغيرهم^(٣).

(١) ينظر: فقه أهل البيت عليهم السلام، ج ٢، ص ٨.

(٢) ينظر: الصالح، عبد الحسين، الحوزات العلمية في الأقطار الإسلامية، صفحات متعددة.

(٣) ينظر: فقه أهل البيت عليهم السلام، ج ٢، ص ٩.

٢- حوزة بغداد: حوزة بغداد العلمية اقترن تأسيسها مع تأسيس العباسيين للمدينة ومع إمامة الإمام موسى الكاظم عليه السلام، وقد تألق نجمها وذاع صيتها خلال المائة عام من عمر الدولة العباسية التي تولى فيها البويهيون الشيعة سدة الوزارة والحكم في بغداد، حيث أنجبت بغداد في تلك الفترة كبار العلماء وفطاحل الفقهاء، كابن الجنيد والشيخ المفيد والسيد المرتضى والشيخ الطوسي، خاض علماء وفقهاء المدرسة البغدادية في شتى العلوم والمعارف الرائجة في ذلك العصر، كالفقه، وأصول الفقه، وعلم الحديث، والكلام والحكمة (الفلسفة)، وتفسير القرآن، والتاريخ والتراجم والرجال فضلاً عن علم الفلك والرياضيات، وغيرها من العلوم^(١).

٣- حوزات أخرى: توالى الحوزات الشيعية في الظهور، كحوزة كربلاء، وحلب، وطرابلس، وجبل عامل، والحلة، وكذلك ظهرت حوزة سامراء.

نشأة الحركة العلمية في سامراء في سنة ١٢٩١ هـ بهجرة الفقيه المجدد الميرزا محمد حسن الشيرازي إلى سامراء، بعد أن أدرك السيد الشيرازي المسؤولية الاجتماعية في إنشاء حوزة علمية لتكون إحدى الحوزات البارزة آنذاك، حيث ازدهرت على يده الحركة العلمية، وتوافدت إليها العلماء والطلبة، وعُمرت فيها المدارس الدينية، واستمرت إلى قرابة عشرين سنة، وهي في أوج حركتها العلمية في مختلف العلوم الدينية، اضمحلت الحركة العلمية فيها شيئاً فشيئاً بعد وفاته سنة ١٣١٢ هـ، وخصوصاً بعد نقل الزعامة الدينية بعده إلى حوزة النجف الأشرف^(٢).

مثل الانتقال التاريخي الذي جاء على يد المجدد الشيرازي إلى نقل المرحوم الشيرازي الكبير مقر زعامته وحلقة درسه إلى سامراء، كان لا بد أن تزدهر الحركة العلمية في هذه المدينة، وأن يتوفر لها جاذب قوي لكبار العلماء وأساتذة أجلاء،

(١) ينظر: آل ياسين، محمد حسن، تاريخ حرم الكاظمين، ص ١٤٣.

(٢) ينظر: الخليلي، موسوعة العتبات المقدسة، ص ٧.

الذين بدؤوا يتوجهون إلى سامراء تباعاً، ويطبقون فيها حلقات دروسهم وأبحاثهم. ويمكن أن يقال في الأسباب الموضوعية التي كانت سبب في انتقاله هي:

أولاً: إرادة الإنفراد لانحياز سامراء مكانياً وبعدها عن مجتمع العلم والعلماء ومحاولة نشر التشيع العلمي في تلك البقعة المقدسة، فيتم له فيها ما لا يتم له في غيرها. ثانياً: محاولة في تشييد المدينة عمرانياً وثقافياً وتسهيل أمور الزائرين الوافدين إليها، ورفع ما كان يقع عليهم من المشقات، حيث كان في عهده قبل سكناه فيها بمنزلة قرية صغيرة، فلما سكنها عمّرت عمراناً فائقاً وبُنيت فيها الدور والأسواق وسكن فيها الغرباء ومن يطلب المعاش وكثر إليها الوافدون وصار فيها عدد من طلاب العلم والمدرسين لا يستهان به .

المطلب الثاني: نبذة عن حياة الميرزا الشيرازي :

ولد السيد محمد حسن الحسيني في شيراز ١٥ جمادى الأولى سنة (١٢٣٠ هـ)، وكان طفلاً حيث فقد والده الميرزا محمود الذي كان من رجال الدين، فتولى تربيته خاله الميرزا حسن الموسوي المعروف بمجد الأشراف^(١). وبعد أن أنهى من إكمال المراحل الأولية سافر إلى أصفهان لإكمال دراسته للسطح العالي في الحوزة حيث كانت مركزاً مشهوراً لدراسة علوم الشريعة آنذاك، وفي سنة (١٢٨٧ هـ) توجه الميرزا الشيرازي لأداء حج الإسلام إلى مكة، والتقى في رحلته بشريف مكة، فبادر شريف مكة إلى زيارة الميرزا، ثم نوى المجدد الشيرازي أن يبقى في المدينة، ولكن لم تكن الظروف مهيئة لذلك، الأمر الذي أدى إلى رحلته إلى مشهد، ولكن في النهاية قرر أن يستقر في سامراء، فشد الرحال إلى هناك، وبقي حتى نهاية عمره في تلك المدينة^(٢).

قرر الانتقال إلى النجف متبركاً بالتشرف بزيارة مرقد الإمام علي عليه السلام، ثم

(١) ينظر: حرز الدين، محمد، معارف الرجال في تراجم العلماء والأدباء، ص ٢٣٧.

(٢) المطلب، أبو الحسن، نجوم الأمة، مجلة نور العلم، ص ٥٦.

حضر عند درس الشيخ محمد حسن النجفي صاحب كتاب جواهر الكلام، وكان الميرزا من خواص تلامذة الشيخ الأنصاري، وفي خلال ملازمته لدرس الشيخ الأنصاري توطدت العلاقة بينه وبين أستاذه إلى درجة أن أخذ الشيخ يعظمه بمحضر طلابه، وكان الشيخ الأنصاري يقول بأبي أبا حث لثلاثة أشخاص: الميرزا الشيرازي، والميرزا حبيب الله الرشتي والآغا حسن الطهراني^(١). أسس الميرزا الشيرازي حوزة سامراء العلمية، هي إحدى الحوزات العلمية التي نشأت بعد هجرة الميرزا محمد حسن الشيرازي المعروف بالمجدد الكبير في سنة (١٢٩١هـ) إلى سامراء، حيث ازدهرت على يده الحركة العلمية، وتوافدت إليها العلماء والطلبة، وعُمرت فيها المدارس الدينية، واستمرت إلى قرابة عشرين سنة، وهي في أوج حركتها العلمية في مختلف العلوم الدينية. اضمحلت الحركة العلمية فيها شيئاً فشيئاً بعد وفاته عام (١٣١٢هـ)، وخصوصاً بعد نقل الزعامة الدينية بعده إلى حوزة النجف الأشرف^(٢)، توفي الميرزا يوم الإثنين ٢٤ شعبان عام (١٣١٢هـ) عن عمر ناهز ٨٢ سنة، وشيعه المسلمون من سامراء إلى النجف الأشرف، ودفن في مدرسته التي تقع في جنب الصحن الحيدري^(٣).

المطلب الثالث: بروز علماء مدرسة الميرزا الشيرازي وطلابها:

أسس الميرزا الشيرازي مدرسة كبيرة في سامراء واختار لها مكاناً كان خاناً لنزول الزائرين فبناها مدرسة علمية سنة (١٣٠٨هـ) ومساحتها ١٢٨٤م^٤ مؤلفة من طابقين تضم ٨٠ حجرة وثلاثة سرايب ونزلها نحو ٤٠٠ طالباً وكانت من أكبر المدارس في العراق في ذلك العهد وخرّجت أكثر من ١٠٠ عالماً، وكُتبت وألّف فيها

(١) المدني، السيد محمود، الميرزا الشيرازي، محيي قدرة الفتوى، والطباعة، ص ٣٢.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) النوري، الميرزا النوري، النجم الثاقب، ج ١، ص ٢٨.

أكثر من ٤٤ كتاباً إسلامياً في المذهب الشيعي^(١).

إنّ هناك الكثير من علماء الشيعة في سامراء فمنهم زائر أو طالب للعلم أقام بها مدة ورجع إلى بلده أو استوطنها ودفن فيها بعد وفاته ومن هؤلاء العلماء:

١- الشيخ قاسم بن الشيخ محمد بن الشيخ ناصر بن ملا جاسم الغراوي، هاجر مع أستاذه السيد المجدد الشيرازي إلى سامراء وتوفي بها سنة (١٣٠٦هـ) ودفن عند مدخل الحضرة العسكرية.

٢- الشيخ محمد حسن بن الحاج محمد صالح آل كبة الربيعي، ولد في الكاظمية سنة ١٢٦٥هـ وترك التجارة ودرس على يد السيد المجدد بسامراء وبقي فيها ٤١ عاماً وألف نحو خمسين مؤلفاً.

٣- الشيخ الميرزا علي نجل السيد المجدد الشيرازي ولد سنة (١٢٨٧هـ) وأخذ عن خمسين مجتهداً وقام مقام أبيه بسامراء ورجع إلى النجف وتوفي به سنة (١٣٥٥هـ).

٤- الشيخ باقر بن علي بن حيدر المتفقي من سوق الشيوخ المتوفى بالشعبية سنة (١٣٣٣هـ) والمدفون بالنجف الأشرف، درس على يد السيد المجدد والآخوند بسامراء وأعقب الشيخ جعفر والشيخ محمد حسين.

٥- الشيخ الفقيه مهدي بن محمد حسين الخالصي، ولد بالكاظمية سنة ١٢٧٧هـ وتوفي مسموماً في مشهد بخراسان سنة (١٣٤٣هـ) ودفن في الصحن الرضوي الشريف، درس على الشيخ محمد حسين الكاظمي والسيد المجدد وشارك في ثورة سنة (١٣٣٨هـ) وأفتى بقتال الإنكليز، وحرّم المشاركة في الانتخابات فنفي إلى الهند ثم الحجاز^(٢).

(١) البلادوي، أياذ، تاريخ التشيع في سامراء، ص ٣٣.

(٢) ينظر: المصدر نفسه.

٦- العلامة الشيخ محمد جواد بن حسن بن طالب البلاغي النجفي ولد سنة (١٢٨٢هـ) وتوفي سنة (١٣٥٢هـ) في النجف الأشرف، أقام في سامراء نحو عشرين سنة وألّف نحو (٣٣) مؤلّفاً وكان من كبار الشعراء.

٧- الفقيه آقا رضا الهمداني توفي سنة (١٣٢٢هـ) ودفن عند رجلي العسكريين عليهم السلام.

٨- زعيم الطائفة الشيخ محمد حسين بن الميرزا عبد الرحيم النائيني ولد سنة (١٢٧٧هـ) ودرس على يد السيد المجدد وأصبح كاتباً له واشترك في حركة الجهاد العراقية ضد الاحتلال البريطاني فنفاه الإنكليز إلى إيران سنة (١٣٣٤م) وعاد إلى النجف مشغلاً بالتدريس والعلم إلى أن توفي فيها سنة (١٣٥٥هـ) ودفن شرق الصحن العلوي الشريف.

٩- الشيخ الميرزا محمد الطهراني بن المحقق الميرزا أبو القاسم ولد سنة (١٢٨١هـ) له مؤلفات ومصنفات، لُقّب بالطهراني العسكري نسبة لدار هجرته إلى سامراء، توفي سنة (١٣٧١هـ) ودفن في رواق الحضرة العسكرية.

١٠- الشيخ سلمان بن سابط بن كريم الغراوي ولد سنة (١٣١٧هـ) سكن سامراء وكان خطيباً وشاعراً، وتوفي فيها سنة (١٣٨٧هـ) ودفن في الروضة العسكرية^(١).

وغيرهم الكثير الذين برزوا في ساحات العلم وكانوا ثماراً طيبة لحوزة سامراء الدينية على يد الميرزا الشيرازي (قدس الله نفسه).

(١) السامرائي، يونس، تاريخ مدينة سامراء ج ٣، ص ٤٠٠-٤٢٠.

المبحث الثاني: فتوى التبناك وأبعادها السياسية والفقهية:

المطلب الأول: فتوى التبناك وأبعادها السياسية :

إنّ من أبرز ما أشتهر به المجدد الشيرازي وذاع صيته في العالم الإسلامي هو وقوفه بوجه المخططات الاستعمارية آنذاك، فقد واجهه تحديات تهدد الواقع الإسلامي وشؤون المسلمين عموماً بالترفة والفقر، وهي قضية (التبناك) فقد بذل فيها الشيرازي موقفاً عظيماً في سبيل إصلاح واقع المسلمين، فلم تمنعه أعباء المرجعية والقيام بدوره العلمي والديني من الوقوف بوجه المستعمرين الذين يريدون سرقة بلاد الإسلام ونشر الفساد والإفساد وزرع الفتنة.

وبالمسؤولية الإيمانية التي كانت على عاتق السيد المجدد رحمته الله باعتباره المرجع العام للمسلمين آنذاك فقد واجه المسلمون في إيران تلك الهجمة الاقتصادية الاستعمارية (ولا يمكن أن نتصور حالة الضعف والوهن ومن ثم القضاء على الإسلام في إيران لولا وفاة الميرزا المجدد الشيرازي بوجه أصحاب هذه المؤامرة الدنيئة والتصدي لهم وكشف مخططاتهم)^(١).

فرغم وجود سلطة وحكومة الدولة العثمانية على مساحات كبيرة من البلاد الإسلامية، إلا أنّ دولاً مثل؛ إيران كانت تتمتع بنوع من الاستقلالية في إدارة الحكم بسبب تعاقب العائلات الملكية الحاكمة على حكمها ومن فترة زمنية بعيدة، لكن هذا لم يستبعد إيران عن الأطماع البريطانية المتعمقة في أكثر الدول في العالم، فكانت تبحث في كلّ الوسائل لزرع جذورها وتهيئة موطئ قدم لها في إيران من خلال حكام إيران آنذاك لاسيما بالتقرب إلى الشاه، في محاولة منها لفرض النفوذ الاقتصادي والسياسي بالتدرج إلى أن يتمكنوا من فرض الهيمنة الاستعمارية بالكامل، وبالتالي الوقوف

(١) الصفّار، محمد، الإمام المجدد الشيرازي بطل شعب وقائد أمة، شبكة النبا على الرابط:

بوجه الهيمنة الروسية - القيصرية في تلك الدول من العالم آنذاك، حيث مثلت إيران المعبر لها نحو "المياه الدافئة" والمصالح الكبرى^(١).

ومن بعض تلك المراحل البريطانية لفرض الهيمنة الاستعمارية من الجانب الاقتصادي قاموا بإغواء الملك ناصر الدين شاه خلال زيارة له لبريطانيا وإقناعه بالتوقيع على معاهدة استثمار التبغ في إيران لمدة خمسين سنة، تمنح إيران بموجبها حق امتياز انتاج وتسويق التبغ في إيران لشركة بريطانية تُدعى "ريجي"، وكان صاحبها من المقربين لرئيس الوزراء البريطاني حينها (اللورد سالزبوري)، وفي عام (١٨٩٠م) وقّع الشاه الإيراني على الاتفاقية التي تنصّ منح الشاه رشوة مقدارها ١٥ الف جنيه استرليني، كما يكون لإيران ٢٥ في المئة من صافي أرباح الشركة،

بالمقابل تنتزع الشركة حق بيع وشراء التبغ والمنتجات المرتبطة به من أيدي الإيرانيين، وبمقتضى هذه الاتفاقية تشتري الشركة المحكرة وحدها كل المحصول من المزارعين، كما بات على تجار التبغ الحصول على إذن من الشركة صاحبة الامتياز والدفع فوراً لها.

تفاقت الأمور بعد أن شعر الشعب الإيراني بالازدراء من آثار هذه الاتفاقية على عملهم، ورزقهم مما دفعهم للتعبير عن استنكارهم، فشهدت مدن كبرى مثل؛ شيراز وتبريز وطهران مظاهر احتجاج من قبل التجار وعلماء الدين وأيضاً المزارعين، علماً أن حوالي ٢٠ في المئة من الإيرانيين آنذاك كانوا يشتغلون بزراعة التبغ، بما يعني أن ملايين من الناس ستكون لقمة عيشهم بيد البريطانيين.

بعد أن وصلت الأخبار من مخاوف تحول المواطن الإيراني المسلم إلى عبد طيّع بيد تاجر بريطاني، الأمر الذي أثار حفيظة المرجع الشيرازي فأرسل برقية

(١) ينظر: النقي، محمد علي، المجدد الشيرازي في سامراء والأبوة الإسلامية، موقع شبكة النبأ الإلكترونية

تحذير ودعوة للانسحاب من هذه الاتفاقية إلى شاه إيران، بيد أن الأخير لم يحفل بها، واستمرت الاحتجاجات، واستخدمت الشرطة العيارات النارية لتفريق المتظاهرين. كانت سامراء في حالة استنفار شديدة من قبل الحوزة العلمية وزعيمها المرجع الشيرازي، فقد جرت مداوولات دقيقة ومناقشات مستفيضة عمّا يجب فعله لمواجهة هذا التهديد الاستعماري، ومع أقل الخسائر في الأرواح، وبعد مضي حوالي أسبوعين من المناقشات بين العلماء والفقهاء في سامراء، أصدر المرجع الديني الأعلى فتواه الشهيرة بتحريم استخدام التبغ في إيران قائلاً: (إستعمال التبناك والتتن حرام بأي نحو كان، ومن استعمله كان كم حارب الإمام المنتظر عليه السلام)، وما هي إلا أيام وتنتشر تلك الفتوى في جميع أرجاء إيران، فأغلقت محال بيع التبغ، وتم تحطيم جميع الأرجيلات في المقاهي، حتى بلغ أصداء الفتوى داخل أروقة القصر، عندما عجز الخدم عن وجود ايرجيلة واحدة للشاه المولع بتدخين الأرجيلة، فجنّ جنونه، وسأل عمن يقف خلف هذا، فأجابوه بأن حريمه قمن بتكسير جميع الأرجيلات في القصر امتثالاً لفتوى المرجع الأعلى بتحريم استخدام التبغ والدخان ممّا أجبر الشاه على إلغاء الاتفاقية والانسحاب منها ليعلو شأن الشعب الإيراني، وتتنكس المؤامرات ضده^(١).

(١) ينظر: الخليلي، أحمد، موسوعة العتبات المقدسة - قسم سامراء - باب مآثر الكبراء في تاريخ

المبحث الثاني: التكيف الفقهي لفتوى التنبك

قامت فتوى المجدد الشيرازي رحمته الله بتفعيل الذهنية الاستنباطية لدى فقهاء الشيعة الإمامية من حيثية تكيفها الفقهي، وجعلها نموذجاً معاصراً للأحكام الولائية أو الحكومية التي تنشأ من قبل الفقيه أو الحاكم الشرعي بلحاظ تشخيصهم مصلحة أو مفسدة اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية .

ويمكن تسليط الضوء على تلك الأحكام بالتعرض لها من خلال ذكر مجمل عن تعريفها وبيان فرقها عن الأحكام الأولية والثانوية مما يساعد على فهم ما قام به السيد المجدد رحمته الله من تحريم ما كان حلالاً باعتبار الرواية الواردة عن علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى بن عبيد، عن يونس، عن حريز، عن زرارة، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الحلال والحرام؟ فقال: (حلالٌ محمدٌ حلالٌ أبداً إلى يوم القيامة، وحرامه حرامٌ أبداً إلى يوم القيامة، لا يكون غيره ولا يجيء غيره)^(١)، بيد أن الحكم الولائي في الفقه الشيعي لم يعنى بوافر الاهتمام، بل لم يشهد تداولاً كبيراً في الساحات العلمية إلا نادراً بما يتناسب مع الأحداث الزمانية المتطلبة لإصدار ذلك الحكم .

١- تعريف الحكم الولائي:

أورد الشهيد الأول (٧٨٦هـ) تعريفاً جاء في سياق تمييزه عن الفتوى قائلاً: (والحكم إنشاء إطلاق أو إلزام في المسائل الاجتهادية وغيرها مع تقارب المدارك فيها مما يتنازع فيه خصمان لمصالح المعاش)^(٢)، يوضح التعريف فيقول بإنشاء تخرج الفتوى، لأنها إخبار، والإطلاق والإلزام نوعاً الحكم، وغالب الأحكام إلزام، وتقارب المدارك في المسائل الاجتهادية يخرج ما ضعف مدركه جداً كالعول، والتعصيب، وقتل المسلم بالكافر، فإنه لو حكم به حاكم وجب نقضه، وبمصالح

(١) الكليني، الكافي، ج ١، ص ٥٨.

(٢) العاملي، محمد مكي، القواعد والفوائد، ج ١، ص ٣٢٠.

المعاش تخرج العبادات فإنه لا مدخل للحكم فيها .

المراد من الحكم ما يعم حكم القاضي وغيره، فيشمل الحكم الحكومي، ومن جملة القرائن على ذلك (الحكم بأن مال التجارة لا زكاة فيه فلا ينقص إذا كان في محل الاجتهاد)^(١).

وعُرف الحكم الولائي أيضاً بإنشاء إنفاذ من الحاكم - لا منه تعالى - لحكم شرعي أو وضعي أو موضوعي في شيءٍ مخصوص^(٢).

إن مورد هذا التعريف هو خصوص الحكم الصادر عن القاضي قد يذهب التوهم إلى أن المراد هو تعريف الحكم القضائي، دون الحكم الولائي والحكومي، ولكن يمكن القول: إن مراده من التعريف المذكور هو مطلق حكم الحاكم، سواء أكان قاضياً أم قائداً وإماماً للمجتمع والشعب، ومن القرائن على ذلك أنه قال في خصوص هذا الحكم: (من هنا لم يكن إشكالٌ عندهم في تعلق الحكم بالهلال والحدود التي لا مخاصمة فيها)^(٣). ومن الواضح أن الحكم بشأن رؤية الهلال يُعدّ من الأحكام الولائية والحكومية، وليس مجرد حكم قضائي. وعلى هذا الأساس إن هذا التعريف هو تعريف مطلق حكم الحاكم.

هناك من الفقهاء الآخرين قد عرفوا الحكم الولائي بشكل آخر، ف قيل في هذا الشأن: (يمكن لولي الأمر أن يتخذ سلسلةً من القرارات طبقاً لما تقتضيه المصلحة الراهنة، وأن يضع بعض القواعد على طبقها، وأن يعمل على تنفيذها في وقتها. وهذه القرارات واجبة التنفيذ، ولها من الاعتبار مثل ما للشريعة، مع فارق أن القوانين السامية ثابتةٌ وغير قابلةٍ للتغيير؛ والقرارات الوضعية قابلةٌ للتغيير، وهي في ثبوتها

(١) السيوري، المقداد، نضد القواعد الفقهية، ج ٤٠، ص ١٠٠.

(٢) النجفي، جواهر الكلام، ج ٤٠، ص ١٠٠.

(٣) المصدر نفسه.

العتبة العسكرية المقدسة في سامراء حاضرة الفكر والتراث (وقائع المؤتمر العلمي الدولي الثالث) / ج ٢

وبقائها تابعةً للمصلحة التي أوجدتها. وحيث إنّ الحياة الاجتماعية للإنسان في تحوُّلٍ وتكامل مستمرٍّ فإنّ هذه القرارات - بطبيعة الحال - تتحوَّل تدريجيًّا نحو الأفضل^(١).

إنّ هذه التعاريف لمفهوم الحكم الولائي ينتج عن أنّها تنقسم إلى قسمين، وهما:
الأوّل: الأحكام الثابتة في الشريعة، وهي ثابتةٌ لا تقبل التغيير ولا التبديل.

الثاني: الأحكام التي تصدر من منطلق الولاية، والتي يتمّ وضعها وتنفيذها على أساس المصلحة الآتية، وإنّ هذه القرارات في بقائها وزوالها تابعةٌ للمصلحة، وتتبدّل بتبدُّل المصلحة^(٢).

إنّ الأحكام الولائية التي تصدر من الفقيه بحسب الظروف الموضوعية التي تحيط به لتحديد الوظيفة العملية للمكلفين وفقاً للمصالح والمفاسد التي يراها تكون لها مساحة محددة وليست مطلقة، فإنّ هناك من الآراء الفقهية الكثير بذلك الشأن ومدى مساحة الولي الفقيه، فإنّ بعض الفقهاء من جعلها محددة بالأُمور الحسبية^(٣)؛ وبعضهم الآخر من جعل الأُمور الحسبية مضافة إلى مسألة الدفاع عن الأراضي الإسلامية^(٤)؛ ولاحظ في آراء بعضهم إقامة الحدود والتعزيرات كإضافة لذلك^(٥)؛ وقال الآخرون منهم: إنّ الحكم الولائي مرتبطٌ بالأُمور الاجتماعية والسياسية^(٦)، وقد كان الميرزا المجدد من ضمن الفقهاء الذين رأوا أنّ الأحكام الولائية ترتبط

(١) الطباطبائي، محمد حسين، بحوث إسلامية، ج ١، ص ١٦٤.

(٢) ينظر: المصدر نفسه.

(٣) ينظر: نجفي، محمد علي، رسالة في الولاية، ص ٤٥٤، تحقيق: محمد كاظم رحمان ستايش، وينظر: مهدي مهريزي، المطبوعة ضمن (رسائل في ولاية الفقيه)، صفحات متعددة.

(٤) ينظر: كاشف الغطاء، جعفر، كشف الغطاء، ج ٤، ص ٣٣٣.

(٥) ينظر: النراقي، المولى أحمد، عوائد الأيام، ص ٧٥ و ١٠٢، وينظر: مهدي، مهريزي، (رسائل في ولاية الفقيه)، صفحات متعددة.

(٦) ينظر: القمّي، محمد المؤمن، الولاية الإلهية الإسلامية أو الحكومة الإسلامية، ج ٣، ص ٥٢٥.

بالأوضاع السياسية وما يتطلبه الأمر من تدخل القرار الحاسم لمنع التجاوزات وتحديد الحدود وبولاية الفقيه المطلقة، ومن خلال تتبع كلمات الفقهاء وجد قولان رئيسان بين القائلين بولاية الفقيه المطلقة، وهما:

القول الأول - إن مساحة الحكم الولائي تختزل ضمن إطار الأحكام الشرعية، وإن الولي الفقيه ليس سوى منفذٍ للأحكام الشرعية، ولا يمكنه وضع حكم خارج إطار الأحكام الشرعية^(١).

القول الثاني - إن دائرة الحكم الولائي لا تنحصر ضمن إطار الأحكام الشرعية، ويمكن للولي الفقيه إذا رأى مصلحة خارج نطاق الأحكام الشرعية يصدر الحكم أيضاً (... إذا كانت دائرة صلاحيات الحكومة منحصرة ضمن إطار الأحكام الفرعية فقط وجب أن يكون عرض الحكومة الإلهية والولاية المطلقة المفوضة إلى النبي الأكرم ظاهرة بلا معنى ولا مضمون؛ وذلك لأن هذا سترتب عليه محاذير لا يمكن لأحد أن يلتزم بها، من قبيل: شق الطرق المستلزم للتصرف في المنازل الواقعة أمامها، والتجنيد وإجبار الأفراد على أداء الخدمة العسكرية، والمنع من دخول أو خروج العملة الصعبة، ومنع الاحتكار في غير الموارد المنصوصة، والجمارك والضرائب، والمنع من رفع الأسعار، والمنع من توزيع المخدرات والإدمان، وحمل السلاح، وغير ذلك الكثير مما يدخل في دائرة صلاحيات الدولة... ومن هنا يمكن للحاكم أن يزيل مسجداً أو بيتاً من أجل توسيع الطريق، مع دفع ثمنه إلى صاحبه، كما يمكن للحاكم أن يعطل مسجداً عند الضرورة... كما يمكن للحكومة أن تفسخ العقود المبرمة مع الأشخاص من طرف واحد إذا كانت مخالفة لمصلحة البلاد والإسلام... ويمكن للحكومة أن تعطل الحج بشكل مؤقت - رغم أنه من الفرائض الإسلامية الهامة -

عندما يكون مضرّاً بمصلحة الدولة الإسلامية...^(١).

إنّ منطقة الفراغ التشريعي التي قد تحدث بمسألة ما لم تذكر في كتب ومصادر الاستدلال والتي تتعامل مع الأحكام الشرعية الثانوية فقد يرى بعض الفقهاء أن الحكم الولائي يعتبر من الأحكام الثانوية وأنّ تلك المنطقة لا تمثل نقصاً بالمنظومة التشريعية الإسلامية مستدلين بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(٢) بوصفه دليلاً شرعياً على مشروعية حكم الولي الفقيه والحكومة الإسلامية (حدود منطقة الفراغ التي تتسع لها صلاحيات أولي الأمر تضمّ في ضوء هذا النصّ الكريم كلّ مباح تشريعي بطبيعته، فأيّ نشاط وعمل لم يرد نصّ تشريعي يدلّ على حرمة أو وجوبه يسمح لولي الأمر بإعطائه صفة ثانوية بالمنع عنه أو الأمر به. فإذا منع الإمام عن فعل مباح بطبيعته أصبح حراماً، وإذا أمر به أصبح واجباً. وأمّا الأفعال التي ثبتت تشريعياً تحريمها بشكل عامّ فليس من حقّ ولي الأمر الأمر بها. كما أنّ الفعل الذي حكمت الشريعة بوجوبه لا يمكن لولي الأمر المنع منه... فألوان النشاط المباحة بطبيعتها في الحياة الاقتصادية هي التي تشكّل منطقة الفراغ)^(٣).

٢- فعالية الأحكام الولائية في المسائل الاجتماعية المستحدثة وحلولها:

يذكر السيد المجدد الشيرازي توجيهها لدور تلك الاحكام المهمة في المجتمع التي تصدر من قبل الولي الفقيه في معالجة شتى المشاكل الاجتماعية وما يحيط بالمجتمع من مناحي اجتماعية واقتصادية وغيرها، ولكن قد يطرح تساؤل هو هل أن المشاكل والمسائل المستحدثة في المجتمع يتم حلّها بأجمعها بهذا الطريق والأسلوب الفقاهتي، أم هناك طريق آخر لإيجاد الحلول؟

(١) الخميني، صحيفة إمام (صحيفة الإمام) ج ٢٠، ص ٤٥١ - ٤٥٢.

(٢) سورة النساء، الآية ٥٩.

(٣) الصدر، محمد باقر، محمد باقر الصدر، اقتصادنا، ص ٨٠٤.

بعض من العلماء وجد بالأدلة الشرعية إن جميع المسائل المستحدثة التي تظهر بفعل التحولات الزمانية والمكانية إنما يمكن حلها من طريق الأحكام الولائية ولا سبيل آخر لها .

يذكر العلامة الطباطبائي في بيان شرعي أنّ احتياجات الإنسان تنقسم إلى قسمين، وهما:

١- احتياجات تنشأ من فطرة الإنسان وطبيعته وهي ثابتة لا تتغير .

٢- احتياجات بفعل المتغيرات والظروف الزمانية والمكانية وهي تظهر عادة بتطور الزمان وتغير المكان .

ووفقاً لهذه الاحتياجات الإنسانية يتولد لدينا نوعان من الأحكام، وهما:

أولاً- الأحكام الثابتة التي على أساس خلق الإنسان وحاجاته الفطرية والطبيعية، ويتمّ إبلاغها إلى النبي الأكرم وهي ثابتة بالجعل الإلهي .

ثانياً- الأحكام المتغيرة التي تكون على أساس الاحتياجات الزمانية والمكانية المتجددة بحسب مقتضيات تجدد الزمان والمكان وهي بيد الولي الفقيه وخاضعة للأحكام الولائية وأنّ هذه الأحكام المتغيرة تلبي المسائل والاحتياجات المتغيرة في كلّ زمانٍ ومكان، وتعمل على رفع حاجات المجتمع الإنساني، دون التعرّض إلى الأحكام الإسلامية الثابتة بالنسخ والإبطال^(١) .

ويتوصل المجدد الشيرازي إلى رأيه في هذه المسألة واعتبر الأحكام الولائية - بوصفها عناصر متحركة في نظام التشريع الإسلامي - تلبية لجميع المسائل المستحدثة في المجتمع بما يراعي فيها مصالحهم وضروريات معاشهم^(٢) .

(١) ينظر: الطباطبائي، بحوث إسلامية، ج ١، ص ٨٤.

(٢) الخميني، الحكومة الإسلامية (ولاية الفقيه)، ص ١١٣.

المبحث الثالث: الآثار الاجتماعية لفتوى السيد المجدد :

إنّ فتوى السيد الشيرازي رحمته الله قد أحدثت أثراً واضحاً في المجتمع الإسلامي آنذاك فبالرغم من أنّ صدور تلك الفتوى خاص بالأحداث السياسية التي في إيران وما أسفر عنها من تفاعلات ونتائج أثّرت بشكل أساسي في المجتمع الإيراني، فقد كان لها صدىً قوياً في العراق باعتبار أنّ السيد كان في سامراء، ولا سيما في المناطق والمدن الشيعية، الذي كانت من بين أسبابه تشابك العلاقات بين هذه المناطق والمدن وإيران، وانعكاس الأحداث عليها، وكذلك بسبب التدخل للمرجع الأعلى - الذي مقره في العراق - في القضية، وتزعمه للانتفاضة^(١).

أمّا في المناطق الشيعية العراقية فقد اهتم أهل العراق بتلك الأحداث اهتماماً كبيراً. وعلى مستوى الحوزات والحلقات والمدارس العلمية فإنّها قد أثارت الفكر والجانب السياسي أيضاً، لاسيما حول دور ولاية الفقيه في معالجة الأمور الحرجة التي تحصل في المجتمع ... وهكذا مثلت الفتوى التي أصدرها الإمام الشيرازي، وتدخله المباشر في قضية التنباك، والانتفاضة المتولدة عنها، إحدى أهمّ المواقف والنشاطات الفكرية والسياسية للعلماء المسلمين الشيعة في العراق في أواخر القرن التاسع عشر، وشكلت مظهراً رئيسياً من مظاهر الاتجاه الثقافي الفكري السياسي الإسلامي^(٢).

ويمكن قياس مدى التأثير العام الذي أثارته الفتوى من خلال الدور الذي قام به السيد جمال الدين الأفغاني مع أحد قادة الانتفاضة في إيران، أثناء وجودهما في العراق، فخلال تلك الأحداث، كان الأفغاني الذي أبعده حديثاً من إيران، قد وصل البصرة، ومن هناك كتب بالتعاون مع المجتهد السيد علي أكبر الشيرازي - أحد زعماء

(١) ينظر: الروزدری، علي، تقريرات آية الله المجدد الشيرازي، ج ١، ص ٤٠ - ٤٧.

(٢) المصدر نفسه.

الانتفاضة - الذي كان قد تسلل إلى البصرة من إيران رسالة موجهة إلى الإمام السيد حسن الشيرازي في سامراء، يذكران له فيها مظالم الشاه الكثيرة للشعب الإيراني، لكن ما أن شاع أمر هذه الرسالة - بسبب مضمونها التحريضي - بين الناس في العراق حتى سارعوا إلى استنساخها وتداولها وتوزيعها على كثير من المدن العراقية، ولا سيما العتبات المقدسة، وقد كان لها تأثير كبير بشكل خاص في مدينة النجف^(١).

ويمكن تلخيص ما قام به السيد المجدد الشيرازي على المستوى الاجتماعي ودوره المؤثر من خلال عدة أمور:

أولاً - إعطاء رسالة واضحة وصریحة لجميع أبناء المذاهب في العالم الإسلامي بأن المرجعية الشيعية العليا تقف مع الجميع بدون تمييز لمة أو مذهب وهذا هو شعار الإسلام الحنيف .

ثانياً - أثارت فتوى السيد الشيرازي الأفكار العلمية وجعلت نظرية ولاية الفقيه على مستوى من مستويات البحث العلمي الرصين نظراً لتطبيقاتها المؤثرة في الساحة الإسلامية.

ثالثاً - وبالنظر إلى موقع السيد المجدد آنذاك في العراق وفي سامراء واتخاذها مكاناً لإدارة الشؤون الإسلامية عموماً قد رسخ مفهوم وحدة الشعوب واتصالها بروح الإسلام، وإن قضية ثورة التنبك من أهم القضايا الساخنة التي تعرضت لها مرجعية المجدد الشيرازي، وكان موقفه الجريء يمثل انتفاضة عارمة ضد السلطة حينذاك، وأكدت أن (سلطان الدين أقوى من كل سلطان)^(٢).

(١) ينظر: الروزدری، علی، تقریرات آیه الله المجدد الشيرازي، ج ١، ص ٤٠ - ٤٧.

(٢) ينظر: الوردی، علی، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق، ج ٣، ص ٩٧.

النتائج:

ولابد لكلِّ بحث من نتائج تكون الثمرة المرجوة من مطالبه ومباحثه، فيمكن أن يثبت الباحث عدة نتائج قد توصل إليها وهي:

أولاً- التفاعل المعرفي بين الفقهاء يكون نتيجة لموضوع ما يثمر نتاجاً إضافياً وعطاءً علمياً يضفي بظلاله على الحوزات العلمية ويستمر إلى مرحلة النضج .

ثانياً- البيئة التي عاشها السيد المجدد الشيرازي آنذاك مثلت مرحلة مهمة من مراحل الوقوف ضد الهيمنة الاستعمارية وفتحت الباب للتعاطي مع الثوار بفتواه التاريخية وبيّنت مدى التفاعل الجماهيري مع الحوزة العلمية المتمثلة بمرجعية الميرزا في سامراء .

ثالثاً- الأحكام الولائية هي المساحة المفتوحة التي يتحرك فيها الفقيه لمعالجة المشاكل الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والتي تتحدد تبعاً للظروف الزمانية والمكانية بما تمثل مرونة في التعاطي مع التشريع .

رابعاً - مثلت مدينة سامراء مركزاً حضارياً وعلمياً في فترة مرجعية الميرزا الشيرازي بنقل إدارة شؤون المسلمين إليها، وهذا صار واضحاً في مرحلة إصدار فتوى التنبك التي تفاعل معها جميع المسلمين مع أنّها خاصة بالشعب الإيراني .

خامساً- بالعلم والمعرفة تنمو البلاد وتعمر الأوطان، فسامراء مع كونها بعيدة عن مركز البلاد (بغداد) إلا أنّها نمت وذاع صيتها بفضل الانتقال التاريخي للسيد الميرزا الشيرازي وتحويل أنظار العالم الإسلامي إليها.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

- ١- آل ياسين، محمد حسن، تاريخ حرم الكاظمين، ترجمه: غلام رضا اكبري، نشر مؤسسة الامام الرضا للطباعة، مشهد، إيران، ١٣٧١ هـ .
- ٢- البلداوي، إياد، تأريخ التشيع في سامراء، نشر: مؤسسة البلداوي للطباعة والنشر، ط ١، الكاظمية، بغداد، ٢٠٠٨ م.
- ٣- التقي، محمد علي، المجدد الشيرازي في سامراء والأبوة الإسلامية، موقع شبكة النبا الإلكترونية .
- ٤- حرز الدين، محمد، معارف الرجال في تراجم العلماء والأدباء، تعليق: محمد حسن حرز الدين، قم، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم، إيران، ١٤٠٥ هـ.
- ٥- الخليلي، أحمد، موسوعة العتبات المقدسة - قسم سامراء - باب مآثر الكبراء في تاريخ سامراء، نشر: مؤسسة الأعلمي، ط ٢ (٢٠٠٩ م) بيروت - لبنان .
- ٦- الخميني، روح الله، صحيفة الإمام، نشر: مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني، طهران، إيران، ١٣٨٧ هـ .
- ٧- الروزدری، علي، تقارير آية الله المجدد الشيرازي، نشر: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم، إيران، ١٤٠٩ هـ
- ٨- السامرائي، يونس، تاريخ مدينة سامراء، نشر: المجمع العلمي العراقي، ط ١ بغداد، العراق، ١٩٧٠ م .
- ٩- السيوري، المقداد، نضد القواعد الفقهية، نشر: مكتبة آية الله المرعشي النجفي، ط ١، قم، إيران، ١٩٩٩ .

- ١٠- الصالحى، عبد الحسين، الحوزات العلمية في الأقطار الإسلامية، نشر: دار العلم للناهين، بيروت، لبنان، ٢٠٠٤ .
- ١١- الصدر، محمد باقر، اقتصادنا، نشر: مركز الأبحاث والدراسات التخصصية للشهيد الصدر، قم، إيران، ١٤٢٤ هـ.
- ١٢- الصفرار، محمد، الإمام المجدد الشيرازي بطل شعب وقائد أمة، شبكة النبأ على الرابط: <https://annabaa.org>.
- ١٣- الطباطبائي، محمد حسين، (بحوث إسلامية)، إعداد: هادي خسرو شاهي، نشر: بوستان كتاب، قم، إيران، ١٤٠٣ هـ.
- ١٤- العاملى، محمد مكي، القواعد والفوائد، نشر: مكتبة الداوودي، ط ١، قم، إيران، ١٩٨٠ .
- ١٥- القمي، محمد، الولاية الإلهية الإسلامية أو الحكومة الإسلامية، نشر: مؤسسة النشر الإسلامي، قم، إيران، ١٤٢٩ هـ.
- ١٦- كاشف الغطاء، جعفر، كشف الغطاء، تحقيق مكتب الإعلام الإسلامي، نشر: بوستان كتاب، قم، إيران، ١٣٨٠ هـ.
- ١٧- الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، نشر: مركز بحوث دار الحديث، ط ١، بيروت، لبنان، ١٤٠٣ هـ.
- ١٨- مجلة فقه أهل البيت عليه السلام، نشر: مؤسسة المعارف، العدد (٤٦) لسنة (١٤٠٧ هـ) قم، إيران .
- ١٩- نجفي، محمد علي، رسالة في الولاية، تحقيق: محمد كاظم رحمان ستايش ومهدي مهريزي، المطبوعة ضمن (رسائل في ولاية الفقيه)، نشر: بوستان كتاب، ط ١، قم، إيران، ١٣٨٤ هـ.

٢٠- المدني، محمود، اية الله الميرزا الشيرازي، محيي الفتوى، نشر: مركز الإعلام الإسلامي للنشر والطباعة، ط ١ (١٤٣٢هـ) قم، إيران .

٢١- المطلبي، أبو الحسن، نجوم الأمة، مجلة نور العلم، العدد (١٥) لسنة (١٤٠٨هـ) قم، إيران .

٢٢- النجفي، محمد حسن، جواهر الكلام، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ٢٠١٠م .

٢٣- النراقي، أحمد، عوائد الأيام، تحقيق: محمد كاظم رحمان ستايش ومهدي مهريزي، المطبوعة ضمن (رسائل في ولاية الفقيه)، نشر: بوستان كتاب، ط ٢، قم، إيران، ١٣٨٤هـ .

٢٤- النوري، حسين، النجم الثاقب في أحوال الإمام الغائب، نشر: مؤسسة الأعلمي، ط ٢، بيروت، لبنان، ١٤٢٠هـ .

٢٥- الورددي، علي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق، نشر: دار الوراق للنشر، ط ٢، بغداد، العراق، ١٩٩٩ .



البحث الرابع

من نفايس تراث مدرسة سامراء العلمية الدينية: منتخب الرسائل وتعريبه

الميرزا علي سليمان البروجردي

أستاذ السطوح العالية في الحوزة العلمية بقم المقدسة

باحث ومحقق ومؤلف في الفقه والتراجم والكلام والتفسير والفلسفة

الشيخ علي عزيزپوريان البروجردي

أستاذ السطوح العالية في الحوزة العلمية بقم المقدسة

باحث ومحقق ومؤلف في الفقه والأصول والحديث والكلام



ملخص البحث:

إن كتاب منتخب الرسائل وتعريبه يعدّ من الرسائل العملية المختصرة المعروفة في القرن المنصرم، حيث كان عليه مدار الفتوى والعمل من كثير من الفقهاء الكبار والمراجع العظام، وقد أُلّف أولاً طبقاً لفتاوى السيّد صاحب العروة قُدِّسَتْ بالفارسية فعلّق عليه الشيخ عبد الكريم الحائري قُدِّسَتْ كما علّق عليه أكثر من تأخر عن السيّد اليزدي رحمته، ومن ثمّ حرّر الكتاب تحريراً ثانياً طبقاً لفتاوى الشيخ المؤسس الحائري رحمته وترجم إلى العربية، وحيث كان الكتاب من نفائس ما يرتبط بمدرسة سامراء العلمية وكانت لغة المتن بغير العربية ومؤلفها والمترجم لها، كلاهما من تلامذة المجدد الشيرازي قدس سرّه قمنا بالتعريف بالكتاب وتعريبه في هذا المختصر، وفتحنا ملفّ التحقيق حول الكتاب بعد أن عرفنا الكتاب تعريفاً مختصراً، لأنّ الكتاب مع وجازته يشتمل على جميع أبواب الفقه بلغة سهلة يغني القارئ عن الكتب المطوّلة.

الكلمات المفتاحية: منتخب الرسائل، تعريب منتخب الرسائل، السيّد صاحب العروة، الشيخ عبد الكريم الحائري، الميرزا المجدد الشيرازي، حوزة سامراء العلمية.

بسم الله الرحمن الرحيم

مدرسة أهل البيت عليهم السلام والتأليف:

إنّ مدرسة أهل البيت عليهم السلام منذ بعثة نبينا الأعظم صلى الله عليه وآله كانت ولا تزال مهمّة بالكتابة بدءاً من أمير المؤمنين صلوات الله عليه، وهو خير البشر بعد الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله حتى الآن، امتثالاً للأمر النبوي الشريف صلى الله عليه وآله، حيث روى الصفار والشيخ الصدوق والشيخ الطوسي رحمهم الله تعالى بأسانيدهم إلى أبي الطفيل - واللفظ للصدوق، عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر، عن آبائه عليهم السلام: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله لأمر المؤمنين عليهم السلام: اكتب ما أملي عليك، فقال: يا نبي الله، أتحاف علي النسيان؟ قال: لست أخاف عليك النسيان، وقد دعوت الله لك أن يحفظك ولا يُنسيك، ولكن اكتب لشركائك، قال: قلت: ومن شركائي، يا نبي الله؟ قال: الأئمة من ولدك، بهم تُسقى أمتي الغيث، وبهم يُستجاب دعاؤهم، وبهم يصرف الله عنهم البلاء، وبهم يُنزل الرحمة من السماء، وهذا أولهم، وأوماً بيده إلى الحسن بن علي، ثم أوماً بيده إلى الحسين عليه السلام، ثم قال: والأئمة من ولده^(١)».

ومن ثمّ كانت هذه المدرسة تهتمّ بحفظ الكتب وروايتها ونشرها ودراساتها وتكريم العالم والمتعلّم .

إذا عرفت هذا، فاعلم أنّ علماء مدرسة أهل البيت عليهم السلام وفقهائها معروفون بالتأليف والتصنيف والتحقيق منذ الصدر الأوّل للإسلام، وكتب التراجم والفهارس خير شاهدٍ على صدق ما ادّعيناه، فهم بالهَمَم الصاعدة حازوا قصبات السبق في ميدان العلم، فكانوا ولم يزالوا صُوراً مشرقةً للإسلام المحمّدي صلى الله عليه وآله، قد تظافرت الروايات عن معادن علم الله تبارك وتعالى، آل الله الأطهار عليهم أفضل الصلاة وأزكى السلام في الحثّ على حفظ العلم وتقييده بالكتابة حتى بان فضل كثير

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ج ٣٦، ص ٢٣٢، ح ١٤.

من أصحابهم العظام في العلم في وقتٍ مُبَكَّرٍ، فمنها: ما رواه ثقة الإسلام الكليني والشيخ محمد بن الحسن بن الوليد رحمهما الله بإسنادهما إلى المفضل بن عمر، قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: «اكتب وبث علمك في إخوانك؛ فإن مت فأورث كتبك بنيك، فإنه يأتي على الناس زمان هرج لا يأنسون فيه إلا بكتبهم»^(١).

ومنها: ما رواه عاصم بن حميد الحنّاط، قال: سمعت أبا بصير، يقول: قال أبو عبد الله عليه السلام: «اكتبوا؛ فإنكم لا تحفظون إلا بالكتاب»^(٢).

ورواه ثقة الإسلام الكليني رحمته الله أيضاً بإسناده إلى عاصم بن حميد^(٣).

فمن التصانيف المعروفة في عصر الصادقين عليهم السلام نذكر كتاب الصلاة لحريز بن عبد الله السجستاني^(٤)، وكتاب عبيد الله بن علي بن أبي شعبة الحلبي الذي نال بشرف تأييده من قبل الإمام الصادق عليه السلام^(٥)، وكتاب يوم وليلة ليونس بن عبد الرحمن الذي نال بشرف تأييده من قبل الإمام الحسن الزكيّ العسكري صلوات الله عليه^(٦).

ثم توالى تصانيف العلماء حتى امتلأت بيوت الشيعة قبل غيبة الإمام القائم المنتظر المأمول المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف ببعضها، وتداولت الاستفادة منها، وهذه المسيرة المباركة كانت مستمرة ولا تزال حتى عصرنا، وإن حصيلة أعمار علمائنا رحم الله الماضين منهم وحفظ الباقيين المثمرة هو ما نلاحظ من تأليفهم المؤلفات

(١) الكليني، الكافي، ج ١، ص ٥٢، ح ١١٠. وينظر: كشف المحجّة لثمرة المهجة، ص ٨٣.

(٢) المجلسي، بحار الأنوار، ج ٢، ص ١٥٣، ح ٤٦٠. وينظر: النوري، الميرزا حسين، مستدرک الوسائل، ج ١٧، ص ٢٨٥، ح ٢١٣٥٩ و ٤١٣، ح ٢١٧٠١.

(٣) الكليني، الكافي، ج ١، ص ٥٢، ح ٩.

(٤) ينظر: النجاشي، الشيخ أبو العباس أحمد ابن علي، رجال النجاشي، ص ١٤٤، رقم ٣٧٥.

(٥) ينظر: المصدر نفسه، ص ٢٣٠، رقم ٦١٢.

(٦) ينظر: الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج ٢٧، ص ١٠٠، ح ٣٣٣٢٠.

الكثيرة كتاباً ورسالةً وحاشيةً، وقد طبع بعضها وكثير منها بقيت مهملةً على رفوف المكتبات، فلم تطبع بعد، حتى جاء عصر مؤسس الحوزة العلمية بقم المقدسة ومشيد بنيانها، أعني: آية الله الملك العلام، شيخ الفقهاء والمجتهدين، الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي رحمته الله الذي يعدّ من خريجي مدرسة سامراء العلمية وروادها، فكان من كتبه في الفقه الفتاوي كتاباً أسماه منتخب الرسائل، فهو مع صغر حجمه كان كثير الفوائد، ولأجل هذا ذاع صيته، واشتهر اسمه، فكتبت عليه حواشي عديدة، فمن ثمّ نقلت من الفارسية إلى العربية وطبع في النجف الأشرف في عصر مؤلفه، وتزامناً مع الذكرى المئوية لتأسيس الحوزة العلمية بقم المقدسة طبعت ونشرت بتحقيقنا - وله الشكر والحمد - مع إدراج حواشي العلّمين سيّد الطائفة آية الله العظمى السيّد حسين الطباطبائي البروجردي وأمثلة الورع والتقوى آية الله العظمى السيّد الميرزا مهدي الحسيني الشيرازي الحائري قدس الله نفسهما.

إطالة على حوزة سامراء العلمية وهجرة الشيخ الحائري إليها:

تأسست حوزة سامراء السامية العلمية الدينية على يدي الفقيه الكبير والأصولي الخبير المحقق المدقق آية الله العظمى السيّد الميرزا محمّد حسن الشيرازي الشهير بالمجدّد الشيرازي قدس الله نفسه الزكية في شهر شعبان سنة ١٢٩١ الهجرية في العقد الثاني من مرجعيته العالمية التي طالت ثلاثة عقود ونيّف، حيث قال ثقة المحدثين الشيخ عباس القمي رحمته الله: «... وهاجر إلى سامراء في شعبان سنة ١٢٩١ هـ، ثم تبعه أصحابه وتلاميذه، فصارت سامراء مباءة للعلم والعمل، ومنبتق الفضيلة والكمال، وأخذ منه كثير من فحول العلماء...»^(١)، فخرّجت تلك الحوزة المشرقة العلمية ثلّة من المجتهدين البارعين بركة جوار الإمامين العسكريين صلوات الله عليها وبهمة الميرزا المجدّد الشيرازي وأصحابه رضوان الله عليهم أجمعين، فمن فحول العلماء البارعين

المستفيدين من رياض علم علماء تلك المدرسة المباركة: آية الله العظمى الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي رحمته الله، إذ كان ينهل من منهل عذب مجاورة الإمامين الهاميين العسكريين عليهما أفضل صلوات الله، فحضر بحوث آيات الله العظام السيد الميرزا محمد حسن المجدد الشيرازي، والميرزا الشيخ محمد تقي الشيرازي الحائري، والسيد محمد الفشاركي الإصفهاني، والميرزا الشيخ إبراهيم المحلّاتي الشيرازي، والشيخ فضل الله النوري رضوان الله تعالى عليهم وقد لازم حلقات دروسهم سنين طوالاً^(١) حتى صار بفضل الله تعالى من أكبر علمائنا العاملين وأفضلهم، وقد كان الميرزا محمد تقي الشيرازي يبجله، ويشير إليه، ويعترف بفضلته ومكانته، حتى أنه أرجع احتياطاته إليه، فلفت ذلك إليه الأنظار، وأحلّه مكانة سامية في النفوس^(٢).

التعريف بكتاب منتخب الرسائل وتحريراته وتعريبه:

إنّ كتاب منتخب الرسائل للسيد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي رحمته الله - صاحب العروة الوثقى - يعدّ من الكتب الفقهية الفتاوية المعروفة في القرن المنصرم في الوسط الشيعي، وقد كان محطّ أنظار الفقهاء العظام، فجعلوه محوراً لنقل فتاويهم بكتابة الحواشي عليه وتحريره، وبتطبيق متنه وفقاً لأرائهم، ومن ثمّ ترجمته ونقله من الفارسية إلى العربية.

قال الميرزا محمد حسن أحمدي فقيه اليزدي رحمته الله متحدثاً عن الكتاب، ما هو تعريبه: «كتاب منتخب الرسائل من المتون القديمة التي ألفت في زمن المرحوم آية الله العظمى الحاج السيد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي رحمته الله، وفقاً لفتاوى وأنظار ذاك الفقيه العظيم الشأن، فصار محوراً لاستناد مقلّديه في العمل.

هذا الكتاب الذي يعمل به أكثر من نصف قرن، ولا يزال يعمل به، كان فقهاًنا

(١) الطهراني، طبقات أعلام الشيعة، ج ١٥: ١١٥٨، رقم ١٦٩٢.

(٢) المصدر نفسه، ج ١٥: ١١٥٩، رقم ١٦٩٢.

العظام منذ تأليفه حتى الآن أيّدوه وكتبوا عليه حواشٍ، فكان من يقلّدهم يرجع إليه أيضاً^(١)..

هاهنا مطالب، نذكرها تباعاً:

أولاً - ما هو أصل الكتاب؟

يبدو من اسم الكتاب: (منتخب الرسائل)، أنّه اختيارٌ وانتخابٌ وتلخيصٌ من كتابٍ آخر أو كتبٍ أخرى، فما هو هذا الكتاب أو تلك الكتب؟

إنّ أوّل من أسمى رسالته العلميّة باسم منتخب الرسائل هو السيّد صاحب العروة الوثقى المرحوم آية الله العظمى السيّد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي قده (ت ١٣٣٧ هـ)، فطبعت لأوّل مرّة في عام ١٣١٠ هـ، وقد طبعت بعده مراراً حتى عصرنا الحاضر.

وقد جاء في عنوان الطبع الأوّل من الكتاب منتخب الرسائل، أنّه تلخيصٌ وخلاصة أنظار وفتاوى والرسالة العمليّة للسيّد صاحب العروة قده، فما هو أوّل رسالة عمليّة مطبوعةٍ للسيّد قده قبل كتابنا المشار إليه، حتى نحسب منتخب الرسائل تلخيصاً واختياراً منه؟

فالظاهر أنّ أوّل رسالة عمليّة للمرحوم السيّد اليزدي قده هو حاشيته على كتاب مجمع المسائل لأستاذه المجدّد آية الله العظمى الميرزا الشيرازي قده - صاحب ثورة التباك، وقد طبعت لأوّل مرّة في عام ١٣١٠ هـ في النجف الأشرف، وطبعت ثانية في عام ١٣١٥ هـ في بومباي، وقد حرّر الكتاب في نفس العام وانتقلت الحواشي إلى المتن فطبع تحريره باسم مجمع الرسائل أيضاً وفقاً لفتاوى السيّد صاحب العروة قده.

(١) اليزدي، السيد محمد كاظم الطباطبائي، منتخب الرسائل، ص ٩، مقدّمة المحقّق.

فعليه، يكون كتاب منتخب الرسائل تلخيصاً واختياراً واختصاراً وانتخاباً من كتاب مجمع الرسائل وحواشي السيد اليزدي رحمته الله عليه.

قال الميرزا محمد حسن أحمدي فقيه اليزدي رحمته الله، ما هو تعريبه: «كان من عصر الآيات العظام السيد الشفتي والكلباسي، ومن بعد صاحب الجواهر، أعني: من زمن الشيخ الأعظم الأنصاري والميرزا الشيرازي رحمهم الله كتباً كثيرة باسم: نخبة، وسؤال وجواب، ووسيلة النجاة، وصراط النجاة، وكتاب مسألة، وسرور العباد، وسراج العباد، وطريق النجاة، وغيرها، وكلها كانت بالفارسية، وربما طبعت مكررة، وقد جمع كلها في زمن المرحوم الميرزا الشيرازي رحمته الله فألف متناً كاملاً من مجموع تلك الكتب باسم: مجمع الرسائل، وقد يسمّى: مجمع المسائل أيضاً، فزيّنه كل من الآخوند الخراساني صاحب الكفاية، والسيد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي صاحب العروة، وغيرهما أعلى الله مقامهم، ومن ثمّ أُلّف كتاب مسائل الرسائل تلخيصاً من تلك الكتب ومن مجمع الرسائل، فسمّي فيما بعد بأسامي متعددة كمنتخب الأحكام، ومنتخب المسائل، ومختصر الأحكام، والكتب كلها في الحقيقة اختياراً من الأحكام الشرعية والمسائل عامة البلوى^(١)».

ثانياً - حواشي الأعلام على منتخب الرسائل

بعد ذياح صيت كتاب منتخب الرسائل للسيد صاحب العروة رحمته الله قام الأعلام من الفقهاء بتذييله بالحواشي الفقهية الفتوائية، وإليك قائمة أسمائهم، فهم آيات الله العظام:

١- الشيخ أحمد كاشف الغطاء النجفي رحمته الله (ت ١٣٤٤ هـ).

توجد نسخة مخطوطة من حاشيته رحمته الله بخط يده الشريفة في مكتبة الإمام كاشف الغطاء رحمته الله العامة بالنجف الأشرف.

(١) اليزدي، السيد محمد كاظم الطباطبائي، منتخب الرسائل، ص ١١-١٢، مقدّمة المحقّق.

- ٢- السيد محمد الحسيني الفيرزآبادي رحمته الله (ت ١٣٤٥ هـ).
- ٣- الشيخ شعبان النجفي الجيلاني الرشتي رحمته الله (ت ١٣٤٨ هـ).
توجد نسخة مطبوعة من حاشيته رحمته الله في مكتبة الفقه والأصول التخصصية بقم المقدسة.
- ٤- السيد حسين الحسيني الجيلاني الرودباري النجفي رحمته الله (ت ١٣٤٩ هـ).
توجد نسخة مطبوعة من حاشيته رحمته الله في مكتبة مجلس الشورى بطهران.
- ٥- الشيخ عبد الله المامقاني رحمته الله (ت ١٣٥١ هـ).
توجد نسخة مطبوعة من حاشيته رحمته الله في مكتبة آستان قدس رضوي (العتبة الرضوية المقدسة) بمشهد المقدس.
- ٦- الشيخ علي بن محمد الشاهرودي النجفي الحائري رحمته الله (ت ١٣٥١ هـ).
توجد نسخة مطبوعة من حاشيته رحمته الله في مكتبة آية الله العظمى السيد شهاب الدين المرعشي النجفي رحمته الله العامة بقم المقدسة وأخرى في مكتبة آستان قدس رضوي (العتبة الرضوية المقدسة) بمشهد المقدس.
- ٧- الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي رحمته الله (ت ١٣٥٥ هـ).
توجد نسخة مطبوعة من حاشيته رحمته الله في مكتبة آية الله العظمى السيد شهاب الدين المرعشي النجفي رحمته الله العامة بقم المقدسة ومكتبة مجلس الشورى بطهران.
- ٨- الشيخ الميرزا محمد حسين النائيني الغروي رحمته الله (ت ١٣٥٥ هـ).
- ٩- الميرزا محمد الهمداني رحمته الله (ح ١٣٥٩ هـ).
توجد نسخة مطبوعة من حاشيته رحمته الله في مكتبة ملي (المكتبة الوطنية) بطهران.
- ١٠- الشيخ آقا ضياء الدين العراقي رحمته الله (ت ١٣٦١ هـ).

توجد نسخة مطبوعة من حاشيته رحمته الله في مكتبة آستان قدس رضوي (العتبة الرضويّة المقدّسة) بمشهد المقدّس وأخرى في مكتبة الوزيري بيزد وثالثة في مكتبة الهرندي بكرمان.

١١- السيّد أبو الحسن الإصفهاني رحمته الله (ت ١٣٦٥ هـ).

توجد نسخة مخطوطة من حاشيته رحمته الله في مكتبة الشيخ آقا بزرك الطهراني صاحب الذريعة رحمته الله بالنجف الأشرف وأخرى مطبوعة في مكتبة آستان قدس رضوي (العتبة الرضويّة المقدّسة) بمشهد المقدّس.

١٢- السيّد محمّد الحجّة الكوهكمري التبريزي رحمته الله (ت ١٣٧٢ هـ).

توجد نسخة مطبوعة من حاشيته رحمته الله في مكتبة آية الله العظمى السيّد شهاب الدين المرعشي النجفي رحمته الله العامّة بقم المقدّسة وأخرى في مكتبة مجلس الشورى بطهران وثالثة في مكتبة الفقه والأصول التخصّصية بقم المقدّسة.

١٣- الشيخ محمّد كاظم الشيرازي النجفي رحمته الله (ت ١٣٦٧ هـ).

توجد نسخة مطبوعة من حاشيته رحمته الله في مكتبة آستان قدس رضوي (العتبة الرضويّة المقدّسة) بمشهد المقدّس وأخرى في مكتبة آية الله العظمى السيّد شهاب الدين المرعشي النجفي رحمته الله العامّة بقم المقدّسة.

١٤- السيّد نور الدين الحسيني الهاشمي الشيرازي رحمته الله (ت ١٣٧٦ هـ).

توجد نسخة مطبوعة من حاشيته رحمته الله في مكتبة آستان قدس رضوي (العتبة الرضويّة المقدّسة) بمشهد المقدّس وأخرى في مكتبة الفقه والأصول التخصّصية بقم المقدّسة.

١٥- السيّد حسين الطباطبائي البروجردي رحمته الله (ت ١٣٨٠ هـ).

توجد نسخ مخطوطة ومطبوعة متعدّدة من حواشيه رحمته الله على منتخب الرسائل

في مختلف المكتبات العامة والخاصة كمكتبة مؤسسة آية الله العظمى السيد حسين الطباطبائي البروجردي رحمته الله ومكتبة مسجد الأعظم بقم المقدسة، وقد طبعت أخيراً الحاشية الفارسية والعربية أيضاً بتحقيق منّا.

١٦- الشيخ عبد الكريم الزنجاني النجفي رحمته الله (ت ١٣٨٨ هـ).

توجد نسخة مطبوعة من حاشيته رحمته الله في مكتبة الفقه والأصول التخصصية بقم المقدسة.

١٧- السيد محسن الطباطبائي الحكيم رحمته الله (ت ١٣٩٠ هـ).

توجد نسخة مطبوعة من حاشيته رحمته الله في مكتبة هريس العامة بمدينة هريس وأخرى في مكتبة آستان قدس رضوي (العتبة الرضوية المقدسة) بمشهد المقدس وثالثة في مكتبة الوزيري بيزد ورابعة في مكتبة مسجد گوهرشاد بمشهد المقدس وخامسة في مكتبة مروّج بيزد وسادسة في مكتبة مجلس الشورى بطهران وسابعة في مكتبة آية الله العظمى السيد شهاب الدين المرعشي النجفي رحمته الله العامة بقم المقدسة وثامنة في مكتبة مسجد الأعظم بقم المقدسة.

١٨- الشيخ محمد باقر رشاد الزنجاني رحمته الله (ت ١٣٩٤ هـ).

توجد نسخة مطبوعة من حاشيته رحمته الله في مكتبة ملي (المكتبة الوطنية) بطهران وأخرى في مكتبة عتبة السيد عبد العظيم الحسيني المقدسة بشهري.

١٩- السيد علي البهبهاني الراهمزمي رحمته الله (ت ١٣٩٥ هـ).

توجد نسخة مطبوعة من حاشيته رحمته الله في مكتبة مجلس الشورى بطهران.

٢٠- الميرزا أبو الحسن الرفيعي القزويني رحمته الله (ت ١٣٩٦ هـ).

٢١- السيد محمد كاظم الشريعتمداري البروجردي التبريزي رحمته الله (ت ١٤٠٦ هـ).

٢٢- السيد أبو القاسم الموسوي الخوئي رحمته الله (ت ١٤١٣ هـ).

توجد نسخة مطبوعة من حاشيته رحمته الله في مكتبة آية الله العظمى السيد شهاب الدين المرعشي النجفي رحمته الله العامة بقم المقدسة.

٢٣- الميرزا محمد حسن أحمدي فقيه اليزدي رحمته الله (ت ١٤٣١ هـ).

وسياتي فيما بعد، أن بعضهم نقل حواشيه إلى المتن وحرره تحريراً ثانياً، وقد كتب بعض الأعلام من بعدهم حواشيه على الكتاب المحرر دون الأول، فممن نقل حواشيه إلى المتن وحرر المتن تحريراً آخر وفقاً لفتاويه: آية الله العظمى الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي رحمته الله، ومن ثم نقل الكتاب من الفارسية إلى العربية، وقد علّق على ذلك التحرير وهذه الترجمة: سيّد الطائفة آية الله العظمى السيد حسين الطباطبائي البروجردي رحمته الله، وعلّق أيضاً على الترجمة فقط: الفقيه الورع التقّي آية الله العظمى السيد الميرزا مهدي الحسيني الشيرازي رحمته الله.

ثالثاً- الكتب المسماة بمنتخب الرسائل

كما قلنا آنفاً: إنّ بعض الأعلام نقل فتاويه إلى المتن، وحرر الكتاب تحريراً ثانياً، فنذكر أسماء بعض هؤلاء الأعلام، فهم آيات الله العظام:

١- السيد محمد الحسيني الفيروزآبادي رحمته الله (ت ١٣٤٥ هـ)

نقل السيد الفيروزآبادي رحمته الله حواشيه إلى المتن، وبعد تحرير الكتاب طبع في عام ١٣٣٩ هـ.

٢- الشيخ عبد الله المامقاني رحمته الله (ت ١٣٥١ هـ).

طبعت حواشي العلامة المامقاني رحمته الله في عام ١٣٤١ هـ أولاً، ثم انتقلت حواشيه إلى المتن، وطبع الكتاب في عام ١٣٤١ هـ، وقد طبع بعدها مراراً.

٣- الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي رحمته الله (ت ١٣٥٥ هـ).

طبعت حواشي الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي رحمته الله على منتخب الرسائل

أولاً في عام ١٣٤٣ هـ، وقد انتقلت في نفس العام من الحاشية إلى المتن، وقد طبعت كرسالة عملية له رحمته الله، وطبعت للمرة الثانية في عام ١٣٤٥ هـ في المطبعة الحيدرية بالنجف الأشرف، وقد طبعت بعدها مراراً في العراق وإيران، كما طبعت في عام ١٣٥٥ هـ في طهران أيضاً.

٤- السيد حسين الطباطبائي البروجردي رحمته الله (ت ١٣٨٠ هـ)

قد علّق السيد البروجردي رحمته الله أولاً على منتخب الرسائل لأستاذه السيد صاحب العروة رحمته الله، وبعدها انتقلت حواشي الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي رحمته الله إلى المتن، كتب السيد البروجردي رحمته الله عدّة حواشٍ عليه على نسخ متعدّدة تعكس عن تبدل آرائه في بعض المسائل، ثمّ نقل السيد البروجردي رحمته الله حواشيه على المتن الأوّل والثاني إلى المتن، فصار كلّ منهما كتاباً على حدة، طبعاً باسم منتخب الرسائل أيضاً.

وأخيراً في حدود عام ١٣٧٠ هـ علّق تعليقاته على تعريب منتخب الرسائل للشيخ عبد الكريم الحائري رحمته الله أيضاً، والنسخة الفريدة منها بخط الخطيب البارع آية الله الشيخ الميرزا أحمد سيويه اليزدي الحائري رحمته الله موجودة عندي، وقد طبع ونشر لأول مرة بتحقيقنا في قم المقدّسة عام ١٤٤٤ هـ تزامناً مع مرور مائة سنة (قرن) على تأسيس الحوزة العلميّة بقم المقدّسة.

٥- السيد محسن الطباطبائي الحكيم رحمته الله (ت ١٣٩٠ هـ).

٦- السيد علي البهبهاني الرامهرمزي رحمته الله (ت ١٣٩٥ هـ).

رابعا- تعريب منتخب الرسائل

كما أشرنا آنفاً، أنّ حواشي آية الله الملك العلام الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي رحمته الله على كتاب منتخب الرسائل طبعت لأول مرّة في عام ١٣٤٣ هـ وفي عام ١٣٤٤ هـ انتقلت حواشيه إلى المتن وطبع الكتاب كرسالة عملية مستقلة له رحمته الله، وبعد عام ١٣٤٥ هـ نقل الميرزا محمّد علي الأديب الطهراني رحمته الله الكتاب من الفارسيّة إلى

العربية، وأن الحاج الشيخ وقّعه وأيده فطبع في النجف الأشرف.

تذييل: هاهنا خمسة مطالب:

١- إن تعريب منتخب الرسائل، هو الترجمة الفريدة الكتاب منتخب الرسائل للشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي رحمته الله.

٢- بعد غربلة فهارس المكتبات في إيران والعراق عثرنا على ذكر نسختين آخرين من الكتاب فقط، إحداهما في مكتبة السيّد الإمام الحكيم رحمته الله العامّة بالنجف الأشرف، والأخرى في مكتبة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام العامّة بالنجف الأشرف أيضاً، رغم أنه طبع في النجف الأشرف، وقد بقيت نسختنا فريدة لا ثانية لها.

٣- إن نسخة الكتاب الفريدة الوحيدة التي بحوزة محقق الكتاب مذيبة بحواشي السيّد الجليلين والفقهيّين الكبيرين آية الله العظمى السيّد حسين الطباطبائي البروجردى وآية الله العظمى السيّد الميرزا مهدي الحسيني الشيرازي الحائري قدّس الله نفسهما الزكيّة، وهي كلّها بخطّ الخطيب المفوّه البارع آية الله الشيخ أحمد سيّوبه اليزدي الحائري رحمته الله، وهاتان الحاشيتان أيضاً بعد الفحص عنهما لم نجد لهما نسخة ثانية في المكتبات ولا لدى بيت السيّد البروجردى والشيرازي رحمهما الله، فالنسخة فريدة يتيمة وعزيزة ثمينة جداً.

٤- نستظهر من هذا الكتاب عدم انحصار مقلّدي الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي رحمته الله في إيران والباكستان وأفغانستان والهند، بل كان يقلّده البعض في العراق وسائر الدول العربيّة أيضاً.

٥- طبع المتن والتعريب مع الحواشي بتحقيقنا في عام ١٤٤٤ هـ لأول مرّة طبعه محقّقة.

التعريف بنسخة تعريب منتخبات الرسائل ذات الحواشي:

الكتاب مطبوع في المطبعة العلوية بالنجف الأشرف في عام ١٣٤٥ هـ، طبعه السيد محمود مدير المطبعة العلوية، وهو يقع في ١١٦ صفحة لا نقص فيه.

يظهر من ظهر الكتاب أنه كان من كتب إحدى المكتبات برقم ١٥٢٧٨، ولكن موضع ختم المكتبة قد مَزَق.

جاء في نهاية الكتاب بخط جلي حسن، بقلم آية الله الشيخ أحمد سيويوه رحمته الله ما يلي: «بسمه تعالى

مما من الله عليّ بأخذه والعمل بما فيه، إن شاء الله تعالى.

الأحقر، أحمد الشريف سيويوه اليزدي الحائري

وفقه الله لمراضيه، وجعل مستقبل أمره خيراً من ماضيه ١٣٦٩ هـ».

وقد كتب مالك النسخة حواشي العَلَمَيْن السَيِّدَيْن البروجردي والشيرازي رحمهما الله في هامش الكتاب برموز، بعدما صرّح باسم صاحب الحاشية في الحاشية الأولى، فأنبأ الحاشية في صفحة ٨ بقوله: «حسين الطباطبائي بروجردي مدّ ظله»، وفي صفحة ٩ بقوله: «مهدي الحسيني الشيرازي الحائري مدّ ظله العالي»، وبعد أنبأ الحواشي برموز كـ "ح ط مدّ ظله" للسيد البروجردي رحمته الله و"شيرازي" للسيد الميرزا مهدي الشيرازي رحمته الله، وأصل النسخة الآن في حوزة محقق الكتاب.

علاقة الكتاب بمدرسة سامراء:

وحيث رأينا علاقة هذا الكتاب الشريف بمدرسة سامراء العلمية وتيدة، ارتأينا أن نكتب مقالاً موجزاً حوله ونفتح ملفاً تحقيقياً لاستفادة المحققين المهتمين بتراث سامراء العلمية؛ لأنه يعدّ من بركات تلامذة الميرزا المجدد الشيرازي رحمته الله مؤسس حوزة سامراء السامية العلمية الدينية في النجف الأشرف وسامراء

المقدّسة.

٣١١

إذ كما أشرنا أنّه كتب أولاً طبقاً لفتاوى الفقيه الكبير السيد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي (١٢٤٨ هـ - ١٣٣٧ هـ) وهو ممّن استفاد من منهل الميرزا الشيرازي العذب قبل توطنه بسامراء، ومن ثمّ حرّر على طبق فتاوى الفقه الكبير الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي (١٢٧٦ هـ - ١٣٥٥ هـ)، وقد برع في العلم وتضلّع منه في مدرسة سامراء العلميّة على يد كبار علمائها وهم: الميرزا السيد محمد حسن الشيرازي والميرزا محمد تقي الشيرازي والشيخ فضل الله النوري والميرزا إبراهيم المحلاقي الشيرازي والسيد محمد الفشاركي الإصفهاني رحمهم الله تعالى.

الخاتمة

كشف لنا البحث بأن حوزة سامراء تحتوي في مدرستها على تراث فقهي كبير وأرث ديني عظيم، ولها دور كبير في انتاج عدداً متميزاً من الاصدارات العلمية التي حفظت لنا هويتنا وأنتهاؤنا، وأنها من الحوزات التي قدمت كثيراً خدماً للدين والمذهب، ومن هذا التراث كتاب (منتخب الرسائل)، حيث بينا في مطاوي هذا البحث أنه من أمهات الكتب ومن النفائس التي كتبت في حوزة مدينة سامراء، كما أوضح البحث بأن هذا الكتاب هو تلخيص لفتاوى متعددة والرسالة العملية للسيد صاحب العروة، وأشرنا من خلال البحث أن أهمية هذا الكتاب تأتي من اتجاهين الأول: طرزت صفحاته بعدد من الحواشي تناولت مواضيع فقهية مهمة تجاوز عددها العشرون حاشية، والثاني: كتب بأقلام تلامذة حوزة سامراء أبان مرجعية السيد المجدد الشيرازي .

المصادر والمراجع:

- ١- المجلسي، الشيخ محمد باقر بن محمد تقي، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام، تحقيق وتصحيح جمع من المحققين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٣ هـ.
- ٢- الحر العاملي، الشيخ محمد بن الحسن، تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، تحقيق ونشر مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم المقدسة، ١٤٠٩ هـ.
- ٣- النجاشي، الشيخ أبو العباس أحمد بن علي، رجال النجاشي، تحقيق ونشر مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة، ١٣٦٥ هـ ش.
- ٤- اليزدي، السيد محمد كاظم الطباطبائي، منتخب الرسائل، تصحيح وتقديم: محمد حسن أحمدى فقيه اليزدي، مؤسسة مطبوعاتي إسماعيليان، قم المقدسة، ١٣٧٣ هـ ش.
- ٥- الطهراني، آقا بزرك، طبقات أعلام الشيعة، الشيخ محمد محسن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٣٠ هـ.
- ٦- الكليني، الشيخ محمد بن يعقوب، الكافي، تصحيح: علي أكبر الغفاري ومحمد الآخوندي، دار الكتب الإسلامية، تهران، ١٤٠٧ هـ.
- ٧- ابن طاوس، السيد علي بن موسى، كشف المحجة لثمره المهجة، تحقيق: الشيخ محمد الحسون، دار الإعلام الإسلامي، قم المقدسة، ١٣٧٥ هـ ش.
- ٨- القمي، الشيخ عباس، الكنى والألقاب، تقديم: الدكتور محمد هادي الأميني، مكتبة الصدر، طهران، ١٣٦٨ هـ ش.
- ٩- النوري، الميرزا حسين بن محمد تقي، مستدرک الوسائل ومستنبط المسائل، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم المقدسة، ١٤٠٨ هـ.

الفهرس

- السيرة..... ٥
- البحث الأول: دراسة في السيرة الأخلاقية للإمام الهادي عليه السلام ٧
- البحث الثاني: قبسات نورانية من سيرة نساء تشرفن بالولادة المهدوية (السيدة
حكيمه والسيدة نرجس عليهما السلام مصداقاً)..... ٤٩
- البحث الثالث: السيدة حكيمه عليها السلام ودورها في حماية الإمامة - دراسة مقارنة ٨٩
- البحث الرابع: أثر المرأة الرسالية في الإسلام السيدة حكيمه عليها السلام نموذجاً . ١١٩
- الفقه والأصول ١٤٩
- البحث الأول: الآثار الفقهية للإمام الحسن العسكري عليه السلام دراسة في أحكام
البيع ١٥١
- البحوث الرجالية والحديثية..... ١٧٣
- البحث الأول: دراسة التصنيفات المختلفة للأحاديث حول علامات ظهور الإمام
المهدي عليه السلام ١٧٥
- Examining different classifications of the hadiths about the
signs of Imam Mahdi's (A.S.) Advent 208

- ٢٠٩ بحوث الحوزة العلمية في سامراء المقدسة
- ٢١١ البحث الأول: ملامح حوزة سامراء ومعطياتها
- البحث الثاني: التعايش السلمي في سامراء ابان مرجعية المجدد الميرزا محمد
حسن الشيرازي ١٨٧٤ - ١٨٩٥ م ٢٣٩
- البحث الثالث: الأبعاد الفقهية والاجتماعية عند المجدد الشيرازي عليه السلام في سامراء
(فتوى التنبك إنموذجا) ٢٦٩
- البحث الرابع: من نفائس تراث مدرسة سامراء العلمية الدينية: منتخب الرسائل
وتعريبه ٢٩٥